البحوث الأدبية

مناهجها ومصادرها

الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجي

دار الكتاب اللبناني - بيروت

دار الكتاب اللبناني
بيروت - لبنان
ص.ب ٣١٧٦ - برقيا (كتاليان)
تليفون ٥٤-٢٥٤٠ - ٢٣٧٥٣٧
Telex N° 22355 k.t.l

دار الكتاب المصري
القاهرة ج.م.ع
٣٣ شارع قصر النيل - ت ٧٤٢١٦٨
ص.ب ١٥٦ - برقيا (كتامصر)
تلكس ٢٣٣٦/١٣٤ ك.ت.م القاهرة
Telex N° 2336 Cairo
a.t.t 134 k.t.m ....

الطبعة الثانية
١٩٨٠

البحوث الأدبية

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

١

البحث هو شعار الحياة في الاسلام ؛ الحياة المتجددة ، العاملة ، الهادفة ، البانية ؛ الحياة التي تصنع الحضارة والرفاهة والأمن والسلام للإنسانية جمعاء .

وهو نواة العلم ؛ أو دعامة من أهم دعائمه ، والتعلم والدراسة همـــا الركن الأول من بناء الحضارة العلمية ، والبحث هو الركن الثاني من أركانها ، بما يشتمل عليه معنى البحث ، من العرض والتحليل والنقد ، والأصالة والجدة . ونستطيـــع أن نقول : إن العلم ثمرة البحث ، والثقافة هي ثمرة العلم ، والمعرفة ثمرة للثقافة ، وهذه المعرفة تنتهي إلى الحضارة الفكرية والمادية .

ولقد كان البحث شعاراً للحياة الاسلاميـــة في مختلف عصور النهضة والقوة والازدهار ، فأصبح العلماء المسلمون ومهمتهم البحث والكشف عن كل جديد في الحياة والكون والوجود .

وصار البحث اليوم شعار الحياة والنهضة عند الأمم القوية المتحضرة ،

وبفضل البحث كشفوا عن الذرة ، وصعدوا الى عالم الفضاء ، واخترقوا جانباً من حجب الكون .

والجامعات لا تزيد على غيرها من المدارس والمعاهد إلا بأنها بيئة للبحوث العلمية ، ومركز مهم من مراكز تخريج الباحثين الأصلاء الموهوبين القادرين على النهوض بأعباء الحركة العلمية في مختلف جوانبها وألوانها .

٢

ولقد كان للعرب فضلهم الكبير في بناء الحضارة والتقدم الإنساني في فترة من أعظم فترات التاريخ كفاحاً ونضالاً وإثارة ؛ كما كان لهم دورهم الجيد في بناء النهضة العلمية والثقافية والأدبية في أكثر أنحاء العالم المعروف منذ ظهور الاسلام حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، حيث فتح الأتراك العثمانيون القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ : ١٤٥٣ م ، وحيث سقطت الأندلس في أيدي الاسبان وانتهى عهد الحكم الإسلامي فيها عام ٨٩٧ هـ : ١٤٩٢ م .

وأسلمت اللغة العربية قيادها للتعبير عن أنبل المشاعر التي جالت في نفس الانسان ، ولتسجيل أدق ما وصل اليه العقل الانساني القديم من أفكار ونظريات ، وكان من نتائج ذلك هذه النهضة الفكرية التي أشعلتها بحوث العلماء المسلمين في جامعات قرطبة وفاس والقيروان والقاهرة ودمشق ومكة والمدينة والبصرة والكوفة وبغداد وأصفهان وجرجان وسمرقند وبخارى وغيرها من مختلف الجامعات الإسلامية القديمة ؛ ومن أشهرها جامعات الأزهر والقرويين والنظامية والمستنصرية والزيتونة

وسواها [1]

ولم يقتصر فضل العرب على أنهم كانوا أمة وسطا حافظت على أسس ثمار الفكر الانساني ، طوال تاريخه القديم ، وسلمتها أمانة إلى الشعوب الأخرى التي أخذت عنها ، واقتبست منها ، ولكنهم كانوا بالإضافة الى ذلك شعباً يمتاز بأصالة التفكير ، فتعمقوا في دراسة كل ما ورثوه ، وطبعوه بالطابع العربي ، وبذلوا الجهود الجبارة لتوطيد هـذه العلوم والمعارف للارتقاء بالمدنية الأنسانية ، وزودوها برصيد وافر من الآراء والقيم ، وأضافوا الكثير من الأفكار والنظريات في مختلف العلوم والفنون فقد ألفوا باللغة العربية (في القرون الوسطى) أعظم المؤلفات قيمة ، وأكثرها أصالة ، وأغزرها مادة . وكانت هذه اللغة ، من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي لغة التطور العلمي الجنس البشري عامة ، وكان ينبغي لكل من أراد أن يلم بثقافة عصره على أرقى صورها ، أن يتعلم اللغة العربية [2] .

٣

والبحث الأدبي ما هو إلا فرع من فروع البحث العام وعليه يتوقف النهوض بالدراسات الأدبية والتجديد فيها ، والكشف عن أصولها .

وتقتضي العناية بالبحث الاهتمام بالمصادر والمراجع والأصول العامة والخاصة على السواء ، لأن المصادر هي التي يأخذ منها الباحث مادة

(١) راجع ١ : ٢٠٤ تطور أوربا الفكري .

(٢) جـ ١ ص ١٦ — ١٧ مقدمة تاريخ العلوم لسارتون .

بحثه ، والافكار الاساسية للموضوع ، وهي الثمرة الناضجة التي يقطف منها العالم والمتعلم كل ما يشاءان .

٤

ولقد خصصت هذا الكتاب بدراسة البحوث الأدبيـــة في مناهجها ومصادرها ؛ فقصرته على الجانب الأدبي ومـــا يتصل به ، دون الجانب العلمي ، لأن هذا الجانب الأدبي هو الذي نوليه عنايتنا في معاهد وكليات الآداب واللغة العربية في مختلف أرجاء العالم الإسلامي والعربي .

وعلى الرغم من جدة الكتابة في هذه الموضوعات ، وقلة مراجعهـــا ، فقد كتبت هذه الفصول مجتهداً أن تكون ثمرة العلم والتجربة والخبرة والمران جميعاً .

ونحن بما سجلناه في هذه الفصول انمـــا نحاول إثارة حركة البحث العلمي والأدبي من جديد ، ونريد للشباب العربي أن يبدع بقدر مـــا يستطيع في مختلف مجالات المعرفة ، وأن يصنع نهضة بلاده على أساس مكين من العلم والثقافة والتجديد والكشف عن كل جديد .

والله ولي التوفيق ، وهو الهادي إلى سواء السبيل ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت ، واليه أنيب .

د . محمد عبد المنعم خفاجي

المصادر

شمس العرب تسطع على الغرب ، وأثر الحضارة العربية في أوربا زيغريد هونكة – ترجمة بيضون ودسوقي – بيروت .

حضارة العرب محمد كرد علي – ٣ أجزاء .

حضارة العرب غوستاف لوبون – ترجمة عادل زعيتر .

المقدمة لابن خلدون طبع التجارية بالقاهرة .

معجم الأدباء لياقوت نشر فريد رفاعي – ٢٠ جزءاً .

معجم المؤلفين لعمر رضا كحاله – ١٤ جزءاً .

كشف الظنون لحاجي خليفه (١٠٦٧ هـ) – طبع استانبول .

إحصاء العلوم للفارابي .

مناهج البحث عند مفكري الإسلام – علي سامفي النشار – دار المعارف بمصر ، طبعة ثانية .

دراسة في مصادر الأدب – الجزء الأول طاهر أحمد مكي – دار المعارف بمصر .

تاريخ الطبري .

تاريخ الأدب الجغرافي كراتشوفسكي – نشر جامعة الدول العربية .

الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون – مصطفى الحلبي .
البيان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي بالقاهرة .
مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة .
المكتبات ودورها في الحضارة الإسلامية – عبد اللطيف ابراهيم .
الفهرست لابن النديم .
تاريخ الأدب العربي لبروكلمان – ترجمة د . عبد الحليم النجار – ٣ أجزاء .
تاريخ آداب اللغة العربية – ٤ أجزاء – جورجي زيدان .
مصادر التراث العربي – عمر دقاق – المكتبة العربية بحلب .
فن البحث العلمي – تأليف و . أ . ب بفردج – ترجمة زكريا فهمي .
كيف تكتب بحثاً أو رسالة أحمد شلبي – مكتبة النهضة بالقاهرة ١٩٦٦ .
منهج البحث التاريخي – حسن عثمان – القاهرة – مطبعة الاعتماد ١٩٤٠ .
المدخل للدراسات العربية – مطبوع على الآلة الكاتبة – عبد المنعم عمر .
منهج الدراسة الأدبية. شكري فيصل .
مصادر الدراسة الأدبية – يوسف أسعد داغر – جزءان .
تراجم الأدباء ثلاثة أجزاء ابراهيم العلوي طبع العراق .
الثقافة الإسلامية – محمد عبد المنعم خفاجي – طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – بالقاهرة .

الإسلام في قيادة الإنسانية – محمد عبـــد المنعم خفاجى دراسة في تسع مقالات نشرت بمجلة الحج – عام ١٩٦٥ .
مناهج البحث العلمي عبد الرحمن بدوي .
منهج البحوث العلمية – ثريا ملحس – بيروت ١٩٦١ دار الكتاب اللبناني..
مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ترجمة د . أنيس فريحـة – بيروت .
منهج البحث الأدبي – عبد القدوس أبو صالح – مخطوط مكتوب على الآلة الكاتبة .
ضحى الإسلام ، وفجر الاسلام لأحمد أمين .
المدارس النحوية – شوقي ضيف .
البلاغة تطور وتاريخ – شوقي ضيف .
نشأة النحو – محمد الطنطاوي – طبع القاهرة ١٩٦٩ .
طبقات النحويين البصريين للسيرافي – تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى
فصيح ثعلب والشروح التي عليه – تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي .
في أصول النحو – سعيد الأفغاني .
سر صناعة الاعراب – لابن جنى .
حركة التأليف عند العرب – أمجد الطرابلسي .
حضارة الإسلام من دراسة توينبي للتاريخ – تأليف فؤاد محمد شبل
قواعد تحقيق المخطوطات صلاح الدين المنجد – بيروت .

نشأة التاريخ عند العرب عبد العزيز الدوري .
علم التاريخ عند العرب محمد عبد الغني حسن .
المكتبة المدرسية مدحت كاظم .
المكتبة ودورها في التربية ترجمة مصطفى الجويني .
المكتبات ورسالتها حسن رشاد .
المكتبة في العالم العربي عمر حسن حمدي .
هيكل وحياة محمد حسين فوزي .
جهود المسلمين في الجغرافية نفيسى أحمد — ترجمة فتحي عثمان .

القسم الأول

مناهج البحوث الأدبية

الفصل الأول
تحديد معنى البحث الأدبي

تعريف البحث :

١ — يراد بالبحث ما يشمل كل انتاج يكتبه الدارس أو الأستاذ في موضوع من موضوعات العلم ، أو فكرة من أفكاره ، أو مشكلة من مشكلاته .

سواء كان هذا الانتاج :

أ — مقالة مطولة واسعة نطلق عليها كتيباً ، وكان القدماء يطلقون عليها اسم رسالة أو محاضرة .

ب — أو كتاباً مختلف الحجم ، وغالباً ما يبدأ الكتاب بصفحات تقارب المائة ، وتزداد صفحاته حتى تبلغ المئات ، فان زادت زيادة مسرفة قسم الكتاب أجزاء ، حسب موضوعاته وأبوابه الكبرى. والكتاب تختلف تقسيماته اختلافاً واضحاً :

ففريق من المؤلفين يقسمونه إلى فصول ، ويخصون كل فصل ببحث مسألة من المسائل ، ويطلقون على الفصول اسم أبواب ؛ وفريق يقسمونه أولاً إلى أبواب ، ويجعلون كل باب خاصاً ببحث مسألة رئيسية ، أي عنصر أساسي من مسائل أو عناصر الكتاب ؛ ثم يقسمون ثانياً كل باب إلى

فصول ، ويجعلون كل فصل خاصاً ببحث مسألة جزئية من مسائل الباب .

جـ ــ رسالة جامعية ، يتقدم بها الباحث إلى جامعة من الجامعات لنيل درجة علمية منها ، أعلى من الدرجة العلمية العالية ، وهذه الدرجة اما درجة الماجستير ، واما درجة الدكتوراه أو الأستاذية ... والأولى مرحلة وسطى بين الدراسات العالية ودراسات الأستاذية ، والثانية يزداد صاحبها مراجعة وتنقيباً وفقهاً بالموضوع الذي يكتب فيه ، وتخصصاً في هذا الموضوع حتى يصبح مرجعاً فيه ، وحجة في دراساته وبحوثه [1] .

٢ ــ ويقصر بعض العلماء البحث على ما هو دون الرسالة والكتاب من المقالات العلمية أو الأدبية المطولة أو الموجزة ... فلا يطلقون على الكتاب ولا على الرسالة الجامعية اسم بحث .

٣ ــ والبحث قسمان : علمي وأدبي ، فالبحث العلمي مجاله البحوث العلمية ، والأدبي مجاله الدراسات الأدبية وما يتصل بها ...

٤ ــ والغرض من البحث مختلف ، ولكن جوهره هو إثارة مشكلة من مشكلات العلم وعرضها عرضاً جيداً وبيان وجه حل هذه المشكلة . ومن ثم قد يكون الغرض أو الهدف من البحث :

أ ــ إما عرض موضوع من موضوعات الدراسات القديمة وتحقيقه ، والالمام بكل ما كتب فيه من آراء وأفكار ، وبيان رأي الباحث الخاص في ذلك .

---

(١) تتوقف جودة الرسائل على تعدد مصادرها مخطوطة ومطبوعة ودقة منهجها الموضوعي ، ومحاولة الكشف عن الجديد في الموضوع ، ونقد ما كتبه المتخصصون فيه .. كما تتوقف على شخصية الباحث نفسه .

ب ــ وإما الكتابة في فكرة جديدة لم يطرقها أحد من الدارسين من قبل ، وإيضاح هذه الفكرة والتدليل عليها .

جـ ــ وإما الكتابة حول منهج جديد مــن مناهج البحث يكشف عنه الباحث ، ويبين أهميته وفائدته .

المنهج العام للكتابة في البحث :

ومنهج الكتابة في البحث الأدبي يمكن إجماله في الخطوات التالية :

١ ــ اختيار موضوع البحث .

٢ ــ معرفة مصادره ومراجعه .

٣ ــ وضع منهج مفصل للبحث يشمل كل عناصره وأصوله وبحوثه الأساسية .

٤ ــ القراءة في هذه المصادر قراءة مستوعبة متأنية نافذة إلى أعماق الموضوع ولبه ، مقرونة بالذكاء والمثابرة والحرص على بلوغ الغاية والهدف من البحث .

٥ ــ الكتابة في موضوع البحث كتابة منهجية أصيلة .

وسنشرح كل خطوة من هذه الخطوات الخمس شرحاً مناسباً ، فاذا ما ألممنا بها كلها إلماماً كافياً ، كان معرفة كل ما يتصل بها محدداً لمنهج البحث الأدبي ، الذي ندرسه لك ، ونوقفك على تفاصيله .

شروط البحث :

ومن الواجب عليك أن تعرف أن شروط البحث تتلخص في أمرين اثنين لا غير :

الاول : الأصالة ، ونعني بها السلوك العلمي والأدبي لكل طرق البحث ووسائله ومنهجه لتحقيق الهدف والغاية منه ، وللوصول بالموضوع إلى النهاية المطلوبة ؛ في ذكاء شديد ، ونظام كامل ، ومنطق سليم ، وأمانة علمية تامة . ولو حاولنا أن نشرح كلا من هذه الأمور : الذكاء ، النظام، المنطق ، الأمانة ، لطال بنا الأمد ، ولتشعبت أمامنا جوانب الموضوع .

والثاني : الجدة والابتكار بالكشف عن شيء جديد ، سواء كانت هذه الجدة جدة كاملة شاملة أم جدة على نحو ما من الأنحاء ، وفي ناحية ما من نواحي الفكرة والموضوع [1] .

فاذا اجتمع في البحث الأمران كان على غاية ما يكون من الأهمية ، واذا توافر فيه عنصر واحد وركن واحد من هذين العنصرين ، كان البحث على درجة مناسبة من الجودة ؛ أما اذا خلا البحث من الأمرين معاً ، فهو بحث رديء لا يعبأ به ولا يلتفت اليه بحال من الأحوال .

---

(١) الابتكار يجيء عن الطريق الطبيعي له وهو يتلخص في الوقوف على آراء جميع السالفين في الموضوع الذي يدرس ، ثم الذهاب في الموضوع نفسه الى رأي جديد لم يأت به أحد من السالفين .

ومن البدهي أن ذلك يعني القراءة الواسعة لكل ما كتبه الأقدمون والمحدثون والمعاصرون في الموضوع ، فالقراءة هي نصف الابتكار ، والذكاء متمم لها في الكشف عن الجديد وابتكاره ...

ومن الخطأ الرأي الذي يذهب اليه بعض الباحثين ومنهم « برنارد شو » الذي يرى أن العبقرية هي سر الابتكار ، ويقول إن القراءة تصدىء العقل ؛ ومن الخطأ الحقيقي قول بعض الناس : ليس في الإمكان أبدع مما كان ، وقد حمل الجاحظ على قولهم هذا حملة شديدة وتبعه عبد القاهر الجرجاني في كتابه « دلائل الاعجاز » .

البحث الأدبي

والبحث الأدبي تتحدد حقيقته بكونه بحثاً مقيداً بأنه يتصل بدراسات الأدب اتصالاً وثيقاً ولا يخرج عنها ، فقد يكون هذا البحث :

١ – في دراسة علم (شخصية) من أعلام الأدباء أو الشعراء القدامى أو المحدثين أو المعاصرين وبيان أثره في الأدب والشعر وذكر سمات وخصائص أدبه .

٢ – أو في دراسة موضوع من موضوعات الأدب ونظرية من نظرياته كنظرية سبق الشعر للنثر التي أتى بها المستشرقون ، وخالفوا بها المألوف المعروف من سبق النثر للشعر ، وسار على نمطهم فيها بعض أدبائنا المعاصرين من أمثال : طه حسين ، وسهير القلماوي ، وشوقي ضيف وسواهم . وكمثل دراسة نظرية انتحال الشعر الجاهلي التي ذهب اليها كثير من المستشرقين وتابعهم فيها الدكتور طه حسين وتلاميذه ، وكمثل دراسة موضوع المعلقات أو الطبع والصنعة ، أو نشأة البديع في الأدب العربي ، أو نشأة النثر الفني في الأدب العربي كذلك أو غير ذلك .

وهنا نفرق بين الموضوع والنظرية ، فان النظرية تثير جدلاً ، وتعرض لاختلاف شديد بين الآراء ، وتثير شيئاً فيه مخالفة للعرف والمألوف من الرأي ، أما الموضوع فليس كذلك وهو طريق واضح مسلم به من الناس ، والكتابة فيه لتقريره وتجليته وإيضاحه وبيان رأي الباحث فيه لا غير .

٣ – دراسة جنس أدبي من أجناس الأدب كدراسة فن المقالة في أدبنا العربي الحديث ، أو فن الخطابة السياسية في عصر بني أمية ، أو فن المسرحية في أدب توفيق الحكيم ، أو فن السيرة عند طه حسين ، أو فن القصة في أدب محمود تيمور ، أو تطور النثر في الأدب المعاصر ، أو ما شاكل ذلك .

٤ – دراسة مذهب من المذاهب الأدبية الكبرى مثل دراسة المذهب الكلاسيكي أو الرومانسي أو الرمزي في الشعر العربي الحديث مثلا .

٥ – دراسة مدرسة أدبية كاملة ، كدراسة مدرسة أبولو في الشعر المعاصر ، أو مدرسة شعراء الديوان وهم عبد الرحمن شكري وعبد القادر المازني ومحمود عباس العقاد ، أو دراسة المدرسة المهجرية في الأدب الحديث ، وما شاكل ذلك .

٦ – دراسة عصر أدبي كامل كدراسة الأدب في العصر الجاهلي ، أو الإسلامي أو العباسي أو العصر الحديث مثلا .

٧ – دراسات حركة النقد في الأدب العربي وتطورها في القديم أو الحديث مثلا .

٨ – دراسة ظاهرة من الظواهر الأدبية المتميزة ، كدراسة المقدمة الطللية للقصيدة العربية ونشأتها وتطورها ، وكدراسة الموشحة وظهورها في الشعر العربي ، وهكذا .

٩ – تحقيق نص أدبي قديم أو حديث ، بعرض النص وشرحه ، وتحليله ، وبيان أهميته وخصائصه ، وقد يكون هذا النص رسالة أدبية

أو فقرة طويلة في فكرة محددة ، وقـد يكون كتاباً صغيراً أو كبيراً من الكتب القديمة في أي بحث من بحوث الأدب ، ويسمى حينئذ هذا الكتاب وما ماثله (التراث) ، ولتحقيق كتب التراث ونشرهـا أصول معروفة في الأوساط العلمية والأدبية .

الفصل الثاني
إختيار موضوع البحث الأدبي

١

اختيار موضوع البحث مشكلة المشكلات ، أو هو العقدة الأولى التي تقف أمام الباحث فاذا ما استطاع حل هذه العقدة تفتحت أمامه الطرق ، وزالت الصعاب .

ومن البد هي أن الموضوع يجب أن يكون في صميم دراسة الباحث وتخصصه ، لأن هذا التخصص يضيء له السبل التي تساعده على التعمق في البحث ، وعلى التجديد والابتكار فيه ، وعلى أن يكون للبحث قيمته العلمية والأدبية .

٢

وأولى مشكلات الموضوع واختياره هي من يختار :

١ — أهو الباحث وفي أغلب الأمر يكون الباحث طالباً بالدراسات العليا في جامعة من الجامعات وفي ذلك الاستقلال في الرأي والبحث والاختيار .

٢ – أم هو الأستاذ أو المشرف على أمور البحث . ان النظـــام الطبيعي يكل الى الطالب أمر اختيار الموضوع على أن يتمهل في الاختيار كل التمهل :

أ – لأن هناك من الموضوعات التي قد يختارها ما يكون قد سبق بحثه في القديم أو الحديث .

ب – ومن الموضوعات كذلك ما يمكن أن يأتي فيه الباحث بجديد ، ومنها ما لا يتسنى له ذلك .

ج – ومن الموضوعات أيضاً ما تتوافر مراجعه ومصادره ، ومنها ما لا تتوافر فيه .

د – ومن الموضوعات كذلك ما تكون رغبة الباحث في الكتابة فيه أقوى وأشد من غيره .

وأنا أنصح الذي يريد اختيار موضوع البحث أن يكتب عدداً من الموضوعات التي يروق له الكتابة فيها .. ثم يعرضها على أستاذه ليتشاور معه في الرأي ، وليستمع الى تجاربه الطويلة وآرائه الناضجة ، وحكمته النافذة .

والأستاذ قد يرفض هذه الموضوعات جملة ، ويطلب من الطالب إعادة البحث عن موضوع وفي هذه الحالة يعود الطالب أيضاً لأستاذه بعـــدة موضوعات أخرى ليبدي رأيه فيها ، وهل تصلح إحداهـــا موضوعاً للبحث أولاً ؟

وهناك من يفضل أن يتولى الأستاذ اختيار الموضوع للطالب ، لأن الأستاذ أقدر على فهم عقل الطالب وما يناسبه في البحث ، ولأنه يقدر على تحديد الموضوع الجديد الطريف الذي يمكن أن يخرج منه الباحث

بجديد حقاً ، ولأن اختيار الأستاذ للموضوع يدفع بالباحث إلى الالتزام بالموضوع .. وفيه من السرعة ما فيه .

٣

والموضوعات التي يمكن أن تختار للبحث كثيرة كثرة مذهلة ومن الخطأ الذهاب الى أن السابقين قد اكتشفوا كل جديد ، وكتبوا في كل موضوع ، وأن الأول لم يترك للآخر شيئاً ، فإن موضوعات البحث في كل فن وعلم كثيرة متعددة لا نهاية لها .

وإذا أراد باحث كتابة بحث عن شاعر مثلاً فعليه أن يختار أطرف وأقوى ما في الشاعر موضوعاً لبحثه ، مثل السخرية عند ابن الرومي — الهجاء عند الحطيئة — خمريات أبي نواس — زهديات أبي العتاهية — الوطنية في شعر حافظ — التيار الإسلامي في شعر أحمد محرم — الطبيعة في شعر شوقي الخ ..

والمهم هو أن يلتزم الباحث بالموضوع :

١ — الذي لم يطرق قبل ولم تكتب فيه رسائل جامعية سابقة .

٢ — والذي يمكن أن يأتي فيه بجديد .

٣ — والذي تتوافر مراجعه .

٤ — والذي يكون ميل الباحث الى الكتابة فيه أقوى وأشد سواء كان هذا الموضوع من اختيار الطالب نفسه أم من اختيار الأستاذ المشرف على الموضوع .

٤

ومن البد هي أن الموضوع يتغير بتغير البحث :

١ – فالبحث الذي لا يتعدى أن يكون مقالة مطولة يلائمه من الموضوعات ما لا يلائم غيره .

٢ – والكتاب يلائمه كذلك موضوعات لا تلائم المقالة ولا غيرها .

٣ – والرسالة يلائمها موضوع قد لا يلائم الكتاب أو المقالة . والفرق بين الرسالة والكتاب فرق كبير :

أ – فالكتاب لا يلتزم منهجاً معيناً بعكس الرسالة .

ب – والكتاب لا يشترط فيه الوقوف أمام الموضوع موقف القاضي النزيه المحايد الذي يريد البحث والوصول به الى رأي عادل ومنصف ؛ أما الرسالة فيشترط فيها ذلك ، مع حرية الباحث في إبداء رأيه في الموضوع وحريته في النقد .

ج – والكتاب يحمل المؤلف أمانته وفخره وحده ، أما الرسالة فللأستاذ المشرف عليها نصيب من الجهد وحظ من الحمد لأنه شارك الطالب فيها في الاختيار والترتيب والبحث والتبديل والتعديل .

٥

ومن الضروري في موضوع البحث أن يكون محدداً وواضحاً ، وملتزماً بفترة معينة ، وغالباً ما تكون هذه الفترة قصيرة ، لا تتجاوز مائة عام بحال من الأحوال ؛ ومن مثل ذلك ما فعله الدكتور زكي

مبارك حين اختار موضوع رسالته للدكتوراه هو « النثر الفني في القرن الرابع » ، وما فعله باحث من الكتابة عن تطور الرواية العربية الحديثة في مصر عام من ١٨٧٠ حتى عام ١٩٣٨ م وهو عبد المحسن طه بدر[١] .

ويشترط كذلك تحديد مكان البحث :

١ — فالذي يكتب عن القصة في الأدب الحديث عليه أن يحدد البلد الذي يكتب عن تطور القصة فيه كمصر أو المملكة العربية السعودية أو العراق أو سوريا أو لبنان مثلاً .

٢ — والذي يكتب عن المسرحية في العراق لا يتطرق في موضوع بحثه الى المسرحية في مصر أو سوريا أو لبنان مثلاً .

٣ — والذي يكتب في الشعر المعاصر عليه أن يحدد المدرسة التي ينتمي اليها هذا الشعر كالمدرسة الكلاسيكية أو الرومانسية أو الرمزية أو الواقعية مثلاً ، وعليه أن يخصص هذا الشعر بأمته ، مثل : الشعر المصري المعاصر ، أو الكلاسيكية في الشعر العراقي المعاصر ، أو الرومانسية في الشعر السوداني المعاصر .. وهكذا .

٦

وموضوع البحث كذلك يجب في اختياره الثقة بأن الجهد المبذول

(١) وكذلك فعل عباس خضر في كتابه « القصة في الأدب المصري الحديث »، ففي دراسته للقصة المصرية جعل نهاية المطاف عام ١٩٣٠ .

وكتب أحمد هيكل كتابه « الأدب القصصي والمسرحي في مصر » (من أعقاب ثورة ١٩١٩ الى قيام الحرب الكبرى الثانية عام ١٩٣٩) .

وكتب الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتي كتابه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » لأن الشعر المعاصر لا تتجاوز فترته نحو أربعين عاماً على الأكثر .

فيه مساوٍ للفائدة منه ، وإلا كان الموضوع غير جدير بالاختيار .

فمن الأصوب النظر إلى فائدة الموضوع وأهميته .

ومن ثم تشترط بعض الجامعات توجيه الطلبة لبحوثهم نحـــو البيئة ومشكلاتها وحاجاتها ، وتوجيههم لدراساتهم نحـــو المشكلات الأخلاقية والعلمية والأدبية لبيئتهم ، فالكتابة عن خمريات أبي نواس غير الكتابة عن زهد أبي العتاهية ، والكتابة عن الأدب في العصر التركي غير الكتابة عنه في عصر الرسالة .

فاذا ما استقر الباحث على موضوع بحثه ، ووافق عليـــه الأستاذ المشرف ، كان عليه أن ينتقل الى ناحية جديدة ، وهي وضع المنهـــج العلمي للبحث .. وهذا ما سنبحثه في الفصل التالي .

الفصل الثالث

مَصَادِر البَحْث

مصادر البحث هي أساس من أهم أسسه ، وركن من أكبر أركانه ، وهي التي يستمد منها الباحث مادة بحثه ، ويأخذ عنها الكثير من أفكاره ، ويقبس منها آثار المعرفة الانسانية فيما يريد تناوله من فكر أو موضوع .

ومصادر البحث لا يقوم بدونها كيانه ، ولا يستغني عنها بنيانه ، ومنها تقف على آراء الأقدمين والمحدثين والمعاصرين وعنها تأخذ كل ما تحب أن تأخذ من أفكار الدارسين والباحثين والناقدين .

ولأن المصادر هي القسم الثاني من هذا الكتاب ، رأيت أن أؤجل الحديث عنها الى موضعها من هذه الدراسة ، وأن أنتقل الى موضوع جديد من موضوعات البحث .

وانما ذكرتها هنا محافظة على الترتيب الذهني والطبيعي في منهج البحث الأدبي ، ونصاً على أنها تدخل في نطاق البحث كعنصر أصيل من أهم عناصره ، وجزء ضخم من أكبر أجزائه ، فلا غنى للباحث عن المراجع والمصادر ، ولا يمكن أن يكون بحث بغير مرجع ، وإلا انقلب البحث مادة انشائية محضة لا قيمة لها من جانب البحث ، وان كان لها قيمة من حيث كونها انشاء وابداعاً أدبياً منمقاً ممتعاً .

الفصل الرابع

منهج البحث

١

بعد اختيار الموضوع يجيء دور المنهج ، ومنهج البحث يعنى بتحديد الخطة التي يسير عليها الباحث في بحثه .

وكما أن بناء منزل يبدأ فيه برسم مصغر للمنزل تحدد فيه أركانه ودعائمه وأقسامه ، ويسير البناء على منوال هذا الرسم ، فكذلك كتابة البحث يبدأ فيه بوضع المنهج الذي يسير عليه الباحث .

ويختلف منهج البحث باختلاف الموضوع والباحث نفسه ، وباختلاف الظروف المحيطة بالبحث نفسه .

والمنهج لا بد من مشاركة الأستاذ المشرف في وضعه ليكون ملائماً ومستوفياً لموضوعات البحث .

ويتوقف على المنهج تقييم البحث نفسه فكلما كان المنهج قوياً شاملاً كان البحث جيداً ومفيداً وذا قيمة علمية كبيرة .

٢

ومن الممكن أن يصير المنهج وفق هذا الترتيب :

أ ــ تصدير للبحث ؛ يحدد فيه أهمية البحث وقيمة الكتابة حوله ، وصلة موضوع البحث بنفس الكاتب وتخصصه فيه ، وقراءات الباحث الكثيرة حوله ، وأهم مراجع البحث المخطوطة ــ والمطبوعة والجهد الذي بذله صاحب البحث في كتابه .

ب ــ صميم البحث ، ويشمل عدداً من الأبواب والفصول ، وفي العادة يكون وفق هذا الترتيب :

الباب الأول : ويحتوي على فكرة رئيسية في البحث ويندرج تحته عدة فصول كل فصل يتناول مشكلة من مشكلات هذه الفكرة الرئيسية .

الباب الثاني : ويحتوي على فكرة رئيسية أخرى ، ويحتوي على عدة فصول كذلك لا تزيد في العادة على أربعة .

الباب الثالث : ويتناول فكرة رئيسية أخرى تنتهي بنتائج البحث ويحتوي على عدة فصول أيضاً[1] .

جـ ــ خاتمة البحث ؛ وتشمل ما يلي :

ــ كلمة يبين فيها مدى ما بذل الباحث من جهد في كتابة بحثه والالمام بمراجعه .

ــ بيان الجديد في البحث الذي لم يطرقه الدارسون من قبل .

بيانا بمصادر البحث .

ــ فهرساً شاملا للبحث .

(١) وقد يقسم صميم الموضوع الى قسمين فالقسم الاول يحتوي على أبواب ، والأبواب تحتوي على فصول ، والقسم الثاني كذلك يقسم أبواباً وفصولاً .

٣

١ – فإذا أردنا مثلاً كتابة بحث عن « **التجديد في شعر شوقي** » .

كان لنا أن نرسم منهج البحث كما يلي :

أ – تصدير للبحث .

٢ – هيكل الرسالة ويشمل :

أ – الباب الأول : شاعرية شوقي ، ويحتوي هذا الباب على الفصول التالية :

الفصل الأول : عصر شوقي وبيئته وأثرهما في شعره .

الفصل الثاني : حياته وأثرها في شعره .

الفصل الثالث: منزلته في الشعر الحديث وآراء النقاد فيه .

الفصل الرابع : شاعرية شوقي أسبابها ومميزاتها .

ب – الباب الثاني: خصائص شعر شوقي ويشتمل هذا الباب على الفصول التالية :

الفصل الأول : ألفاظ شوقي وأسلوبه .

الفصل الثاني : معاني شوقي في شعره . .

الفصل الثالث : الخيال في شعر شوقي .

الفصل الرابع : العاطفة في شعر شوقي .

الفصل الخامس: أغراضه الشعرية والجديد منها .

جـ — الباب الثالث : حركة التجديد عند شوقي ، ويشمل عدة فصول :

الفصل الأول : الشعر المسرحي عند شوقي .
والشعر الإسلامي عند شوقي .
وشعر الطبيعة عند شوقي .

الفصل الثاني : الصور الجديدة عند شوقي في الخيال والعاطفة والأسلوب والموسيقى الشعرية .

الفصل الثالث : إمارة شوقي للشعر الحديث وأسبابها .

الفصل الرابع : عظمة شوقي وأثره في التجديد الشعري وآراء النقاد في ذلك .

٣ — الخاتمة : الجديد في البحث — المصادر — الفهرست ...

ب — وإذا أردنا كتابة بحث عن « **الوصف عند البحتري** » أمكننا أن نضع منهج البحث كما يلي :

١ — تصدير .

٢ — هيكل البحث ويشتمل على :

أ — الباب الأول : حياة البحتري ، ويحتوي على الفصول التالية :

الفصل الأول : عصر الشاعر .

الفصل الثاني : حياته .

الفصل الثالث : شخصيته .

الفصل الرابع : شاعريته وأسبابها .

ب — الباب الثاني : شعر البحتري ويشمل الفصول التالية :

الفصل الأول : ألفاظ البحتري وأسلوبه وموسيقاه .

الفصل الثاني : العاطفة والخيال في شعره .

الفصل الثالث : معاني الشاعر .

الفصل الرابع : أغراض شعره .

جـ – الباب الثالث : الوصف في شعر البحتري .

الفصل الأول : أهم موضوعات وصفه .

الفصل الثاني : تجديد البحتري في أوصافه .

الفصل الثالث : الخيال في وصف البحترى .

الفصل الرابع : أشهر قصائد البحتري في الوصف ، وبخاصة :

١ – وصفه لبركة المتوكل .

٢ – وصفه لإيوان كسرى .

د – الباب الرابع : منزلة البحتري في الوصف :

الفصل الأول : آراء النقاد في الوصف عند البحتري .

الفصل الثاني : مميزات البحتري في وصفه من حيث المعنى والصورة والموسيقى واللفظ .

الفصل الثالث : الموازنة بين قصيدتين للبحتري ولأبي تمام في الوصف وبيان مدى ما بلغه كل من الشاعرين في قصيدته من أسباب الجودة .

الفصل الرابع : الموازنة بين قصيدتين للبحتري ولشوقي في الوصف ، مع بيان منزلة كل من الشاعرين في وصفيهما .

٣ – خاتمة البحث – الجديد فيه – المصادر – الفهرست .

هـ – واذا أردنا الكتابة عن « **البحتري الشاعر** » أمكن أن يكون المنهج كما يلي :

الباب الأول : عصر الشاعر .

١ – الحياة السياسية .

٢ – الحياة الاجتماعية .

٣ – الحياة العقلية .

٤ – الحياة الأدبية .

الباب الثاني : حياة الشاعر .

١ – بيئة الشاعر .

٢ – أسرة الشاعر .

٣ – مولد الشاعر ونشأته .

٤ – الشاعر في مراحل حياته المختلفة .

٥ – شخصية الشاعر .

٦ – ثقافته وتفكيره .

الباب الثالث : شعر البحتري .

١ – ديوان الشاعر ورواته .

٢ – بواعث شاعريته .

٣ – آراء النقاد والكتاب في شعر الشاعر .

٤ – أغراض الشاعر في شعره .

٥ — خصائص الشاعر في ألفاظه وأساليبه ومعانيه وأخيلته .
٦ — تجربة الشاعر وموسيقاه .
٧ — العاطفة في شعره .
٨ — وحدة القصيد عنده .
٩ — منزلة الشاعر بين شعراء عصره .
١٠— فكر الشاعر وصلته بفكر العصر الحاضر .
خاتمة البحث — المصادر — الفهارس .

د — وإذا أردنا الكتابة عن « **مدرسة أبولو** وأثرها في الشعر المعاصر » أمكننا أن نضع منهج البحث كما يلي :

تصدير البحث .

الباب الأول : الهدف من قيام هذه المدرسة .

١ — العصر الأدبي الذي نشأت فيه هذه المدرسة .
٢ — لم قامت وكيف قامت .
٣ — تاريخ المدرسة الأدبي .

الباب الثاني : أشهر شعراء المدرسة .

١ — أحمد زكي أبو شادي ٢ — ابراهيم ناجي ٣ — أبو القاسم الشابي ٤ — علي محمود طه ٥ — حسن كامل الصيرفي ٦ — عبد العزيز عتيق ٧ — مختار الوكيل ٨ — الهمشري ٩ — مصطفى السحرتي ١٠ — جميلة العلايلي .

الباب الثالث : خصائص هذه المدرسة في الشعر المعاصر .

١ – الرومانسية في شعر هذه المدرسة .

٢ – وحدة القصيدة ورأي المدرسة فيها .

٣ – الخصائص التعبيرية لشعراء المدرسة .

٤ – القصيدة بتجربتها وموسيقاها عند هؤلاء الشعراء .

٥ – الشكل والمضمون في القصيدة عند شعراء المدرسة .

الباب الرابع : المدرسة بين المجددين والمحافظين .

١ – موقفها بين المدارس الشعرية المعاصرة .

٢ – ما وجه إليها من نقد .

٣ – نقاد المدرسة ودفاعهم عنها .

٤ – ما أحدثت المدرسة من تجديد في الشعر .

٥ – رأي نقاد المدرسة في الشعر الكلاسيكي .

الباب الخامس : امتدادات المدرسة في شعرنا الراهن :

١ – خصائص القصيدة عند شعراء اليوم .

٢ – صلة هذه الخصائص بدعوة مدرسة أبولو في الشعر .

٣ – خصائص المدرسة عند الشعراء : كمال نشأت ، محمد فوزي العنتيل ، عامر بحيري ، كامل أمين ، جليلة رضا .

الباب السادس : مجلة أبولو الشعرية وأثرها :

١ – الأثر الأدبي .

٢ — الأثر النقدي .

٣ — الأثر الشعري .

٤ — دعوتها إلى الرومانسية .

٥ — موقفها من القديم والحديث .

خاتمة في أهمية هذا البحث — المصادر — الفهارس .

٤

ومن الممكن عندما تقرأ فهرست أية رسالة من الرسائل الجامعية أن تقف على منهج الباحث من رسالته .

وكلما كان المنهج قوياً وشاملاً كان البحث مفيداً وذا أهمية علميـــة خاصة .

وإذا رجعت الى كتابي « ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان »، أو الى كتابي « أبو عثمان الجاحظ » أو إلى كتاب الدكتور طه حسين « تجديد ذكرى أبي العلاء »، أو الى كتاب « التصوف الإسلامي » لزكي مبارك ، أو إلى كتاب « مصادر الشعر الجاهلي » لناصر الدين الأسد ؛ أمكنك معرفة المنهج الذي التزمه المؤلفون لهذه الكتب ، وأهميتهـــا في البحث الأدبي الحديث .

الفصل الخامس

القـــراءة

١

القراءة فن ،

وإذا عرفت كيف تقرأ سهلت عليك القراءة ، وسهل عليك البحث كذلك .

ومن البدهي أنه يجب اتباع ما يلي في القراءة عند مـا تفكر في كتابة بحث :

١ – قصر القراءة على الكتب المتصلة بموضوع البحث ، ويمكنك معرفة الكتب التي تتصل بموضوع البحث عنـد قراءة عنوانها أولاً ثم فهارسها ثانياً .

٢ – البدء بالقراءة السريعة لاكتشاف ما يتصل بموضوع البحث في الكتاب المقروء .

٣ – الاعتماد على الفهارس الحديثة للكتب التي فهرست فهرسه حديثة مثل كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، ومثل كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني .

٤ – يكتب الباحث في بطاقات صغيرة كل النصوص التي يستجيدها

وتتصل بموضوع بحثه ، اذا كانت هذه النصوص صغيرة جداً ، اما اذا كانت كبيرة فيكفي أن يذكر خلاصتها ، مع ضرورة ذكر المرجع الذي أخذ عنه ، ورجع اليه (رقم الصفحة والجزء) ، مـــع ذكر المؤلف والمطبعة التي طبع فيها الكتاب ، والعام الذي طبع الكتاب فيه .

فكل نص يقرؤه الباحث ويجب أن يدونه في البطاقة عليه أن يذكر النص ثم يذكر أسفله رقم الصفحة التي نقل منها والجزء الذي ورد فيه هذا النص ، مع بيان اسم الكتاب ، فاسم المؤلف واسم المطبعة التي طبع فيها الكتاب ، والعام الذي طبع فيه كما ذكرنا .

والنص اما أن يكتب كاملاً ، دون تصرف ؛ واما أن يلجأ الباحث الى الاختصار ويستحسن ذلك إذا كان النص طويلاً كما أسلفنا ، وعندما يكون الكتاب المرجع ليس في حوزة الباحث بأن يكون قد استعاره من إحدى المكتبات أو من أحد الأصدقاء ، ويكتب في البطاقة عندما يكون النص قد نقل باختصار : راجع صفحة – جزء – من كتاب كذا – تأليف فلان ، لأن كلمة راجع تشير الى أن النص منقول بتصرف .

٥ – ينظم الباحث هذه البطاقات فيجمع البطاقـــات التي تتصل بموضوع واحد أو فكرة واحدة بعضها مع بعض ، لأنه سوف يستفيد منها في كتابة هذا الموضوع أو ذاك ، فهي التي ستمده بالمادة العلميـة اللازمة للبحث .

٦ – يعيد الباحث قراءة كل ما يتصل بموضوع معين من بحثه قبل كتابته بهذا الموضوع مباشرة .

٧ – عندما يتشكك الباحث في نص كتبه في البطاقة عليـــه ان

يراجعه في مصدره مرة أخرى .

٨ – لا نعنى هنــا كثيراً ببيان حجم البطاقة ولا طريقة الكتابة فيها ، ولا بأشياء أخرى لا تتصل كثيراً بجوهر الموضوع .

٢

بم يبدأ في القراءة ؟

وعلى الباحث أن يبدأ بالقراءة في المصادر الأصول والمخطوطة أولا ، ثم ينتقل منها الى المراجع والفروع ثانياً وعليه أن يكون شديد اليقظة أثناء القراءة ، قوي الشخصية ، يفهم قيمة ما يقرأ ويستطيع نقده وتمييز البواعث المختلفة التي أثرت في المؤلف ، وجعلته يميل الى هذا الرأي أو الى ذلك الاتجاه .

وتنظيم القراءة واختيار أوقات النشاط الذهني لهـا أمر ضروري وحيوي ليتسنى للباحث فهم ما يقرؤه ، والأخذ عنه أخذاً صحيحاً غير محرف ولا مشوه ولا مضطرب ، ولأن إجادة القراءة وسرعتها تختصر نصف أوقات الباحثين اختصاراً كبيراً .

٣

كيف تقرأ كتاباً ؟

١ – قراءة الكتاب فن يقتضيك الامعان في مقدمته لمعرفة منحاه وموضوعه ومنهج البحث فيه ، والهدف من تأليفـه ، فاذا أضفت الى ذلك قراءة خاتمة الكتاب وفهرسه ، زاد الأمر وضوحاً عندك ؛ وهذه

القراءه الصغيرة المحدودة هي عملية كشف واختبار لموضوع الكتاب وأهميته وقيمته ومنهجه .

ثم عليك بعد ذلك أن تبدأ القراءة فصلا فصلا الى نهاية الكتاب ، وقراءة موجبة لا سلبية ، أساسها دراسة الجديد في الكتاب وما يحتوي عليه من أفكار شائقة وآراء مفيدة ، ودراسة مدى التزام المؤلف بالمنهج الذي ذكره في مقدمته ، ثم دراسة ما أخذه المؤلف من غيره ، ومدى أمانته العلمية في الأخذ والأختيار ، ثم دراسة قيمة الكتاب وأهميته .

ويلي بذلك تدوين بطاقة خاصة بالكتاب وبرأيك فيه ..

٢ – فاذا كنت تقرأ الكتاب بغرض كتابة بحث معين ، فعليك **أولاً** أن تقوم بعملية الكشف الأولى للكتب التي بين يديك لمعرفة ما ينفع منها في البحث ، ولتحديد النقاط المتصلة بجوهر البحث وثانياً قراءة كل ما يتصل ببحثك من صغير أو كبير في مختلف المصادر والمراجع والافادة منها وتدوين بطاقات صغيرة بما فيها من رأي أو فكرة .

الفصل السادس

الكتابة والتدوين

١

مرحلة اختيار الموضوع واعداد الخطة وتنظيم المراجع ، واختيارها والقراءة فيها ، وجمع المادة اللازمة للبحث منها ، مرحلة سابقة ، لمرحلة جديدة هي مرحلة كتابة البحث وتدوينه .

ومرحلة الكتابة تقتضي فرز البطاقات وتنظيمها واعدادهـا اعداداً جيداً وفق خطة البحث .

وليس من الضروري أن يثبت الباحث في بحثه كل شيء جمعه من مختلف المصادر ، بل يثبت الباحث ما له علاقة مباشرة بالموضوع ، وما يمكن الإفادة منه في مادة البحث أو ما يقود الباحث الى رأي جديد ؛ ولذلك يجب أن يتخير الباحث من المواد التي جمعها كل ما له أثر وقيمة وأهمية في كتابة البحث .

وليس المهم في الرسالة جمع الكثير من المواد الغزيرة ، بل المهم مع ذلك أيضاً حسن فهمها ونقدها ومناقشتها وعرضها عرضاً جذاباً منظماً جديداً يدل على شخصية الباحث ومدى تأثيرها في بحثه .

والباحث مطالب بتحمل مسئولية كل ما يثبته في بحثه ، .وان كان متابعاً فيه لمفكر كبير ، فلا يعفيه من المسئولية ، أن الرأي الذي أثبته ليس له اذ هو الذي يتحمل وحده خطأ ما يقع فيه .

ومن الضروري أن يجمل الباحث في نهاية كل جزء من أجزاء البحث خلاصة للجزء السابق.

٢

وعلى صاحب البحث أن يرتب الموضوع ترتيباً منطقياً وترتيباً تاريخياً يدل على وعي شديد منه، فيبدأ في البحث بالمقدمات ليصل منها الى النتائج، واذا ذكر أعلاماً ذكرها مرتبة بحسب تاريخ الوفاة، فيقول مثلاً: «كان حماد وابو عمرو بن العلاء والمفضل وخلف وابو عبيدة والأصمعي من أعلام الرواة في العصور القديمة»، لأن حماداً توفي عام ١٥٤ هـ، وابا عمرو توفي عام ١٥٦ هـ، والمفضل المضبي توفي عام ١٧٨هـ، وخلفاً عام ١٥١ هـ، وأما عبيدة فعام ٢٠٨ هـ، والاصمعي عام ٢١٦ هـ. فاذا ذكر بعكس هذا الترتيب كان ذلك قصوراً في الكتابة والبحث.

ومن أمثلة الخطأ في الكتابة أن العقاد في كتابه «ابن الرومي» تحدث عن عصر الشاعر وذكر أنه كان يعاصره ابن سينا وابن رشد والغزالي. مع العلم بأن ابن الرومي توفي عام ٢٨٣ هـ، وابن سينا عام ٤٢٩ هـ، وابن رشد عام ٥٩٥. والغزالي عام ٥٠٥ هـ.

ومن أمثلة الخطأ كذلك ما يذكر من أن ابن جنى كتب تعليقات الى أبي العباس أحمد بن يحيى (ثعلب)[١]. ومعروف أن ثعلباً توفي عام ٢٩١ هـ، وأن ابن جنى ولد نحو عام ٣٠٠ هـ.

---

(١) ٢ : ٢٤٨ تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان.

٣

وهناك رموز تعد اختصاراً لكلمات ، ومن هذه الرموز :

١ – ق . م   أي قبل الميلاد
٢ – م   التاريخ الميلادي
٣ – هـ   التاريخ الهجري
٤ – جـ   جزء
٥ – ص   صفحة
٦ – (ص)   صلى الله عليه وسلم

ومن البدهي أن الكتابة تكون على وجه واحد من الورقة وعلى سطر دون سطر ، مع ترك مسافة مناسبة أسفل الصفحة لكتابة التعليقات ، مع المحافظة على علامة الترقيم في الكتابة ومع ترك الألقاب عند ذكر الأعلام أثناء البحث أما عند ذكر مصادر البحث فذكر الألقاب لا ضير فيه . وعند ذكر المراجع في هامش الصفحة يبدأ عادة باسم المؤلف فاسم الكتاب ، فرقم الجزء ، فرقم الصفحة .

ومن الأوفق بعد الانتهاء من كتابة البحث إعادة تبييض الصفحات التي تحتاج الى تبييض منه مع مراجعة كل شيء كتب مراجعة دقيقة .

وفي العادة أن تجعل ارقام مسلسلة ، توضع أمام كل نقطة أساسية من نقاط البحث ، فتبدأ برقم ١ ، ثم ٢ ، ثم ٣ ، ٤ ، وهكذا ..

٤

ومن البدهي أن البحث اذا كان رسالة يقدم بعد كتابته الى الاستاذ

المشرف لمراجعة وابداء الرأي فيه ، وعلى ضوء رأي الاستاذ يعاد النظر في الأصول المكتوبة ، فتعدل وفق ما يراه الأستاذ .

وبعد الانتهاء نهائياً من كتابة البحث تكتب فهارس وافية له ، وفي مقدمة الفهارس فهرست — بالموضوعات ، وفهرست أبجـــدي بالمصادر . واذا طبع البحث زيـــد في فهارسه فهرست أبجدي كذلك بالاعلام ، وآخر باسماء الأماكن ، وآخر بالآيات القرآنية ، وآخر بالأحاديث النبوية ، وآخر بالقوافي الشعرية التي وردت في البحث .

عَلاماتُ التَرقيم

١

. النقطة توضع في نهاية الجملة التامة المعنى المستوفية لكل متعلقاتها وعند انتهاء الكلام .

٢

، الفصلة ، توضع بعد ما يلي :

١ – لفظ المنادى

٢ – بين الجملتين المرتبطتين معنى واعراباً

٣ – بين الشرط والجزاء

٤ – بين المفردات المعطوف بعضها على بعض .

٣

؛ الفصلة المنقوطة ، توضع :

١ – بعد جملة ما بعد سبب فيها

٢ – بين جملتين مرتبطتين معنى لا أعراباً .

٤

: النقطتان توضعان :

١ – بين القول ومقول القول

٢ – بين الشيء وأقسامه

٣ – قبل الأمثلة التي توضح القاعدة .

٥

؟ علامة الاستفهام توضع عقب جملة الاستفهام .

٦

! علامة الانفعال توضع في آخر جملة يعبر بهـا عن فرح أو حزن أو تعجب أو تأسف .

٧

– الشرطة توضع في أول السطر في المحاورة بين اثنين استغنى عن تكرار اسميهما .

وبين العدد والمعدود ، مثل : اولاً – ومثل : ١ – .

٨

– – الشرطتان ، وتوضع الجملة الاعتراضية بينهما .

... علامة الحذف – توضع مكان المحذوف من كلام مقتبس .

ويمكن مراجعة علامات الترقيم بتفصيل في كتب الإملاء العربي .

الفصل السابع

مناهج البحث عند العلماء المسلمين

١

يقوم البحث العلمي الحديث على أسس مقررة هي :

١ — الاقبال على البحث بروح علمي نزيه محايد مستعد لقبول الحق واعتقاده .

٢ — الشك في الموضوع حتى تثبت صحته .

٣ — التجربة التي تبدأ بالملاحظة ، ثم بالاستقراء ، ثم بالموازنة والترتيب ، ثم الاستنباط القائم على المقدمات للوصول الى نتيجة .

وهذا هو المنهج العلمي الذي ادعى بيكون أنه من ابتكاره ، وفي الواقع أنه كان فيه تلميذاً لعلماء المسلمين وبخاصة النظام والجاحظ والغزالي وغيرهم من اعلام العلماء والمسلمين .

٢

الشك والحياد الفكري بدء الحركة في العمل العلمي ، « وكان النظام (١٨٠ — ٢٢١ هـ) يقول : الشاك أقرب إليك من الجاحد ؛ ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك ، ولم ينتقل أحد من اعتقاد الى اعتقاد

غيره حتى يكون بينهما حال شك[١] . وعلى ضوء هذه الفكرة سار الجاحظ الذي يقول : اعرف مواضع الشك ، وحالاتهـــا الموجهة له ، لتعرف مواضع اليقين والحالات الموجهة له ، وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلماً ، فلو لم يكن في ذلك إلا تعرف التوقف ثم التثبت ، لقد كان ذلك مما يحتاج اليه ، وقال النظام : الشاك أبصر بجوهر الكلام من أصحاب الجحود ، والشاك أقرب اليك من الجاحد[٢] » .

ولقد تابع العلماء المسلمون النظام والجاحظ في هذا المذهب ، كالغزالي وابن رشد ، فالغزالي في كتابه « المنقذ من الضلال » يقرر أنه مر بمرحلة الشك في الأمور حتى يقوم البرهان على صحتها ، وقال : كل ما أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني .

واذا كان النظام يعتبر الشك أساساً للبحث ويعمد الى التجربـــة واستخدام المنطق في البحث عن الحقائق ، فان الجاحظ كان يجعل الشك سبيلا الى اليقين ، وهو يضيف الى الشك النقد العلمي ، فهو مغرم بالتنبيه على الخرافات ، والنيل من أصحابها حتى لقد نقد النظام والكندي كما نقد أرسطو .

٣

والتجربة أو الامتحان — كما يعبر الجاحظ أحياناً — يستخدمها ابو عثمان استخداماً بارعاً عجيباً ، وكذلك كان أستاذه النظام كما يدلنا على

(١) ٦ : ٣٦ الحيوان .
(٢) ٦ : ٣٥ المرجع .

ذلك كتاب « الحيوان » فهو يسقي الخمر للحيوانات ليرصد النتائج ، ويجري تجارب على ذكر النعام ليعرف كيف يبتلع الجمر والحجارة المحماة والحديد والزجاج والمسامير .

وكان الجاحظ يستند أبداً على التجربة والملاحظة ؛ ويرى الأمور مع عللها وبرهاناتها ، يلاحظ ويحس ويتدبر ، لا يمتهن شيئاً في الكون ، وان كان ضئيلا (١) .

وكان الجاحظ يريد الناس أبداً أن يجربوا بأنفسهم (٢) ، ويعمد في التجربة الى طرق مختلفة ، ويجمع الى معونة الحس معونة العقل ، فاعتمد الحواس والعقل في درك الأمور ، فالعنصر الأول من عناصر تحقيقه التجريبي هو المعاينة ، يضم اليها التجربة والفرض والمقابلة والتصنيف .

وللجاحظ الملاحظات الدقيقة ، والتوجيهات اللطيفة ، حتى في أدق الأمور (٣) ، وقد روى تجارب كثيرة لغيره من معاصريه ، كالنظام ومحمد ابن الجهم ، وكان ينقد الآراء الشائعة بعقله العلمي ، فهو يهزأ بوجود طلسم يمنع البعوضة اذا عضت أن تكون لها حرقة ، ويكذب ذلك بأثر التجربة (٤) ، وكان يقوم بالتجارب في الانسان والحيوان والنبات ، ويفضل نتائجها على كل نقل ، ويأخذ نتائج تجارب الناس والخبراء .

انه كان يذهب في العلم مذهب العلم وصدق الحس لا يحكم غيرهما ولا

(١) راجع الحيوان ٣ : ٢٩٩ .
(٢) ١٧٤ ابو عثمان الجاحظ للمؤلف .
(٣) ١٧٥ و ١٧٦ المرجع .
(٤) ٥ : ١٢٠ الحيوان .

يحكم بسواهما ، حتى نراه يشرح الصاعقة ويعلل لهـا تعليلا عقلياً [١] ، وتراه يجري تجارب في شتى فنون العلم وبخاصة مباحث الطبيعة والأحياء ولا يقتصر على مصادره العلمية وحدها ، ويقول : أكثر البصراء رؤية للأعاجيب أكثرهم تجارب [٢] وقد ظلت آراء الجاحظ في التجربة منهجاً علمياً للباحثين المسلمين بعد عصره ، فذهب ابن رشد الى أن كل ما أدى اليه البرهان والعقل وخالفه ظاهر الشرع يقبل التأويل ، وقال الإمام الشافعي : ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون منـه ، وذهب ابن حزم الى حرمة التقليد ، وكذلك ذهب ابن تيميه الى وجوب الاجتهاد للقادر عليه وعن هؤلاء الأعلام من العلماء المسلمين أخذ بيكون ، واليهم رجع .

٤

وأساس البحث العلمي هو سلطان العقل ، وقد استفاد الجاحظ من المعتزلة والنظام القول بسلطان العقل [٣] .

واعتز ابو عثمان بجودة العقل والمعرفة ، ومن ثم حـذر من اعتزاز الانسان بما ألف ، وبما يعرض لقلبه بادىء الرأي ، وينادي بوجوب تحرر العالم من المألوف ومن المعرفة الأولى أثناء بحثه ، ومحاولته الوصول الى الحقائق ، ويقول : اذا سمعت الرجل يقول : ما ترك الأول للآخر شيئاً فاعلم أنه ما يريد أن يفلح [٤] ، ويقول : من أضر ذلك قولهم لم يدع

(١) ٥ : ٨٧ الحيوان .
(٢) ٣ : ١٣٩ الحيوان .
(٣) ١ : ٤٢٠ الحيوان .
(٤) ٢ : ٩ البيان .

الأول للآخر شيئاً ، فلو أن كل علماء كل عصر منذ جرت هذه الكلمة في اسماعهم تركوا الاستنباط لما لم ينته اليهم عمن قبلهم لرأيت العلم مختلا ..

وهو بهذا يفتح باب التجديد واسعاً على مصراعيه أمام أي باحث وعالم .

ولا يعتمد الجاحظ على الحواس وحدها ، ويقول : « لعمري ان العيون لتخطىء ، وان الحواس لتكذب ، وما الحكم القاطع إلا للذهن ، وما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل ، اذ كان زماماً على الأعضاء ، وعياراً على الحواس » .

وكما دعا الى العقل ، دعا الى الملاحظة ، وكان يقول لا تشفيني إلا الملاحظة .

ومع اعتقاد الجاحظ بما يكشفه العقل من حقائق الكون ، لم يتجاوز الى أكثر ، مما كتب له ادراكه .

٥

وبعد ، فهذا هو نمط من المنهج العلمي عند بعض العلماء المسلمين ، الذين عنهم أخذ بيكون واليهم رجع ، فمن الخطأ أن تنسب هـذه الطريقة التجريبية الى الغرب ، ولا تنسب الى مصدرها الأصيل ، وهم العلماء المسلمون أولاً ، وفي مقدمتهم هؤلاء العلماء الأعلام الذين يعتز بهم الفكر الاسلامي والانساني ، وفي مقدمتهم كذلك علماء الاندلس .

التجديد والابتكار عند العلماء المسلمين

بتأثير هـــذه العناية وتلك الرعاية نمت العلوم الاسلامية .. ونشأت علوم جديدة ، اشتقت من العلوم الشرعية ، ومن بينها علوم الاخلاق والفلسفة ، وآداب الملوك ، وسياسة الملك .. وقيادة الحروب وتعبئة الجيوش ، واستعمال الأسلحة ، وتدبير المـــال .. والتجارة والصناعة والزراعة ، وتدبير المنزل .. والبحث عن معرفة أسباب العمران .. واتسع مجال البحث في الطب والهندسة والفلك والجغرافيا والطبيعة والكيمياء وفن الحيل , أي الميكانيكا) والحساب والجبر وعلم النفس والمنطق والكلام وسائر العلوم الحكمية الدخيلة المترجمة ..

واتسعت مجالات الابتكار العلمي أمام العلماء المسلمين ، فقد وضع ابن سينا أصولاً قوية لعلم الطبيعة والنبات والحيوان .. وأتى في الطب بتجارب قيمة ، وسبقه في الاهتمام بالعلوم الطبية أبو بكر الرازى ، الذي تناول كتب من سبقه من اليونان بالدراسة والنقد ، وقد اعتمدت أوربا على دراسات هذين الطبيبين مدة طويلة .

وكان المسلمون أسبق من نيوتن في كشف قوانين الجاذبية . وكان الامام الغزالي في كتابه « المنقذ من الضلال » أسبق من « ديكارت » بمئات السنين ، ولو كان قد ترجم هذا الكتاب في زمن ديكارت لاتهم بأنه اقتبس كل آرائه منه .

وقد فطن قدامـــة في البصرة الى كروية الارض وقصر النهار في

القطبين . وهدم عبد الحق بن سبعين المرسي (٦٦٩ هـ) المنطق الأرسطي وحاول وضع منطق جديد على أساس اشراقي .

وذهب ابن سينا في كتاب « الشفاء » الى وجوب تدبير الفنيين في الدولة ، وذهب ابن مسكويه الى ان الفضيلة الرئيسية هي الحب للجنس البشري ..

وذهب ابن خلدون في مقدمته المشهورة ، التي كانت أول كتاب في علم الاجتماع الى أن الانتاج من عوامل تقدم الدولة وتحضرها .

وقد تبحر ابن باجة الأندلسي (٥٨١ هـ) في دراسة فلسفة أرسطو التي تتلخص في : أزليـــة العالم ، وخلود النفس ووحدة العقل المفيض بالنسبة لجميع بني الانسان ووجوب صدور المعلولات عـــن عالمها دون استثناء ، وجحود علم الآلة بالجزئيات وانكار اشتغال العناية الالهيــة بعالم ما بعد فلك القمر .

وألف ابن زهر الأندلسي (٥٩٥ هـ) كتاب « التيسير » وهــو اول كتاب طبي يتناول فن المحافظة على صحة الجسم ، وقد ترجم الى اللاتينية عام ١٢٨١ م عن ترجمة عبرية .

وكان العلماء المسلمون يدعون الى الجمع بين التخصص العلمي والثقافة العامة ، وكان النظام والجاحظ يذهبان الى ذلك ويعتدان بموهبة العالم ، وان الانسان بدونهـــا لا يمكن ان يصير عالماً . وكان الجاحظ يذهب الى تطور الأحياء حسب البيئة ، وتعاقب الأيام ..

واذا كانت أحدث نظريات الحياة اليوم انهـــا « احتراق » ، فان الجاحظ قد سبق الى ذلك منذ أكثر من عشرة قرون ، يقول في كتاب « الحيوان » : « اني وجدت الانسان يحيا ويعيش حيث تحيا النار وتعيش ، وتموت وتتلف حيث يموت الانسان ويتلف .. ويعمد أصحاب المعادن

والحفائر اذا هجموا على فتق في الأرض ، أو مغارة في أعماقهـا ، الى شمعة في طرفها أو في رأسها نار ، فان ثبتت النار وعاشت دخلوا » .

ويعتمد العلماء اليوم موضوع الخلايا وتنفسها ، وأن التنفس لا يقتصر على الرئتين بل هو ممتد في جميع أعضاء الجسم .. والاحتراق يجري في الانسجة وقـد سبق الى ذلك الجاحظ ، فقال في كتاب « الحيوان » ، « لولا ان تحت كل شعرة وزغبة مجرى نفس ، لكان المخنوق يموت مع أول حالات الخنق ، ولكن النفس كان لهـا اتصال بالنسيم من تلك المجاري » .

ويقرر العلماء اليوم ان الأنسجة تمتد في النبات كما تمتد في الحيوان ، وفي ذلك يقول الجاحظ في كتاب « الدلائـل والاعتبار على الخلق والتدبير » : « تأمـل خلق الأوراق فانك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها أجمع » ..

ومما ذكره الجاحظ ان من طباع الشمس الايقاظ والبسط والنشر ، وان النبات « الخيري » تنضم أوراقه بالليل وتتفتح بالنهار ..

وقد ذهب الامام ابو حنيفة الى القول بالاستحسان ، اي ما يستحسنه العقل ، والامام مالك الى القول بالاستصلاح ، أي مـا يتفق مع المصلحة العامة .

وذهب الفقهاء الى المصالح المرسلة .. وبمثـل هذه المبادىء التشريعية العظيمة شق الفقهاء الطريق الى سعة التطبيق التشريعي واثبتوا ان الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان .

والطريف أن بعض الأوقاف الإسلاميـة في فاس ، كانت مرصودة لعلاج الأمراض العقلية عـن طريق الموسيقى ، فكانت الفرق الموسيقية تعزف ألحانها في مستشفى سيدي فرج بحي العطارين في فاس .

أسس الثقافة في الإسلام

والآن نتساءل : ما هي أسس المعرفة في الاسلام ؟

انه اذا كانت المادية الجدلية اليوم تحجر على العقل ، وتصر على انه يجب الا يخرج عن نطاق العلم التجريبي ، وألا يخضع لما يسمونه اوهاماً وغيبيات ، فان الاسلام قد أعز العقل وكرمه وشرفه ، وفتح له منافذ السموات والأرض ليبحث ويفكر ، والعقل الانساني لم يتخل أبداً عن مساندته للايمان .. والاسلام يتخذ من تفكر العقل في آثار القدرة المبثوثة في السماء والأرض سبيلا الى اليقين والدين الحق . يقول الله تعالى :

«ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير »..

فكان العلم والهدى والكتاب المنير ، ثلاثتها هي الطريق الى المعرفة في الاسلام . ويفسر المفسرون العلم بالعلم الضروري ، علم الفطرة والطبع والغريزة .. ويفسرون الهدى بالاستدلال والنظر الذي يهدي الى المعرفة ، والكتاب المنير بالوحي .. وان كنا لا نرى مانعاً من ان نذهب الى عكس ذلك ، فنفسر العلم بما يشمل الحقائق التي تستقر في النفس ويرشد اليها التفكير والبحث والدليل والتجربة ، والهدى بالالهام النفسي الذي تمده فطرة الله في النفس الانسانية ، والكتاب المنير بالوحي المنزل من السماء وهو القرآن والكتب السماوية المقدسة .

فأصول المعرفة في الاسلام ثلاثة : العلم الفطري المركوز في طبائع الناس كافة ، والذي يرشد الى التوحيد والايمان والخير والفضائل الانسانية ، والعلم النظري المستفاد من الحجة والبرهان والبحث والتجربة ، والوحي الالهي الداعي الى الايمان والدين والمثل والقيم الحضارية .

وكان المعتزلة في البصرة وبغداد في القرن الثالث الهجري يعتمدون على العقل وعلى التجربة ، ويبنون على ضوئها احكامهم ، وينادون بوجوب تحرر العالم من المألوف ، ومن المعرفة الأولى ، أثناء بحثه ومحاولته الوصول الى الحقيقة ، ويفتحون باب التجديد واسعاً على مصراعيه ، ويقول علم من اعلامهم وهو الجاحظ : « اذا سمعت الرجل يقول : « ما ترك الأول للاخر شيئاً فاعلم انه ما يريد أن يفلح » ..

وكانوا ينادون بترك الاعتماد على الحواس وحدها دون الافادة من حكم العقل ، فيقول جاحظهم : « لعمري ان العيون لتخطىء ، فلا تذهب الى ما تريك العين ، واذهب الى ما يريك العقل » .

وقد اعتمدوا الحياد العلمي والشك في الموضوع ، حتى تثبت صحته ، وآمنوا بالتجربة التي تبدأ بالملاحظة ، ثم الاستقراء ، ثم الموازنة والترتيب ثم الاستنباط القائم على المقدمات للوصول الى النتيجة .. وهذا هو المنهج العلمي الذي ادعى « بيكون » أنه من ابتكاره ، وكان فيه تلميذاً لعلماء المسلمين ، وبخاصة النظام والجاحظ . يقول أبو عثمان الجاحظ : « الشاك » أقرب اليك من الجاحد ، ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك .

وقرر الغزالي في كتابه « المنقذ من الضلال » : انه لم يقتنع بالتقليد ، واتجه الى العلم بحقائق الأمور ، وبنائه على اليقين .. ولذلك بدأ بالشك في كل شيء حتى يقوم البرهان على صحته ، وقال : كل ما أعلمه ولا

أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ، ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه فهـــو ليس بعلم يقيني .. ولم يذهب « ديكارت » في مذهبه الشك المنهجي الى غير ذلك ، وكان يقول : انا أفكر فأنا اذن موجود .

الفصل الثامن

الثقافة في رعاية العالم الإسلامي

١ – لقد كان المسلمون وكان خلفاؤهم وملوكهم وأمراؤهم وولاتهم، يتنافسون في رعاية العلم وحملتـــه وطلبته ويرصدون الأموال والأوقاف والجوائز والهبات الطائلة على هذا الوجـــه، لا يضنون بشيء في هذه السبيل، ولا يبخلون بالكثير ولا بالقليل في مجال هذا الشرف العظيم.. ألف الجاحظ كتاب «الحيوان» واهدى نسخة منه الى ابن الزيات الوزير فأهدى اليـــه خمسة آلاف دينار.. وألف «البيان والتبيين» وأهدى نسخة منه الى ابن أبي دؤاد فاهدى اليـه كذلك خمسة آلاف دينار. وكان الملك المعظم الأيوبي يجعل لكل من حفظ كتاب المفصل للزمخشري جائزة قدرها مائة دينار وخلعة ملكية..

وماضي الاسلام في اجلال العلماء معروف، يقول الشعبي: صلى زيد بن ثابت على جنازة، فقربت اليه بغلته ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه، فقال زيد: خل عنك يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا ان نفعل بالعلماء، فقبل زيد بن ثابت يده؛ وقال: هكذا امرنا ان نفعل بأهل بيت نبينا – صلى الله عليه وسلم –.

٢ – ولقد كان ذلك باعثاً للعلماء والطلاب على النهم العلمي والاقبال على التحصيل، مع الفقر الشديد حيناً، ومع العوائق الجمة حيناً آخر، ويؤثر أن ابا يوسف كان يلازم مجلس استاذه ابي حنيفة، ويترك العمل في سبيل العيش.. فجاءت الأم الى مجلس الأستاذ تلومه وتضرب تلميذه،

فقال لها : دعيه فلو رأيته يأكل الفالوذج (الحلوى) في قصور الخلفاء ، وتحقق ما تنبأ به الأستاذ العظيم لتلميذه الموهوب .

وكان الجاحظ ، وهو شاب صغير يتيم ، منصرفاً الى العلم والقراءة انصرافاً تاماً ، وفي يوم طلب الطعام من امه المسكينة الفقيرة ، فجاءته بطبق عليه كراريس ، فقال : ما هذا ، قالت : هذا الذي تجيء به .. فخرج من منزله باكياً ، وجلس في مسجد البصرة الجامع ، فشاهده يونس بن عمران فسأله : ما شأنك ؟ فحدثه الحديث ، فأخذه معه الى منزله وقرب اليه الطعام وأعطاه خمسين ديناراً ، فدخل السوق واشترى الدقيق وغيره ، وحمله الحمالون الى داره فعجبت الأم لذلك وبادرته : من اين لك هذا ؟ قال : من الكراريس التي قدمتها الي .

٣ — ولقد كانت الرحلات العلمية مستمرة بين مختلف مدن العالم الاسلامي ، للقاء العلماء ، او لتحقيق مسألة علمية ، او لضبط رواية من روايات العلم ، أو لالقاء المحاضرات والمناظرات في أي مكان من بلاد المسلمين ..

وكان الطريق بين بخارى وبغداد ، وبين بغداد وقرطبة يحفل بالراحلين من العلماء والأدباء والطلاب .. ورحلة القالي الى الاندلس عام ثمانية وعشرين وثلثمائة ، وحفاوة ولي العهد الحكم بن الناصر به معروفة ، والرحلة في طلب العلم كانت ديدن العلماء والمتعلمين لما فيها من الثواب العظيم . يقول السهروردي في « عوارف المعارف » : كان ابو الدرداء يجلس في مسجد دمشق ، فأتاه رجل ، فقال : يا ابا الدرداء اني أتيتك من المدينة — مدينة الرسول — لأسمع منك حديثاً سمعته من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : فما جاءت بك تجارة ؟ قال : لا ، قال : ولا جاء بك غيره ؟ قال : لا ، قال أبو الدرداء : سمعت رسول الله — صلى

الله عليه وسلم – يقول : من سلك طريقاً يلتمس به علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنـــة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، وان طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض ، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ، وان العلماء هم ورثة الأنبياء.

٤ – ولقد أنشأ المسلمون المكتبات العامـة في كل مكان ، وألحقوا بعضها بالمساجد والمدارس والزوايا والأربطة والمستشفيات ، عدا المكتبات الخاصة التي كانت تحفـــل بها الدور والقصور . وناهيك بمكتبات بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة وغيرها من مدن الاسلام وحواضره ..

وكان الكتاب أنفس شيء عند المسلمين ، وأعز مـــا يهدونه الى أحبابهم .. دخل الجاحظ على الوزير ابن الزيات في داره في بغداد يعوده في مرض الم به ، فسلم عليه وقال له : فكرت في شيء اهديه اليك فلم أر اشرف ولا اطرف من كتاب سيبويه بخط الكسائي وعرض الفراء (٢٠٧ هـ) وقد اشتريته من ميراث الفراء ، فقال ابن الزيات : والله ما أهديت الي شيئاً أحب منه ..

وكان امير البصرة اسحاق بن سليمان – وكان الجاحظ يزوره في دار الإمارة ، وهو يحوطه الجلال والمجد – فلما عزل ذهب اليـه يزوره في داره ، قال الجاحظ : فدخلت عليه في بيت كتبه وحواليـه الدفاتر والقماطر ، والمساطر والمحابر والاسفاط والرقوق ، فما رأيتـه قط افخم ولا أنبل ولا أهيب ولا أجزل منه في ذلك اليوم لأنه جمع مع المهابة المحبة ، ومع الفخامة الحلاوة ، ومع السؤودد الحكمة .. ولقد كانت خزائن كتب كبار العلمـــاء وكذلك الملوك والأمراء والوزراء تحوي مئات الالوف من المجلدات ، وكانت مكتبة الصاحب بن عباد تحمـــل على اربعمائة بعير .

وقد انشأ الرشيد في بغداد « بيت الحكمة » ونقل اليه الكتب التي عثر عليها في غزواته في بلاد الروم ، وعهد الى يوحنا بن ماسويه امر الاشراف على ترجمتها ، واسند المأمون بن الرشيد الى سهل بن هارون رياسة هذه الدار ، وأوفد بعثة علمية الى امبراطور الدولة الرومانية الشرقية ، فيها مهرة المترجمين ، وطلب منه ان يقدم لهم الكتب الاغريقية القديمة ليترجموها الى العربية اثناء اقامتهم في عاصمة ملكه . وذلك شبيه بما صنعه جده المنصور العباسي الذي بعث الى قيصر الروم كذلك يسأله ان يصله بما لديه من كتب الفلاسفة الحكماء ، ولما وصلت هذه الكتب بغداد اختار المنصور لها المترجمين ، وكلفهم احكام ترجمتها .

وقد امتلأ بيت الحكمة بالكتب الاغريقية المهداة الى الخلفاء من ملك جزيرة قبرص وملك الروم .

واول كتاب ترجم الى العربية كتاب بطليموس في الفلك ، وقد وضع يحيى بن ابي منصور المأموني جداول فلكية والف كتاباً سماه « الآمال » وقام بمشاهدات فلكية فوق جبل قرب بغداد وفوق جبل قيصوم قرب دمشق ، وذلك في عام خمسة عشر ومائتين من الهجرة .

وشيد الحاكم الفاطمي في القاهرة عام اربعة وتسعين وثلاثمائة (١٠٠٤) دار الحكمة وافتن في تشييدها ، وفي الكتب التي احتوت عليها والحق بها مجلساً للمناظرة ، وكانت تختلف عن اية مدرسة في الأمصار الاسلامية .

وشيد الأغالبة كذلك في القيروان بيت الحكمة للعلوم الفلسفية والرياضية ولترجمتها .

وقد اشترى محمد بك ابو الذهب ، احد حكام مصر في عصر العثمانيين ، نسخة خطية من كتاب « تاج العروس » من مؤلفه محمد مرتضى الحسيني

الزبيدي بمائة الف درهم ووضعها في مكتبة مسجده المسمى باسمه المواجه للجامع الأزهر .

وهذا الاهتمام بالعلم وبالكتاب وبالمكتبات يفند لنا اكذوبـــة حرق عمرو بن العاص لمكتبة الاسكندرية ، وقـــد كفانا المستشرقون انفسهم مؤونة ذلك ، فاثبت المنصفون منهم انها كانت قد احرقت قبـل الفتح الاسلامي بكثير ، في الخلاف بين انطونيوس واكتافيوس .

الفصل التاسع
جامعات مشهورة في بلاد الإسلام

نذكر هنا في ايجاز على سبيل المثال ثلاث جامعات اسلامية كبرى ، جامعـــة استمرت في اداء رسالتها الدينية حتى اليوم ، واثنتين توقفتا بفعل الاحداث والمحن التي ابتلي بها العالم الاسلامي طوال عصور التاريخ.

الازهر :

أما الاولى — فهي جامعة الأزهر الشريف ، التي احتفل المعز لدين الله الفاطمي بافتتاحها في القاهرة المعزية في سبع خلون من رمضان عام واحد وستين وثلاثمائة هـ (٢٢ من يونيو ٩٧٢ م) ، لتكون صرحاً اسلامياً باقياً على الزمن ، ولقد حرص وزير المعز ، يعقوب بن كلس ، على ان يقيم حلقة علمية في الأزهر ، حيث كان يملي على الناس فيه في مجلس خاص مصنفاته في الفقه الفاطمي ، كما كان يجتمع فيه يوم الثلاثاء بالفقهاء وجماعة المتكلمين واهل الجدل ، ولما تولى العزيز الفاطمي الخلافة بعد ابيه حرص على تكليف كبار العلماء باقامة حلقات علمية في اروقـــة الأزهر ، وكان يمنحهم مرتبات شهرية ، وكان عددهم في اول الأمر سبعة وثلاثين عالماً ، وكانت دروسهم في كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر ، وفي عام ثمانين وثلاثمائة (٩٩٠ م) عين عدد كبير من العلماء لتدريس العلم وقراءته بالأزهر الشريف طيلة ايام الاسبوع . ومن هـذا التاريخ يبدأ الأزهر حياته العلمية الصحيحة ، وكان في مقدمة الاساتذة المدرسين فيه بنو النعمان قضاة مصر .. وظلت الحركة العلمية والدينية فيه قوية مزدهرة في عصر الفاطميين .

واول شيخ تولى مشيخة الأزهر الشريف هو الشيخ الخرشى المالكي (١١٠١ هـ) ، والشيخ الحالي هو الشيخ الثالث والأربعون وهو الشيخ حسن مأمون .

وأساتذة الأزهر من جميع انحاء بلاد المسلمين هم الذين تولوا التوجيه الديني في العالم الاسلامي طول عصور التاريخ ، وتخرج منه طيلة ألف عام او يزيد افواج الطلاب ، من كل مكان في العالم ، ممن تولوا الزعامة الدينية والفكرية والوطنية في بلادهم . وكانت حلقات الأزهر تحمل عن المسلمين رسالة الاسلام الروحية والثقافية وتؤديها ناصعة بيضاء كخيوط الفجر ، مشرقة هادية كشعاع الشمس .. ومن هذه الحلقات تخرج زعماء الاسلام وقادتـه وابطال النضال الوطني الذين صمدوا للاستعمار الأوربي قروناً طوالاً .

المدرسة النظامية :

وأما الجامعة الثانية : فهي المدرسة النظامية الشهيرة ، التي أنشأها الوزير نظام الملك وافتتحها عـــام تسعة وخمسين واربعمائة من الهجرة (١٠٦٧ م) ، وكان من اساتذتها : امـــام الحرمين الجويني ، والإمام الغزالي ، والمؤرخ بهاء الدين . ودرس بها اعلام العلماء المسلمين من كل مكان . وقد زارها الرحالة ابن جبير الأندلسي عام واحد وثمانين وخمسمائة ، وذكر انها اعظم مدرسة من ثلاثين مدرسة تقـــع في شرق بغداد . ورأى اصحاب الأوقاف قادمين من بلادهم يحملـون الايرادات الموقوفة عليها ، لتدفع منها أجور المدرسين ، واعانات الطلاب ، ولينفق منها على المحافظة على المباني ، ثم زارها الرحالة المغربي ابن بطوطة عام سبعة وعشرين وسبعماية ووجدها في حالة طيبة .

وتحدث عنها المؤرخ الفارسي حمد الله ، الذي زارها عام تسعة وثلاثين

وسبعمائة ، وسماها ام مدارس بغداد .. ولا اثر لهذه الجامعة اليوم .. ومن الجدير بالذكر ان الوزير نظام الملك ابا علي الحسن بن علي الطوسي أنشأ مدارس اخرى على نمط النظامية ، بالري ونيسابور وهراة وبخارى.. وقد حاول هذا الوزير ان يسمح له الفاطميون بنقل رفات الإمام الشافعي لدفنها في النظامية فرفض ذلك اهل القاهرة ، كما يحكي لنا المؤرخ المقريزي ..

المستنصرية :

والجامعة الثالثة – هي المستنصرية في بغداد ايضاً ، انشأها الخليفة العباسي المستنصر بالله عام واحد وثلاثين وستمائة ، قبل غزو التتار لعاصمة الاسلام بربع قرن ، واراد ان تبذ النظامية في هندستها ومبانيها. فكانت من الروعة والعظمة بمكان كبير ، مما جعلها لا نظير لها أبهة وجمالاً وجلالاً . وكانت تحتوي على اربعة معيدين وعدد من المدرسين ويتولى أمر تعليم خمسة وسبعين طالباً ويتلقى العلماء والمدرسون والمعيدون فيها رواتب شهرية ، ويمنح طلبتها ثلاثمائة دينار ذهبي كل شهر ، ويقدم لهم الطعام والشراب والكساء . وكانت تحتوي على مكتبة ضخمة ، وقد نجت المستنصرية من تدمير التتار ، وأشاد كل من ابن بطوطة وحمد الله بعظمتها ، وكانت اوقافها تقدر بنحو مليون دينار ، وتغل نحو نيف وسبعين الف دينار من الذهب سنوياً . وعلى مرور الأيام اصبح بها نحو خمسمائة عالم .. وهي اليوم اطلال دارسة .

الفصل العاشر

العصر الحديث والثقافة العربية

عصفت الأحداث السياسية الكبرى في العالم الاسلامي بكثير من اصول ثقافتنا ، ومن مثل هذه الأحداث : الحروب الكبرى التي دارت بين المسلمين والدول الاسلامية ، وحريق الفسطاط في آخر العصر الفاطمي الذي دمر المكتبات والمدارس والجامعات فيها ، وجاء الأيوبيون فبددوا تراث الفاطميين تبديداً ، وبيعت الكتب لأصحاب المواقد ليشعلوا بها نيران مواقدهم .. وكان تدمير بغداد ودمشق على ايدي التتار مروعاً ورهيباً ، بما فيها من مكتبات وذخائر وكنوز علمية وفنية لا تقدر بثمن .

والى جانب ذلك كان التدمير البربري الأوربي لأصول الثقافة الاسلامية شاملاً ، ومن وسائل هذا التدمير احراق المدارس والجامعات والمكتبات في صقلية بعد استيلاء النورمانديين عليها من ايدي المسلمين ، وفي الشرق الاسلامي خلال الحروب بين الحمدانيين والامبراطورية الرومانية الشرقية ، وخلال الحروب الصليبية ايضاً ، حتى لقد احرق الصليبيون في طرابلس الشام وحدها دار كتب كان فيها ما يزيد على ثلاثة آلاف الف مجلد ، عدا مـــا دمروا في بيت المقدس كذلك . وفي الاندلس بعد سقوطها في أيدي الاسبان في آخر القرن التاسع الهجري أحرقوا في غرناطة وحدها ثمانين ألف كتاب وبلغ ما أحرقوه بعد ذلك ألفي ألف مجلد ، ثم ظفروا بثلاث سفن مشحونـــة بالكتب العربية ؛

وقاصدة بلاد المغرب فسلبوها ، واحرقوا أكثرها ، وألقوا بالقليل الأقل منها في قصر الاسكوريال ، ثم عمدوا الى هذا القليل فأشعلوا فيه النار ، ولم ينج منه الا مئات المجلدات.. ومن الغريب أن يعودوا اليوم الى الاحتفال بذكرى علماء الأندلس ، كما احتفلوا بذكرى ابن حزم في العام الماضي. وفي ديسمبر عام ١٩٦٥ احتفلوا بذكرى ابن عربي بالاشتراك مع معهد الدراسات الاسلامية في مدريد.

ويضاف الى ذلك ما صنعه الاحتلال الأوروبي لبلدان العالم الاسلامي ، من سرقة المخطوطات حيناً ، ومن احراقها حيناً آخر .. ومكتبات الحرم المكي والحرم النبوي النفيسة الثرية بالمخطوطات الاسلامية لم يبق منها شيء ، وكذلك المكتبات الاسلامية في ليبيا وغيرها من الشعوب العربية ، وآخر ما شهدناه حرق مكتبة جامعة الجزائر بأيدي المستعمرين الفرنسيين ، وكان فيها نحو الف الف مجلد.

ودع عنك ما صنعه الاستعمار من عرقلة الطريق أمام المثقفين بالثقافة الدينية ، ومن صرف الشباب عن هذه الثقافة بكل وسيلة ، ومن كتابات المستشرقين الذين يحاولون تشويه الاسلام وأصوله وثقافاته في نظر الأجيال ، ولم تطاوعهم ألسنتهم ان يقولوا : الحضارة الاسلامية او الثقافة الاسلامية ، فأحلوا محلها كلمة الحضارة العربية والثقافة العربية كما فعل غوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » . وقد خطط المستشرقون لدراسة التراث اللغوي والأدبي مناهج أصبحت هي السائدة في كل مكان ، وعادوا يخططون لدراسة التراث الاسلامي نفسه ، ليصرفوا الشباب عن افكار العلماء المسلمين ، الى الدراسات المملة التي لا تتصل بهذه الثقافة الا من بعد.

وفي ذروة الأحداث التى صنعها الاستعمار كان المسلمون يلوذون باللغة

العربية ، لغة القرآن وثقافاته وعلومه ، حتى ليقول كاتب جزائري: كانت معرفتنا بالحروف العربية تعصمنا ونحـن نتعلم القراءة والكتابة بالفرنسية من ان يسحقنا ذلك التعليم الذي تقوم عليه حضارة كاملة .

وفي عصر الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين كانت هناك نظريتان :

الأولى تقول بتقديم العمل السياسي من اجل الحرية والنضال الوطني على العلم والثقافة .

والثانية تنادي بان السلاح الذي يجب أن تسلح الامم الاسلاميـة نفسها به لكي تتحرر من ربقة الاستعمار ، هو العلم ، فالعلم هو الوسيلة لكسب معارك الحرية .

وشب خلاف بين انصار هاتين النظريتين ، ولكن الركب الزاحف عرف كيف يشق طريقه بين الصخور والجبال .

وكانت الثقافة الاسلامية في مقدمة الركب السائر في طريق الاستقلال ولطلبه ، وصارت هي امضى أسلحتنـا في التحرر والتقدم وفي معارك النصر التي خاضتها مصر طول عصور التاريخ . واليها دعا محمد فريـد وجدي في كتابه « الاسلام في عصر العلم » .

كان الاستعمار يحاول فرض لغته في كل بلاد الاسلام شرقاً وغرباً ، ويعمل بكل وسيلة لعرقلة النمو الفكري والثقافي للمسلمين .

فلما قامت الحركات الوطنية والثورات القومية ونالت هذه الشعوب أو اكثرهـا استقلالها ، بدأت حركة العلم والتعليم والبحث العلمي تشق طريقها وسط مقاومة الاستعمار وعراقيله واشواكه . واتجهت مصر الى العناية بانشاء المدارس والجامعات وتشجيع العلم والعلماء والى العنايـة بالتراث الاسلامي وبذلت في هذا السبيل كل ماتستطيع ، وقضت على كل

ما خلفه لنا الاستعمار من جراثيم ثقافية ومـــن قيم شوهاء ومناهج فاسدة ، ومعارف قصد بهـــا خدمة الاستعمار وسياسته اولاً وأخيراً .

واليوم ، وبعد أن تحررنا من الاستعمار والتبعية والعوز ، وصارت امورنا بأيدينا تتجـه القافلة في بلادنا الى غايات منطلقاتها ، في تكريم العلم واعزاز العلماء ، وانشاء المدارس والجامعات والمعاهد والمجامـــع العلمية ، ودور الكتب ..

وأصبحنا نرى في جامعاتنا ومعاهدنا ومراكز البحوث العلميـــة في بلدنا ، وفي مجامعنا العلمية ، وفي كل فروع الثقافـة في وطننا مظهراً قوياً لاستقلالنا الفكري والحضاري ، وأساساً سليماً لبناء حاضرنـا على أسس متينة يربطها بماضينا المزدهر أوثق الصلات والروابط .

وللثقافة نصيبها الأوفى في مجتمعنا الجديد ، فهي تتمثل في جامعاتنا المدنية وفي جامعة الأزهر بكلياتها الدينية والعملية في صورة رائعـــة مشرقة لخلق فكر جديد مبدع موهوب يعمل من أجل الاسلام والعروبة ، ويجد في خدمة الحضارة والانسانية والسلام العالمي ويسلح نفسه بالقوة التي تحميه من مؤامرات الاستعمار والصهيونية ومؤامراتها الدنسة .

والمستقبل للشعب العربي والاسلامي ، لأنه يحمل من مواريث العلم والثقافة والحضارة ما لا يستطيع أن يبذه فيه شعب آخر .

القسم الثاني

مَصادِرُ البحوث الأدَبيّة

الفصل الاول

المصادر والمراجع

١

المصادر والمراجع في البحث هي الأساس الذي يمدنا بكل مواد البحث الأولية ، وهي التي يتم بها تكوين البحث ونماؤه ، والتي تأخذ عنها الأفكار والآراء المختلفة المتعلقة بموضوع البحث .

المراجع الأصلية أو المصادر هي أقدم ما يحوي مادة عن موضوع ما ، وهي المراجع ذات القيمة الأساسية في الرسائل الجامعية ، ومن ثم كانت كثرتها في الرسائل مدعاة لظهور قيمتها العلمية وسبباً من أسباب جودة البحث وذيوعه وانتشاره .

ويمكن تقسيم دراسة المراجع بصفة عامة الى قسمين :

١ — دراسة أهم مراجع البحث الخاصة بكل علم أو فن على حدة مثل دراسة أهم مراجع الأدب أو التاريخ أو علم الاقتصاد .

ولا شك أن دراسة المصادر الخاصة بكل علم من العلوم والفنون يجب أن يسبقها بعض الدراسة الخاصة بطبيعة هذه العلوم والفنون والمجال الذي يبحث فيه كل منها وكذلك معرفة تطورها التاريخي وأشهر المؤلفين الذين ساهموا مساهمة فعالة .

٢ — دراسة المراجع التي تفيد في خدمة أكثر من علم أو فن واحد ، وهذا يستدعي تقسيم هذه المراجع الى أنواع ودراسة كل نوع منها على حدة وأهم هـــذه الانواع هي دوائر المعارف والمعاجم وكتب التراجم وقواميس البلدان وكتب التراث العربي الموسوعة .

٢

ويذهب بعض الباحثين الى أن المصدر والمرجع بمعنى واحد ، وهو كل ما يتعلق بالبحث من دراسات ووثائق قديمة أو حديثة مخطوطة أو مطبوعة ، فالمصادر على هذا هي كل ما يرجع اليه في البحث ، والمراجع هي كذلك أيضاً .

ويفرق آخرون بين المصدر والمرجع فالمصدر « الأصلي » هو ما يتصل بموضوع البحث اتصالاً مباشراً معاصراً أو قريباً من زمن المعاصرة ، فرسالة ابن المعتز في أبي تمام[١] مصدر لأن ابن المعتز قريب جداً من المعاصرة لأبي تمام ، فقد توفي أبو تمام عام ٢٣١ هـ . وابن المعتز عام ٢٩٦ هـ .

وعندما نريد كتابة بحث عن أبي تمام لا بـد لنا من الرجوع الى المصادر المتعلقة بأبي تمام على الوجه الآتي :

١ — أن مـــا كتبه أبو تمام (١٩٠ — ١٣١ هـ) نفسه من مثل ديوانه ، والوحشيات ، وديوان الحماسة[٢] ، يعد من المصادر الأساسية في

---

(١) كتابي رسائل ابن المعتز - طبع القاهرة ١٩٤٥ .

(٢) جمع فيه ما اختاره من اشعار العرب ورتبه على عشرة أبواب : الحماسة - المراثى — الأدب والنسيب — الهجاء — الاضافات — الصفات — السير — الملح — مذمة النساء — وقد حققته وعلقت عليه في جزءين كبيرين .

ولأبي زكريا التبريزي (٥٠٢ هـ) شرح عليه في أربعة أجزاء .

أي بحث يكتب عن أبي تمام .

٢ – وكذلك ما كتبه عن أبي تمام كل من ابن المعتز ، والصولي [١] ، وأبي الفرج (٣٥٦ هـ) في كتابه الأغاني (الجزء ١٥ ص ٩٦ وما بعدها)، وابن النديم في الفهرست صفحة ١٦٥ ، والآمدي في الموازنة .

والقاضي الجرجاني (٣٩٢ هـ) في كتابه « الوساطة » ، والبديعي في كتابه « هبة الأيام » .

وكذلك ما كتبه ابن خلكان (٦٨١ هـ) في كتابه « وفيات الأعيان – الجزء الأول » . .

وكذلك ما نجده عن أبي تمام في الكتب الآتية : –

أ – مروج الذهب للمسعودي (٣٤٦ هـ) (٢ : ٢٥٣) .

ب – خزانة الأدب للبغدادي (١٠٩٣ هـ) (١ : ٢٣٩) .

جـ – تهذيب التاريـــخ الكبير لابن عساكر (جزء ٤ صفحة ١٨ – ٢٦) .

هـ – ذكرى حبيب للمعري (٤٤٩ هـ) .

و – نزهة الألباب للأنباري (صفحة ٢١٣) .

فكل ذلك يعد من مصادر البحث عن أبي تمام ، وكل ما كتب عن أبي تمام من مؤلفين معاصرين له أو قريبين من المعاصرة ، أو في زمن متأخر عن المعاصرة مما ورد في كتب التراث عنه ، يعد من المصادر المتعلقة بأبي تمام ، ولكن كتابات المعاصرين لأبي تمام عنه وكتابات القريبين

---

(١) راجع : أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي – تحقيق أحمد أمين .

من زمن المعاصرة له تعد من **المصادر الأساسية** ؛ وما جاء في كتب **التراث عنه مما كتب متأخراً عن زمنه يعـــد من المصادر الغير الأساسية** في الكتابة عنه .

٣ - ما كتبه القدماء في شرح ديوان أبي تمام ، وشرح ديوان الحماسة – يعد كذلك من المصادر وكذلك ما كتبه المتأخرون في شرحه ، ومن الشروح :

أ – شرح التبريزي (٤٢٢ – ٥٠٢ هـ) للحماسة .

ب – شرح الرافعي .

جـ – شرح الخفاجي .

د – كتاب بدر التمام في شرح ديوان أبي تمام – الذي نشره في بيروت ملحم ابراهيم الأسود ، واعتمد فيه على الشراح كأبي العلاء المعري ، والصولي ، والتبريزي ، والمرزوقي ، والآمدي .

هـ – ديوان أبي تمام الذي نشره محمد صبيح مع مقدمة لعبد الحميد يونس وعبد الفتاح مصطفى (مصر ١٩٤٢) .

و – ديوان ابي تمام الذي نشره احمـــد عثمان عبد الحميد (مصر ١٩٤١) .

٤ – كتاب الطرائف الأدبية لعبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) وفيه مختارات لأبي تمام ، من المصادر كذلك .

٥ – كتابات المحدثين والمعاصرين عن أبي تمام تعد **من المراجع** ، ومن أمثلتها :

أ – كتاب أبو تمام لرفيق فاخوري ومحي الدين الدرويش – من مجموعة أوابد الشعر . بيروت ١٩٣٠ .

ب – الكلام في شعر البحتري وابي تمام – محمد طاهر الجبلاوي – مصر ١٩٤٨ .

جـ – ابو تمام لجميل سلطان – دمشق ١٩٤٥ .

د – ابو تمام – لنجيب محمد البهبيتي – مصر (١٩٤٥) .

هـ – الرثاء بين ابي تمـــام والبحتري والمتنبي – لأديبة فارس – رسالة دمشق ١٩٣٣ .

و – حقائق الحكمة وخيالات الشعر في شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي – عبد السلام سرحان – رسالة مخطوطة – مكتبة كلية اللغة العربية بالازهر .

ز – أبو تمام شاعر الخليفة المعتصم بالله – لعمر فروخ – بيروت ١٩٣٥ .

ح – شعراء الشام (أبو تمام – البحتري – ديك الجن) – خليل مردم بك طبعة دمشق .

ط – ابو تمام – لخضر الطائي – طبع بغداد .

٦ – ما ورد في كتب الأدب المعاصرة عن أبي تمام تعد من المراجع ، ومن أمثلته :

أ – تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان (٣ : ٧٠) .

ب – الآداب العربية وتاريخها لجورجي كنعان ص ٣٤٦ .

جـ – الحياة الأدبية في العصر العباسي – محمد عبد المنعم الخفاجى – القاهرة ١٩٥٣ .

د – امراء الشعر العباسي لانيس المقدسي .

هـ – من حديث الشعر والنثر – لطه حسين (٩٤ – ١١٢) .

و — تاريخ الأدب العربي للزيات .

ز — الرؤوس — لمارون عبود .

ح — شعراء النصرانية للأب لويس شيخو القسم الثالث ص ٢٥٦ .

ط — من الأدب — لقدري العمر

ي — الأعلام للزركلي .

ك — مصادر الدراسة الأدبية — يوسف أسعد داغر — بيروت ١٩٦١

ل — دائرة المعارف للبستاني (٢ : ٥٧) .

٧ - وكذلك يعد من المراجع المقالات التي نشرت عن أبي تمام في مختلف المجلات الأدبية في العالم العربي ، ومن أهمها ما يلي :

أ — مجلة الرسالة المصرية السنة السابعة (١٩٣٩) [١] ، وفي المجلة عام ١٩٤٨ العدد ٧٦٧ مقالة لبرهان الدين الداغستاني بعنوان « شرح المشكل من شعر أبي تمام » (مخطوط) .

ب — مجلة الازهر المجلد الثالث عشر : صفحة ٧٢ و ١٣٢ و ١٨٩ من دراسة بقلم محمد عبد المنعم خفاجي .

جـ — مجلة الثقافة المصرية المجلد الثاني (١٩٤٠) صفحة ٧٠٩ — من مقال لمحمد فهمي عبد اللطيف بعنوان الموازنة بين الطائيين .

د — مجلة المقتطف المصرية المجلد ٨٠ — مقال لأنيس المقدسي عن أبي تمام .

---

(١) مقال لعبد الرحمن شكري بعنوان « أبو تمام شيخ البيان » الرسالة صفحة ٦١٧ و ٦٦٠ من السنة السابعة .

هـ – مجلة العرفان لصاحبها احمد عارف الزين وتصدر في صيدا بلبنان – ففي المجلد السابع صفحة ٤٨٦ مقال عن أبي تمام .

و – مجلة المشرق المجلد الثامن صفحة ١٠٥٩ ، ففيها جداول عـــن ديوان أبي تمام وضعها المستشرق مرجليوث .

٧ – ومن المراجع أيضاً ما يلقى من محاضرات عن الشاعر في المهرجانات الأدبية ، ومنه ما ألقي في مهرجان شعري عقده المجلس الأعلى للفنون والآداب بالقاهرة في دمشق ونشره بمجلة مهرجان الشعر – العدد الثالث .

٣

هذا ويعبر بعض الباحثين عن المصدر بالمرجع الأصلي ، وعن المرجع الحديث بالمرجع الثانوي وتشمل المراجع الأصلية ما يلي :

١ – المخطوطات ذات القيمة التي لم يسبق طبعها .

٢ – الكتب التي يكون المؤلفون لها قد شاهدوا الفكرة التي هي موضوع البحث ومن بينها كتاب الأوراق للصولي قسم أخبار المقتدر ، لأن الصولي توفي عام ٣٣٦ هـ والمقتدر الخليفة العباسي توفي عام ٣٢٠ هـ ، فقد شاهد الصولي عصر الخليفة المقتدر ومن ثم تكون كتابته عنه ذات اهمية كبيرة وهذا الجزء لا يزال مخطوطاً بمكتبة الأزهر الشريف ، واليه رجعت في كتابي « ابن المعتز » .

٣ – اليوميات والمذكرات التي يكتبها الأعلام والشخصيات الكبيرة .

٤ – الوثائق بمختلف ألوانها .

أما المراجع الثانوية فهي المراجع التي أخذت مادة أصلية من مراجع متعددة ، وأخرجتها في ثوب آخر جديد .

٤

. وعلى أي باحث يكتب بحثاً في الآداب أن يرجــع أولاً الى أهم المراجع التي تنير له طريق البحث ومصادره ، ومن أهمها ما يلي :

١ — دوائر المعارف العالية ، ومنها : دائرة المعارف الاسلامية وهي مترجمة الى العربية — دائرة المعارف الانجليزية .

٢ — الرسائل الجامعية التي كتبت في الموضوع ومن امثلتها مثلا : رسالتي عن ابن المعتز ، وهي منشورة — الطبعة الأولى عام ١٩٤٨ في ٤٠٠ صفحة — والطبعة الثانية في أكثر من ٨٠٠ صفحة عام ١٩٥٨ ، وفي العزم طبعها طبعة ثالثة في نحو الف صفيحة بعون الله تعالى وحوله— رسالة طه حسين عن أبي العلاء وهي منشورة بعنوان تجديد ذكرى أبي العلاء — رسالة نعمات فؤاد عــن ابراهيم عبد القادر المازني — رسالة « كمال نشأت » عن أبي شادي ، وهي مطبوعــة — رسالة عبد العزيز دسوقي عن « جماعة ابولو » وهي منشورة .

٣ — الكتب التي تمد الباحث بمصادر البحوث الأدبية وفي مقدمتها ما يلي :

أ — **مصادر الدراسة الأدبية** : جزءان كبيران — تأليف يوسف اسعد داغر — طبع بيروت ١٩٦١ ، ١٩٦٣ .

ب — **تاريخ الأدب العربي لبروكلمان** : مؤلفه كارل بروكلمان المستشرق الألماني المشهور — وقــد ترجم الدكتور الكبير عبد الحليم

النجار رحمه الله (١٩٦٣) من الكتاب ثلاثة أجزاء طبعت في القاهرة ولم تكمل ترجمة باقي الكتاب بعد .

وجمع بروكلمان في كتابه « تاريخ الأدب العربي » تاريخ كل العلوم والفنون والمعارف الاسلامية والعربية التي تخصص فيها بطوال حياته .

وكان من أهم اغراضه من تأليف هذه الموسوعة العمل على تحقيق الاتجاه العالمي الشامل في الأدب « فهو ينظر في الحياة العربية العقلية قبل كل شيء الى مكان هذه الحياة في العالم المحيط بها ، متى ظهر لها احتكاك أو اتصال بذلك العالم : وهو يحاول جهده أن يسجل الدور العالي الذي اضطلع به أدب العرب — بأوسع معاينة — في دفع مواكب العلم وحث ركاب الثقافة والحضارة وهداية المجتمع الانساني الى غايات الحق ، والخير والجمال [1] » .

والكتاب في طبعته الألمانية مقسم الى جزءين :

١ — فالجزء الأول يشمل : المدخل — الكتاب الأول في الأدب الإسلامي العربي الى آخر عصر الأمويين — الكتاب الثاني في الأدب الإسلامي العربي في عصر العباسيين في جميع أنحاء العالم الإسلامي .

٢ — والجزء الثاني يشمل :

أ — تاريخ الأدب الإسلامي في اللغة العربية من سقوط بغداد .

ب — تاريخ الأدب الإسلامي في اللغة العربية من حملة نابليون حتى عام انتهاء بروكلمان من تأليف كتابه أي عام ١٨٩٢ م .

---

(١) المدخل للدراسات العربية — عبد المنعم عمر .

وفي عام ١٩٣٧ نشر بروكلمان ملحقاً لكتابه في جزءين جديدين ، وفي عام ١٩٤٢ نشر مجلدا ضخماً في الأدب الحديث والمعاصر .

ويقول الدكتور عبد الحليم النجار الذي قام بترجمة الأجزاء الثلاثة الأول المطبوعة من الألمانية الى العربية في مقدمته المنشورة في الجزء الأول من الكتاب :

« كان تعريب كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان أملا يراود كل قارىء بالعربية حينما يبحث في علوم العرب وآدابهم ، أو يحاول سبر جهود العلم العربي ومتابعة خطواته في تأسيس ثقافة العالم الجديد وتنمية حضارته ، او يريد حصر ما تشتت واحصاء ما تفرق من تراث الفكر العربي في مكتبات العالم وخزائن الكتب ، ليتخذ من ذلك آيات بينات للفخر والاعتزاز ، أو عدة ومددا للبعث والاحياء ، او تطلع أخيراً الى معرفة ما ترجم الى لغات العالم من ذلك التراث الخالد ، وما أثير حوله من بحوث وصنف من دراسات قدمت خطى العلم والادب ، ودفعتها الى الأمام في الشرق والغرب » .

ثم يقول :

« وقد سلكت في ترجمة هذا الكتاب طريقة المزج والتأليف بين الكتاب الاصلي وملاحقه مع ملاحظة الطبعتين الأولى والثانية للكتاب الأصلي ، بحيث يتحصل من كل ذلك كتاب موحد النسق ، متصل الموضوعات . وهذه هي الطريقة التي ارتضاها بروكلمان نفسه ، ووضع هو خطتها لترجمة الكتاب بعد أن استشارته في ذلك الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وحصلت على موافقته واذنه بالترجمة سنة ١٩٤٨ م.

« وكان بروكلمان قد بعث أيضاً الى الادارة المذكورة بجزء كتبه

بخطه ، وباللغة العربية هذه المرة ، يحتوي عـــلى تصحيحات وزيادات لغرض الحاقها بالترجمة ، فالتزمت أيضاً مراعاتها وإضافتها في مواضعها ، الى جانب التصحيحات والتعقيبات الأخرى التي ألحقها بروكلمان في أواخر الأجزاء من النسخ المطبوعة ... وإذا فقد يسعني أن أقول إن هـــذا الكتاب يقدم قالباً عربياً صحيحاً لكتاب « تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان » على أدق وجه ممكن من الترجمة » .. وقد توفي الدكتور عبد الحليم النجار عام ١٩٦٣ .

جـ – **تراجم الأدباء** للمرحوم الأديب العراقي ابراهيم العلوي ، وقـد طبع منه ثلاثة أجزاء ، ثم توفي رحمه الله ، ووقف الكتاب عند هذا الحد.

د – **احصاء العلوم** للفارابي الفيلسوف العربي المتوفى عام ٣٣٩ هـ – ٩٥٠ م ، وقد تحدث في الكتاب عن العلوم الاسلاميـــة والفلسفية وموضوعاتها .

هـ – **الفهرست** لابن النديم البغدادي [١] ، المتوفى عام ٣٨٤ هـ على الصحيح [٢] ، وقد انتهى من تأليف كتابه عام ٣٧٧ هـ على ما ذكره في مقدمة الكتاب ، وقد وصف المستشرق الإيطالي نللينو كتاب الفهرست بقوله : « هذا كتاب من أنقى النفائس لا نظير له فيها يتعلـــق بمعرفة مصنفي العرب وتآليفهم في كل فن الى أواخر القرن الرابـع للهجرة ، ومعرفة ما ترجم الى العربية من كتب الهند والفرس واليونان والسريان، فتجدون فيه أخبار مئات من الكتاب ، وتستفيدون منه أسماء ألوف

---

(١) ج ١٨ : ٣٧ معجم الأدباء لياقوت .

(٢) في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ٩ ص ٤١ أنه توفي عام ٤٣٨ هـ . والظاهر ان ما كتبه كحالة (عام ٤٣٨ هـ) تحريف مطبعي لعام ٣٨٤ هـ .

من التصانيف المفقودة الآن الغير مذكورة في كتب أخرى . فهو منبع غزير ، ومصنف لا بد منه لكل من يشتغل بتاريخ أدبيات العرب القديمة ، بل لا تقتصر أهميته على إيضاح حال الحضارة الإسلامية ، والعربية القديمة ... وقد انتفع به المستشرق خولسن في « اعتقادات الصابئة » ، والعلامة فلوجل عند بحثه في « أخبار ماني وأصحاب مذهبه »[1]

والكتاب يحتوي على مقدمة وعشر مقالات ، ومن مقالاته المقالة الثانية في النحويين واللغويين والمقالة الثالثة في الأخبار والآداب والسير والانساب ، والمقالة الرابعة في الشعر والشعراء[2] .

والكتاب مطبوع في القاهرة عام ١٣٤٨ هـ ، وطبع في أوربا من قبل مطبعة ظهرت في ليبزج بألمانيا عام ١٨٧١ — ١٨٧٢ اعتماداً على مخطوطة ليبزج[3] . ونظراً لأن المخطوطة التي اعتمد عليها المستشرقون الألمان ناقصة ، فقد نشر المستشرق الأمريكي بيرد دودج الكتاب بالاعتماد على مخطوطة أخرى عثر عليها في مجموعة بدبلن في ايرلندا ، ويقوم الطنجي العالم المغربي بتحقيق الكتاب اليوم تمهيداً لنشره في طبعة جديدة كاملة[4] .

---

(١) نللينو : ملخص محاضرات علم الفلك : تاريخه عند العرب ص ٤٩٠ .

(٢) أما المقالة الأولى فهي في اللغات والشرائع والقرآن الكريم — والخامسة في الكلام والمنطق — والسادسة في الفقه والفقهاء والمحدثين — والسابعة في الفلسفة والعلوم القديمة — والثامنة في الاسمار والخرافات — والتاسعة في المذاهب — والعاشرة في أخبار الكيميائيين والصنعويين من الفلاسفة والمحدثين .

(٣) وذلك بعناية المستشرق فلوغل .

(٤) ١٧ المدخل للدراسات العربية عبد المنعم محمد عمر — القاهرة .

و — **رسائل اخوان الصفا** وهي تبحث في مختلف العلوم والفنون العربية في القرن الرابع الهجري .

ز — **مفاتيح العلوم** للخوارزمي المتوفى عام ٣٨٧ هـ ويعد أول دائرة معارف عربية .

ح — **مفتاح السعادة** لطاش كبرى زاده (٩٠١ — ٩٦٨ هـ) ، وقد جمع مؤلفه فيه جميع انواع العلوم المعروفة حتى عصره . وقسمها الى سبع موضوعات (علم الخط — علوم اللغات — فروع العلوم العربية — علوم الفلسفة — العلوم الاخلاقية — العلوم الشرعية — علوم التصرف .

ط — **كشف الظنون** لحاجي خليفة (١٠١٧ — ١٠٦٧ هـ) ، وهو مطبوع في بولاق عام ١٢٧٤ هـ ١٨٥٧ م وفي ليدن من قبل عام ١٨٣٥ — ١٨٤٨ ، وفي القسطنطينية عام ١٣١١ هـ — ١٨٩٣ م ، ثم طبعته وزارة المعارف التركية في مجلدين كبيرين عام ١٩٤٣ و ١٩٤٤ (١) وفي خزانة الأوقاف في بغداد مختصر مخطوط لكشف الظنون اسمه « أسامي المكتب والفنون مختصر كشف الظنون » وهو برقم ١٧٧٨ .

ي — **هدية العارفين** في أسماء المؤلفين لاسماعيل باشا البغدادي المتوفي ١٣٣٩ هـ ١٩٢٠ م ، وهو مطبوع كذلك في جزءين في القسطنطينية عام ١٩٥١ و ١٩٥٥ .

---

(١) ذيّل هذا الكتاب القيم مؤلفون كثيرون منهم : شيخ الاسلام عارف حكمت بك المتوفي عام ١٢٧٥ هـ ، وهو صاحب الفضل في انشاء مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة عام ١٢٦٠هـ ، ومنهم كذلك اسماعيل باشا البغدادي المتوفى عام ١٣٣٩ هـ: ١٩٢٠ م وعنوان كتابه هو « ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون » ، وهو مطبوع عام ١٩٤٥ في جزءين في تركيا .

ك – **كتاب اكتفاء القنوع بما هو مطبوع** للمستشرق فنديك ، وصححه السيد محمد علي الببلاوي من علماء الأزهر ، وطبع عام ١٣١٣ هـ ١٨٩٦ م في ٥٢٠ صفحة + الفهارس في ١٥٧ صفحة .

ل – **معجم المطبوعات العربية** والمعربة لسركيس[١] (١٢٧٢ – ١٣٥١ هـ) ، وهو مطبوع في القاهرة في أحد عشر جزءاً عام ١٩٢٨ – ١٩٣٠ .

م – **جامع التصانيف** الحديثة لسركيس أيضاً وهو مطبوع في جزءين .

ن – **كتاب الذريعة** لآغا بزرك الظهراني ، وقد ظهر منه الجزء الأول عام ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م والجزء الخامس عام ١٣٨٤ هـ : ١٩٦٥ م[٢]، وطبع منه حتى الجزء الثامن عشر .

٥

وعلى الباحث أن يرجع كذلك الى فهارس دور الكتب العربية ، ومن أهمها :

١ – فهرس دار الكتب المصرية ظهر منه تسعة أجزاء .

٢ – فهرس المكتبة الأزهرية ظهر منه سبعة أجزاء .

---

(١) وله أيضاً كتاب معجم التصانيف الحديثة ، والرحلة الجوية في المركبة الهوائية .

(٢) وراجع كتاب في أعلام الشيعة كتاب محسن الامين الذي ظهر منه ٤٥ جزءاً حتى اليوم ، ويشتمل على تراجم أكثر العلماء والادباء والشعراء المشهورين .

٣ – فهرس المكتبة الظاهرية بدمشق .

٤ – فهرس مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة ولا يزال مخطوطاً وغير ذلك من الفهارس العربية وهناك فهارس مطبوعة لأشهر المكتبات ودور النشر في العالم العربي .

٦

وهناك مجموعات من السلاسل لها اهميتها وينبغي الرجوع اليها في الابحاث الأدبية والعربية ومن اهمها :

١ – سلسلة اقرأ – تصدر عن دار المعارف بالقاهرة .

٢ – سلسلة أعلام العرب تصدر بالقاهرة .

٣ – سلسلة الشوامخ وكان يصدرها بالقاهرة الدكتور محمد صبر السوربوني .

٤ – سلسلة أئمة الادب لخليل مردم – سوريا .

٥ – « الطرائف لحنا نمر – لبنان .

٦ – « مناهل الأدب لبطرس البستاني – لبنان .

٧ – « الأوابد لرفيق فاخوري ومحي الدين درويش – سوريا (حلب) .

٨ – سلسلة فلاسفة العرب للأب قمير .

٩ – « « « « حنا فاخوري .

١٠ – « السلسلة الأدبية لسليم الجندي – دمشق .

١١ – « « « لعمر فروخ – بيروت .

١٢ — سلسلة الدراسات الأدبية — عن دار المعارف بالقاهرة .

١٣ — « من تراثنا الأدبية — تصدر في القاهرة .

١٤ — « ذخائر العرب — دار المعارف بالقاهرة .

١٥ — « أعلام الإسلام وكانت تصدر عن مكتبة عيسى الحلبي بالقاهرة (دار احياء الكتب العربية) .

١٦ — سلسلة مكتبة الدراسات الفلسفية — دار المعارف بالقاهرة .

١٧ — « « نوابغ الفكر العربي — دار المعارف بالقاهرة .

١٨ — « مجموعة فنون الأدب العربي — تصدر عـــن دار المعارف بالقاهرة .

٧

وهناك مجلات متخصصة لا يصح اغفالها ، بل يجب الرجوع اليها في الابحاث الأدبية واللغوية ، ومن اهمها :

١ — مجلة الأزهر — ظهر منها أربعون مجلداً حتى الآن وهي شهرية .

٢ — مجلة المقتطف — ظهر منها ١٢٥ مجلداً واحتجبت عن الصدور عام ١٩٥٣ .

٣ — مجلة الرسالة المصرية (١٩٣٣ — ١٩٥٣) .

٤ — مجلة الثقافة المصرية (١٩٣٩ — ١٩٥٣) .

٥ — مجلة الهلال المصرية (من عام ١٩٢٥ حتى اليوم) .

٦ — مجلة معهد المخطوطات العربية — تصدر عـــن جامعة الدول العربية بالقاهرة .

٧ — مجلة الأديب اللبنانية ويصدرها في بيروت الأديب الكبير ألبير

أديب وقد مضى على قيامها أكثر من ربع قرن ، ولا تزال توالي الصدور شهرياً .

٨ – مجلة الآداب اللبنانية – ويصدرها في بيروت سهيل ادريس ، وهي شهرية وتصدر تباعاً .

٩ – مجلة الحج في مكة المكرمة ورئيس تحريرها الأديب السعودي الكبير محمد سعيد العامودي صاحب كتاب « من تاريخنا » وهو شاعر أيضاً من أعلام الشعر الحديث [١] في المملكة العربية السعودية [٢] .

---

(١) ولد العامودي بمكة المكرمة وتخرج من مدرسة الفلاج ، وتابع العمل في ميادين الثقافة والفكر والأدب منذ أن تخرج ونشر قصائـــد وبحوثاً في الأدب في مختلف الصحف والمجلات العربية منذ أن كان في الخامسة عشرة من عمره ، وفاز بجائزة مجلة الهلال للشعر عام ١٩٣٢ ، ونشرت له المقتطف قصيدته المشهورة «اذا» وهي ترجمة لقصيدة الشاعر الانجليزي المشهور كبلنج.

وفي عام ١٩٣٢ رأس تحرير صحيفة صوت الحجاز ، وكان أحد المؤسسين لجمعية القرش السعودية في الثلاثينيات من هذا القرن وللجنة نشر المخطوطات المتعلقة بالحرمين الشريفين التي كان من أعضائها الشيخ محمد نصيف والاستاذ عبد القدوس الانصاري وعبد الله عبد الجبار واشترك في عضوية الوفد السعودي في اجتماعات اللجنة الثقافية للجامعة العربية في دورتها التاسعة المنعقدة بجدة عام ١٣٧٤ هـ برياسة د . طه حسين .

واشتغل في عدد من الوظائف الحكومية واختير عضواً بمجلس الشورى ، وهو أعلى مجلس في المملكة بعد مجلس الوزراء .

وسافر عام ١٣٧٤ الى طهران مندوباً عـــن المجلس للاشتراك في احتفالاتها بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيس الدستور وانتخاب أول برلمان فيها .

تفرغ للعمل الصحفي منذ عام ١٣٦٨ هـ ، حيث عمل رئيساً لتحرير مجلة الحج التي تصدر من مكة المكرمة ، ثم رئيساً لتحرير مجلة رابطة العالم الاسلامي منذ عام ١٣٨٥ هـ .

وله شعر ذائع ومقالات مشهورة ، وكتب مقروءة ، منها كتابه « من تاريخنا » .

وشعره ونثره منها مختارات كثيرة في أيدي التلاميذ في مختلف مراحل التعليم في المملكة وفي بعض البلاد العربية ، وكتب عنه اغلب الأدباء والنقاد المعاصرين في مؤلفاتهم ودراساتهم عن الأدب السعودي المعاصر .

(٢) راجع ما كتبته عنه في كتبي : الشعر والتجديد – من تاريخنا المعاصر .

١٠ — مجلة دنيا المكتبات ، وتصدرهـــا ادارة المكتبات بوزارة المعارف في المملكة العربية السعودية باشراف الاستاذ زيد بن فياض .

١١ — مجلة المنهل تصدر في مدينة جدة وصاحبها ورئيس تحريرها هو الأديب السعودي الكبير عبد القدوس الأنصاري ، وله مؤلفات كثيرة ذائعة من بينها : أربعة أيام مع شاعر العرب الكاظمي ، وتاريخ جدة ، وآثار المدينة المنورة ، وبين التاريخ والآثار وسواها . (١)

---

(١) ولد الاستاذ عبد القدوس الانصاري بالمدينة عام ١٣٢٤ هـ وتلقى دروسه الابتدائية على يد فضيلة استاذه الشيخ محمد الطيب الانصاري .

وفي عام ١٣٤١ هـ التحق بمدرسة العلوم الشرعية بالمدينة وحاز شهادتها العالية في عام ١٣٤٦ هـ .

وعلى الأثر عين بوظيفة مأمورية أوراق ديوان امارة المدينة .

وفي عـــام ١٣٤٩ رقي الى وظيفة مأمور أوراق . وعين نائباً لسكرتير مجلس الادارة ، وسكرتيراً للجنة تسوية الديون ، ولجنة الاسعاف الطبي ، ولجنة الصدقات ، واستاذا للأدب العربي بمدرسة العلوم الشرعية .

ونقل الى مكة المكرمة رئيساً لتحرير جريدة أم القرى الرسمية . ثم نقل الى ديوان سمو نائب جلالة الملك بالحجاز ، محرراً ، فسكرتيراً لمجلس الوكلاء . ثم عين معاوناً لمدير الشعبة المالية ، فمديراً لشعبة الأنظمة وهما بديوان سمو نائب جلالته بمكة ثم بجدة ، ثم مستشاراً بالديوان ثم مديراً للشؤون المالية بديوان رياسة مجلس الوزراء . ثم تفرغ لاعماله الخاصة .

أنشأ مجلة المنهل في عام ١٣٥٥ هـ ولا تزال تصدر الى الآن .

ومن مؤلفاته : التوأمان (قصة) — اصلاحات في لغة الكتابة والأدب — بناة العلم في الحجاز الحديث — تحقيق امكنة في الحجاز وتهامة — الانصاريات (ديوان شعر) — كتاب المنهل الفضي — التحقيق المدعم في مسجد الراية وبئر جبير بن مطعم (مخطوط) — تاريخ حياة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي — نشاط وزارة المواصلات — التحقيقات المعدة بحتمية ضم عين جدة — وتاريخ العين العزيزية .

وفي عام ١٣٥٥ أسس هو وزملاؤه نادي الحقل الأدبي للشباب العربي السعودي بالمدينة المنورة ، واستمر الى عام ١٣٥٩ هـ ، حيث انتقل الى رياسة تحرير جريدة أم القرى بمكة المكرمة .

ومن مؤلفاته : التوأمان (قصة) . اصلاحات في لغة الكتابة والادب بناة العلم في الحجاز الحديث . تحقيق امكنة في الحجاز وتهامـــة . الانصاريات (ديوان شعر) كتاب المنهل الفضي ، التحقق المدعم في مسجد الراية وبئر جبير بن مطعم (مخطوط) . تاريخ حياة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي . نشاط وزارة المواصلات . التحقيقات المعدة بحتمية ضم عين جده وتاريخ العين العزيزية .

وفي عام ١٣٥٥ أسس هو وزملاؤه نادي الحقل الأدبي للشباب العربي السعودي بالمدينة المنورة ، واستمر الى عام ١٣٥٩ هـ ، حيث انتقل الى رياسة تحرير جريدة أم القرى بمكة المكرمة .

١٢ — مجلة العرب ، ويصدرها العالم السعودي الكبير حمد الجاسر .

١٣ — مجلة المجمع اللغوي بالقاهرة .

١٤ — مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .

١٥ — مجلة المجمع العلمي ببغداد .

١٦ — مجلة المعرفة السورية — دمشق .

١٧ — مجلة الاقلام العراقية — بغداد .

١٨ — مجلة دعوة الحق المغربية — الرباط

١٩ — مجلة العصبة الاندلسية اصدرتها في ريو دي جانيرو بالبرازيل جماعة العصبة الأندلسية وهي مجموعة من الشعراء العرب المهجريين الذين كانوا يقيمون في البرازيل ، وقد احتجبت منذ اكثر مـن خمسة عشر عاماً .

٢٠ — مجلة الحديث الحلبية — التي كان يصدرها بحلب الأديب العربي الكبير سامي الكيالي .

٢١ – مجلة الكتاب – وقد صدرت في القاهرة عن دار المعارف المصرية ، واحتجبت منذ اعوام طويلة .

٢٢ – مجلة الكاتب المصري – وقد صدرت في القاهرة أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها وكان يشرف عليها الدكتور طه حسين .

٢٣ – مجلة المكتبة – وتعنى بشئون الكتاب العربي يصدرها في بغداد قاسم الرجب صاحب مكتبة المثنى .

٢٤ – مجلة الكتاب العربي – تصدر في القاهرة .

٢٥ – مجلة المجلة وتصدر في القاهرة .

٢٦ – مجلة أبولو التي أصدرها الدكتور أحمد زكي ابو شادي رئيس جماعة أبولو المشهورة في الأدب المعاصر وقد صدر منها ثلاثة مجلدات (١٩٣٢ – ١٩٣٥) واحتجبت بعد ذلك عن الصدور لأزمة مالية أصابتها [١] .

٢٧ – مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة .

وهناك مجلات تصدر في القاهرة عن الأدب والشعر كمجلة الشعر (وقد احتجبت) ، ومجلة الرسالة الجديدة ، ومجلة المسرح ، ومجلة القصة ، ومجلة الفنون الشعبية .

---

(١) راجع كتابي رائد الشعر الحديث – احمد زكي ابو شادي – الطبعة الأولى في جزء عام ١٩٥٣ – والطبعة الثانية في جزءين عام ١٩٥٥ .

وراجع كتاب كمال نشأت عن ابي شادي – وهو رسالته للدكتوراه .

وكتاب عبد العزيز الدسوقي « جماعة أبولو – وهو رسالة للماجستير .

٨

والذي يكتب في البحوث الأدبية لا غنى له عن الرجوع الى طائفة كبيرة من كتب الأدب القديمة والحديثة المطبوعة والمخطوطـــة ، ومن الكتب التي صدرت عن الأدب الحديث والأدب المعاصر ومن الكتب التي ألفت في تاريخ الأدب العربي ، ومن كتب النقـــد والدراسات الأدبية ، وغيرها .

ويجب ان تكون مراجع الباحث متخصصة في موضوع بحثه ، فالذي يكتب في الأدب عليه أن يعتمد على طائفة كبيرة من المراجع الأدبية ، وما يعاونها من المراجع التاريخية واللغوية ، والذي يكتب في التاريخ عليه أن يعتمد على المراجع التاريخية أولاً ، ثم على ما يعاون مراجعه التاريخية من مثل كتب الأدب وما يلتحق بها .

وهنا أذكر اني وأنا أكتب عن « ابن المعتز » لم أجد شيئاً يصور طفولة ابن المعتز ، في مختلف المراجع فرجعت الى ديوان البحتري الذي مدح المعتز الخليفة العباسي (٢٥٢ — ٢٥٥ هـ) بقصائـــد طويلة من شعره ، وهو والد الشاعر عبد الله بن المعتز (٢٤٧ — ٢٩٦ هـ) ، وفي هذه القصائـد الطويلة وجدته يصف ابن المعتز (وهو ابن الخليفة المعتز بالله) في طفولته اوصافاً دقيقة تحدد حياته وملامحها المختلفة ، ومن هنا تعلم انه يجب على الباحث أن يحتال على البحث بمختلف الحيل عندمـــا يفقد المراجع التي تعاونه على الكتابة في نقطة من نقاط بحثه ، فعليه ان يرجع الى ما يسد هذا النقص من مراجع مختلفة ولو كانت مراجع لا

تتصل بالبحث [1] .

٩

هذا ، وأشهر المكتبات العامة التي تحتوي على مخطوطات نادرة في العالم هي :

١ – مكتبة الأزهر الشريف .

٢ – المتحف البريطاني – وله فهرس للكتب العربية .

٣ – المكتبة البلدية في الاسكندرية – ولها فهرس لمخطوطاتها .

٤ – مكتبة الاسكوريال بالاندلس – ولها فهرس للكتب العربية وفهرس لمخطوطاتها .

٥ – مكتبة جامعة استامبول – ولهـــا فهرس لمخطوط الكتب الشرقية .

٦ – المكتبة الاهلية بباريس – ولها فهرس لمخطوطاتها العربية .

٧ – مكتبة جامعة برنستون بأمريكا – ولها فهرس لمخطوطاتها العربية .

---

(١) من الكتب المؤلفة في الثقافة الاسلامية ؛ إحياء علوم الدين للغزالي (٥٠٥ هـ) – مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٧٢٨ هـ) – حجة الله البالغة للدهلوي (١١١٤ – ١١٧٦ هـ) .

ومن الكتب المؤلفة في الحضارة الاسلامية : حضارة العرب لمحمد كرد علي (٣ أجزاء) – حضارة العرب لغوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر – الحضارة الاسلامية للشيخ أبو زيد شلبي (المتوفى عام ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م) .

٧ – مكتبة جامعة برنستون بأمريكا – ولها فهرس للمخطوطات العربية .

٨ – مكتبة بايزيد باستانبول .

٩ – مكتبة معهد المتحف الآسيوي بلينغراد – ولهـا فهرس لمخطوطاتها العربية .

١٠ – المكتبة الشرقية لجامعة القديس يوسف ببيروت ولها فهرست لمخطوطاتها العربية .

١١ – المكتبة الصادقية بتونس .

١٢ – مكتبة الزيتونة ، ولديَّ فهرست بأندر الكتب العربية فيها .

١٣ – المكتبة الظاهرية بدمشق – ولها فهرس لمخطوطاتها .

١٤ – مكتبة الفاتيكان .

١٥ – مكتبة جامع القرويين بفاس .

١٦ – دار الكتب المصرية بالقاهرة .

١٧ – مكتبة جامعة القاهرة .

١٨ – مكتبة جامعة لندن

١٩ – المكتبة الأهلية بمدريد .

٢٠ – مكتبة نور عثمانية بتركيا .

٢١ – مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت – بالمدينة المنورة .

٢٢ – مكتبة الحرم المكي الشريف ، ومن المكتبات المشهورة في المملكة العربية السعودية دار الكتب الوطنية بالرياض .

الفصل الثاني
الثقافة العربية وحركتها على اختلاف العصور (١)

١

لم يعرف العصر الجاهلي حركة ثقافية أو علمية على الاطلاق ، لأمية العرب ، وعدم معرفتهم للتدوين ، وان وجدت نقوش أثرية مكتوبة بالسند وكان الخط الحميري معروفاً في اليمن ، وانتقل منها الى الحيرة ، نقله أهل الطائف وقريش واستعملوه ، ويقال ان الذي تعلم الكتابة من الحيرة ، هو سفيان بن أمية أو حرب بن أمية . وانتقل الخط ثم الى الكوفة وسمي الخط الكوفي ، وتنوع هذا الخط الى الخط البغدادي والافريقي .

وظهر الاسلام العظيم ، ونزل القرآن الكريم من السماء ، وبلغ الرسول الأعظم صلوات الله عليه الرسالة الى الناس ، واتخذ له كتاباً للوحي ، كان منهم زيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب ، وشجع الرسول (ص) الصحابة على تعلم القراءة والكتابة وتعليمها للناس ، وقد جعل الرسول صلوات الله عليه فدية الأسير في غزوة بدر تعليم عشرة أطفال من أطفال المسلمين في المدينة ، وذلك حضاً على تعليم الكتابة وتعلمها .

---

(١) الثقافة الاسلامية — محمد عبد المنعم خفاجى — طبع القاهرة — العدد الثاني والستون الصادر في ١٥ جمادى الاولى ١٣٨٦ هـ : ٣١ أغسطس ١٩٦٦ عن المجلس الاعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .

ويرجع اهتمام الرسول بالكتابة الى أن الاسلام العظيم هو دين العلم والمعرفة والثقافة ، والى وجوب أن يطلب كل مسلم العلم مـن المهد الى اللحد ، والى حاجة المجتمع الاسلامي في المدينة الى الكتابة والكتاب .

وكان أول ما نزل من القرآن الكريم سورة اقرأ ، عرفانا بمكانـة القراءة والكتابة ومنزلتهما في الاسلام ويتردد في القرآن الكريم ألفاظ : الرق وهـو الصحيفة ، والصحف والقلم والكتاب والزبور والتوراة — والانجيل والفرقان والقرآن والذكر والاسفار وغيرها من الفاظ العلم والمعرفة والقراءة والكتابة .

وكان القرآن الكريم كلما نزلت منـه آية أو آيات أو سورة أمر رسول الله صلوات الله عليه بكتابتها ، وكان الصحابة يكتبون الكثير من آياته وسوره في صحف يحتفظون بها لانفسهم تعبداً وتلاوة وتيمنا

وقد بدأت الحياة الفكرية في النمو باستقرار الدعوة الى الوحدانية التي جاء بها محمد بن عبد الله ، واخذ الناس في حفظ القرآن وتفهم معانيه وكان النبي هو المعلم الأول ، يبين لهم مـا أغلق عليهم فهمه ويرسل علماء الصحابة الى الجهات المختلفة من شبه الجزيرة يعلمون الناس أركان الاسلام ويحفظونهم القرآن ويقضون بينهم بما جـاء فيه . واقتفى الخلفاء الراشدون آثاره وبانتشار الاسلام في الاقطار المجاورة لبلاد العرب أخذت النهضة الفكرية والعلمية تزدهر ، فلم يمض قرن وبعض قرن من الزمان حتى كانت قد ترعرعت وأصبحت حضارة انسانية لهـا طابعها الخاص ، وأثرهـا العميق في تقدم البشرية وصار دورها منذ ذلك العهد يقارن بما كان للحضارة الاغريقية من فضل على تقدم المدنية ، وذلك لأن المسلمين لم يكتفوا بالمحافظة على العلوم والمعارف التي ورثوها عـن الاغريق والرومان ولكنهم عنوا فوق ذلك بدراسة التراث الفكري الذي خلفته الامم القديمة الأخرى مثل الفرس والهند ، وصبغوا هذه الثقافات جميعاً بذوقهم ، ثم أضافوا اليها العلوم والفنون التي استنبطوها والقواعد

التي فرعوها وقننوها ، مما كان له أكبر الأثر في تطور المدنية الانسانية « وان هذه القفزة السريعة المدهشة في سلم الحضارة التي قفزهـا أبناء الصحراء ، والتي بدأت من اللاشيء ، لها ظاهرة جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الانساني ، وهي انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة الشعوب المتحضرة في ذلك العصر وكانت فريدة في نوعها لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها ، وتدعونا هنا أن نقف هنيهة متأملين كيف حدث هذا ؟ وكيف أمكن لشعب ، لم يمثل من قبـل دوراً حضارياً أو سياسياً يذكر ، أن يقف مع الاغريق في فترة وجيزة على قدم المساواة ؟ ان ما حققه العرب لم تستطع أن تحققه شعوب كثيرة أخرى كانت تملك من مقومات الحضارة ما قد كان يؤهلها لهذا »[1]

وقد كان أثر الثقافة العربية عميقاً في الشعوب التي حكموها ، فقد صبغوها بالصبغة العربية الخالصة ، حتى انهـا تركت دياناتها الموروثة ، وهجرت بعضها لغاتها الأصلية ، وأقبلت على الدين الاسلامي فاتخذته لها ديناً ، وعلى اللغة العربية فاتخذتها وسيلة التخاطب والمعيشة والكتابـة والتأليف ، واهملت لغاتها القيمة حتى نسيتها ما لم تحدثه حضارة أمـة فاتحة اخرى في أية بلاد فتحتها ، وهكذا نجد أن أهل الشام ومصر ، وشمالي افريقيا .. يقبلون على الاسلام ويتخذونه لهم عقيدة وعلى اللغة العربية فتصبح لغتهم القومية ، والتاريخ لا يقدم لنا في صفحاته الطوال الا عدداً ضئيلاً من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لهـا في العقيدة بمثل ما فعل العرب . وكان لمسلكهم هذا أطيب الأثر ممـا أتاح للحضارة العربية أن تتغلغل بين تلك الشعوب بنجاح لم تحظ به الحضارة

---

(١) دكتوره زيغريـد هونكه في كتابها المشهور « شمس العرب تسطع على الغرب أو أثر الحضارة العربية في اوروبا » تعريب كمال دسوقي ومفيد بيضون ص ٣٠٤ .

الأغريقية ببريقها الزائف ولا الحضارة الرومانية بعنفها في فرض ارادتها بالقوة .

امتزجت شعوب كثيرة مع العرب وتعاونت جميع هذه الشعوب تعاوناً أدى الى ازدهار الحضارة الاسلامية ، وتطور العلوم والفنون والمعارف ونموها نمواً سريعاً وعميقاً لم تر الانسانية له من قبل مثيلاً في كمه **وكيفه** [1] .

٢

على أن مفهوم الاسلام ومفهوم العلم يتلاقيان ويتآخيان ولا ينفصلان ، فالاسلام هو دين الثقافة والمعرفة ، كما انه دين التوحيد والفطرة .

وما أكثر ما ذكر العلم في القرآن الكريم ، ونوه به ، ورد الله عز وجل اليه كل الادراك والتمييز والمعرفة .

واذا كان الانسان حيواناً ناطقاً في عرف ارسطو ومدارسه المنطقية ، فان رجال الفكر الحديث يعرفونه بأنه « حيوان مفكر » وقد سبق الى ذلك القرآن الكريم حيث قال تعالى « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » فنبه على أن شرف الانسان وبلوغه غاية انسانية ، انما يكون بالعلم ، لأن العلم في الاسلام هو كل شيء ، وهو ركن من أركانه ، ودعامة من دعائمه .

ولقد نال العلم في الاسلام كل شرف ومنزلة رفيعة ، وصار بعد قليل من ظهور الاسلام هو كل شيء في حياة المسلمين ، وهو الذي يقاس

---

(١) عبد المنعم عمر — المدخل للدراسات العربية .

به منازل الناس ودرجاتهم في المجتمع الاسلامي .

وقد أحاط العلماء المسلمون العلم بكثير من التقدير والاجلال ، وجعلوا له آداباً وسنناً ، واتخذوا له مناهج وطرقاً ، وخلعوا عليه الكثير من صور التكريم .

ولم تلبث الثقافة والمعارف الاسلامية أن نمت وازدهرت في ظلال الاسلام ورعايته ، ونبغ الكثير من العلماء المسلمين في كل فروع المعرفة ؛ وأخذوا يجدون في ميدان البحث والكشف والتجديد والابتكار بكل ما أوتوا من وسيلة ، ولم تقف أمامهم عقبة من العقبات ، ولا حائل من الحوائل ، وفي كل العصور الاسلامية كان للعلماء المسلمين مجال مشرف وواسع وعظيم في خدمة الثقافة والانسانية .

وعلى ايدي العلماء المسلمين فتحت مغاليق الثقافات القديمة . وذللت صعابها ، وترجمت كتبها . وحفظت علومها وآدابها .

وما ألفه العلماء المسلمون او ترجموه من مختلف اللغات بحر زاخر لا يمكن سبر غوره ، او احصاء مداه .

وقد صارت الثقافة بعد قليل هي الطابع المميز للشعب الاسلامي والعربي ، واتسع مدلولها فانتظمت الاسلام نفسه وهو دين هذه الأمة ، كما انتظمت آدابها واخلاقها وتقاليدها ومعارفها الموروثة ونظمها التي تسير عليها وما اقتبسته من الثقافات القديمة .

وهذه الثقافة هي كل شيء في مقومات الأمة الاسلامية ، وهي عنوان شخصيتها ، ومظهر مثالياتها وقيمها ، وهي التي خلفت الثقافات القديمة وورثتها ، وكانت مواطنها هي مواطن الأديان السماوية ، والكتب المنزلة ، وقد عملت هذه الثقافة في خدمة السلام والانسانية والرخاء ورفاهية

بني البشر أعمالاً جليلة ، وحققت مفهوم السعادة المادية والروحية للانسان ، وأعزت من منزلته وكرمته تكريماً ورفعت من درجته في الحياة . كانت الثقافة في الاسلام حيـــة ومتطورة ومتجددة ، وتعمل في ميادين علمية خالصة وتعتز بشرف العلم وقدسيته .

وفي هذه الصفحات سوف نتتبع الثقافـــة الاسلامية في نشأتها وتطورها ، وفي مناهجها وابتكاراتها ، وفي دقائق حياتها وأطوارها وفي خصائصها ومقوماتها ، بما في وسعنا من طاقة ، والله ولي التوفيق وهو الملهم والموجه الى الخير والحق والمعرفة ، وما توفيقي الا بالله .

٣

ولفظة الثقافة ترادف المعرفة والعلم ، وفي اللغة العربيـــة يقال ثقف الرجل الشيء اذا حذقه ، ورجل ثقف أي حاذق وثقف الرجل ثقافـــة أي صار حاذقاً فطناً ، ورجل لقن ثقف اي ذو فطنة وذكاء ، والمراد - كما يقول لسان العرب - انه ثابت المعرفة بما يحتاج اليه .

ويتوسع علماء الاجتماع والانثروبولوجيا في مدلول الثقافـــة ، حتى لتشمل عندهم أسلوب الحياة في الأمة أو الجماعة كلها بجميع مظاهره ، فهي تشمل فهم جميع مظاهر الحضارة التي تساعد الانسان على الحياة ، وفهم النظم الاجتماعية التي يعيش فيها المثقف ، وتدخل في ذلك اللغة باعتبارها الوسيلة للتفاهم والتعبير ، كما تشمل فهم سيكلوجية الجماعة أي القوى النفسية التي تحرك سلوكها ، من دوافع ورغبات وافكار ومعتقدات وقيم الى غير ذلك فالثقافة اذا على هذا الاعتبار يمكننا ان نتمثلها في مجموع الأفكار والعقائد والمثل والقيم التي تسود الأمة ، ويتجلى اثرها في آدابها وفنونها وعاداتها ونظمها وقوانينها وأساليب معيشتها بوجه عام .

والثقافة على المعنى الأول تخص المثقفين وحدهم ، وتتسم بالاستعلاء والصعود نحو القمم ، وهي على المعنى الثاني تنزل الى مستوى الشعب والجماهير والأمة تدرس وتكتشف وتنقب ، وتنتخب جاهدة في الأخذ بأيدي الناس نحو حياة افضل ، وبيد الحضارة نحو ازدهار اوسع وقدرة اشمل الخدمة الجماهير وخدمة التطور .

وقد كانت الثقافة الإسلامية تتسم ، بالسمتين ، فهي متعالية مستعصية الا على رجالها والذين يبذلون من اجلها ، وهي كذلك لينة طيعة القياد تعمل من اجل الناس والمجتمع والشعوب ومن اجل خدمة التطور والحضارة والرقي بالمدنية الى الحد الذي يطمح اليه العالم .

وقد امتازت الثقافة الاسلامية بيسرها وسهولتها وخفتها على اذهان الناس وقلوبهم ، وقبولهم لها بثقة واطمئنان ويسر كذلك . وكانت هي العامل الفعال في نهضة اوربا الحضارية والثقافية اذ لم تكن الثقافة الاغريقية معروفة في اوروبا في العصور الوسطى الا عن طريق الثقافة العربية الاسلامية ، التي تولت شرح الثقافة الاغريقية ونقدها وتطويرها والمحافظة على الكثير من أصول تراثها وقد أخذت الثقافة العربية الاسلامية من كل المواريث الثقافية ، ونهلت من كل منابع العلم والمعرفة ، وأخذت عن الثقافة الفارسية والمصرية القديمة والهندية ، وحافظت على الكثير من أصول هذه الثقافات بجانب ما ابتكرته من ثقافة اسلامية عربية أصيلة ، تشمل علوم الشريعة واللغة والعلوم العملية وكثيراً من المعارف النظرية ، وكانت هذه الثقافة شديدة الطموح قوية العزم ، فهي تهتم بالأصول الثقافية للأمة الاسلامية ، وهي تلقح هذه الأصول بما وجدته من قيم ثقافية أجنبية ما دام ذلك في مصلحة الثقافة وتطورها المنشود ، وعملها الدائب من أجل خدمة الحضارة والحياة والمعرفة نفسها .

وبجانب ما كشف عنه جابر بن حيان من علم الجبر ، والخوارزمي من علم اللوغارتم ، نجد الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد يكشفون معالم للفلسفة الاغريقية ، ويبنون على اطلالها فلسفة اسلامية ، ونجـــد الخليل بن أحمد البصري (١٧٠ هـ) يكتشف أصول المعجم اللغوي وعلم أوزان الشعر وقوافيه ، وكذلك أهتدى سيبويه الى فلسفة اللغة العربية وأصولها في الاعراب ، ونجد ابن ماجد العربي يضع أصول العلوم البحرية وقواعد الملاحة ، وهكذا تطورت الثقافة الاسلامية في مدلولها في مختلف لعصور ، وانتقلت اليوم من مثالية الفكر الى واقعية الاتجاه ، وفي عيد لعلم منـــذ عامين وقف الرئيس عبد الناصر ينادي بالتزام العلم والعلم لملتزم ، الذي يلتزم خدمة الحياة والجماهير والمثل العزيزة على المثقفين ، كالحرية والسلام والتقدم .

ويمكنني أخيراً أن أقول إن قمة البحث هو العلم ، وقمة العلم هو الثقافة ، وقمة الثقافة هي المعرفة ، وقمة المعرفة هي الحضارة بقسميها الفكري والمادي .

٤

وعندما نزل الوحي في غار حراء — أول ما نزل — على محمد بن عبد الله ، انطلق يردد وحي الله ، والكلمات الأولى التي نزلت مـــن القرآن الكريم : « **اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم** » والأمر بالقراءة انما هـــو أمر بالعلم ، الذي تعد القراءة من أهم أسبابه وما أروع الاسلام وهو يقرن المسببات بأسبابها ويعلم المسلمين أن يأتوا الأمور من أبوابها ، والقراءة والعلم على من لا يعرفهما عسيران ولكنهما عندما يكونان باسم الله وعونه والهامه يصبحان أمراً سهلاً يسيراً ، وتكرار

الأمر هنا للاهتمام بالمأمور به .

وقد يكون الأمر الأول انما هو بالقراءة نفسها ، ولا يكون الأمي قارئاً الا بقدرة الله ، واذا كانت قدرته عز وجل قد خلقت الانسان من علق ، ثم صورته في أحسن صورة ، ووهبته الروح والحياة ، فانها هي التي تهبه كذلك معرفة القراءة والكتابة . أما الامر الثاني بالقراءة فهو أمر بالعلم ، والعلم على من يعرف القراءة والكتابة سهل ميسور ، وبخاصة اذا كان الرب الأكرم عونا للمتعلم وهاديا وملهما ، ولذلك قرن هذا الأمر بوصف الله بأنه أكرم الكرماء وبأنه الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم .

ولقد مدح الله القلم ، والعلم الذي يسطره العلماء به ، حين أقسم به تعالى في قوله : **« ن والقلم وما يسطرون »**

ومدح العلماء في قوله **« انما يخشى الله من عباده العلماء »** .

وفي قوله : **« يرفـــع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »** أي الذين جمعوا بين الايمان والعلم .

وفي قوله تعالى **« شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط »** .

وقد ذكر القرآن العلم وكرمه ، كما ذكر العقل الذي هو من أهم مفاتيح العلم وشرفه ، في عشرات الآيات والسور .

ورفع رسولنا العظيم — صلى الله عليه وسلم — من شأن العلم والعلماء ، وأعزهم وأعلى منزلتهم ، والآثار النبوية في هذا الباب كثيرة ، يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « يستغفر للعالم ما في السموات والأرض » ويقول : « يشفـــع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » ، ويجعل طلب العلم فريضة وواجباً اسلامياً محتوماً فيقول : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، وفي رواية « ومسلمة » . وبعث

رسول الله (ص) معاذا الى اليمن وقال له : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها » .

وخلفاء رسول الله وأصحابه كانوا مثلاً عالياً في الاعتزاز بالعلم ، ورفع منازل العلماء ، وفي الحث على طلبه يقول علي كرم الله وجهه : « من وهب حياته للعلم لا يموت أبداً » ، ويقول : « التبحر في العلم أعلى مراتب الشرف » .

٥

ولا ريب ان الثقافة في مجتمع اسلامي ، يطبق مبادىء الاسلام ، لا بـد أن تكون ثقافة اسلامية ، أساسها القرآن والحديث ، وكل العلوم والمعارف تدور حولها وتنبعث منها .

ولقد كانت تعاليم الاسلام ومبادئه ، وأصوله وشرائعه وما أمر به من طلب العلم وارشاد الناس ، نقطة الانطلاق الأولى ، التي امتدت ، وسار العلماء المسلمون في مدارها ، مواكب مبدعة حرة كريمة على الله والناس ، فصنعوا بعد قليل نهضة ثقافية عالية الذرى ، لم تبلغها أمة من قبل ، وكان ذلك أثراً للاسلام وحضه على المعرفـــة ، ولتنافس الخلفاء والحكام في العالم الاسلامي في رعاية العلوم والمعارف ، ولتنافس العلماء كذلك في خدمة المعرفة وللرحلات العلمية المستمرة بين عواصم الاسلام ، والمناظرات الدينية والعلمية بين الفرق الدينية الكبرى ، التي قامت في القرن الاول الهجري ، ثم لقيام الحلقات العلمية وتعدد مواطن الثقافة في البلاد الاسلامية ، وما تلا ذلك من انشاء المكتبات والمدارس والجامعات في كل مكان .

ولقد وجد العقل الاسلامي ، في فجر الاسلام ، زاده في المعرفة وقيمه الحضارية في الخير والشر والجمال والقبح ، والبداية والنهاية والحق والباطل ، فيما يحمل الكتاب الكريم من كنوز ، فعكف على تعرفها ودراستها وتفسيرها .

وقامت الحلقات العلمية في الحواضر والمدن ، في المساجد الكبرى وفي أماكن خاصة أخرى ، في كل انحاء دولة الخلافة ، وتصدرتها طبقة بعد طبقة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، ممن نجد ذكرهم ، وذكر مآثرهم العلمية الباقية ، في مثل كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم .

ويعد في الطبقة الأولى : عمر وعلي وابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عباس (١ — ٦٨ هـ) وزيد بن ثابت ، وفي الطبقة الثانية عشرون من أصحاب رسول الله (ص) ، وفي الثالثة نحو مائة وعشرين .

كان في مكة أمثال : عكرمة وعطاء وابن أبي مليكة .. وفي المدينة : سالم ونافع ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعروة بن الزبير (٢٣ — ٩٤ هـ) والزهري (٥١ — ١٢٤ هـ) ، وسعيد بن المسيب تلميذ زيد بن ثابت ، ثم ظهر الامام مالك ، ولما خرج معاذ بن جبل الى الشام قال عمر : لقد اخل خروجه بالمدينة وأهليها في الفقه ولقد كنت كلمت أبا بكر رحمه الله أن يحبسه ، أي يمنعه من الخروج ، لحاجة الناس اليه ، فأبى علي .

وكان في الشام : عبادة بن الصامت وأبو الدرداء ، وشهر بن حوشب ، ورجاء بن حيوة الكندي ، وهانىء بن كلثوم ، ومكحول ، وأبو ذر ، والأوزاعي .

وفي اليمن : وهب بن منبه (١١٤ هـ - ٧٣٢ م) ، وطاووس . وفي مصر : عبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبو تميم ، ويزيد بن عبـــد الله ، والصابحي . وفي الكوفة : النخعي والشعبي وشريح وسعيد بن جبير ، وابن مسعود ، وكان قد بعثه عمر اليها ، وكتب الى أهل الكوفة يقول : اني بعثت اليكم بعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً ، وآثرتكم به عـــلى نفسي ، فخذوا عنه ، وكان ابن مسعود لا يكاد يخالف عمر في شيء من فقهه .. ثم ظهر بعد ذلك أبو حنيفــة .. وكان في البصرة : أبو موسى الأشعري ، وأنس بن مالك (٩٢ هـ) وقتادة وأبو سعيد الحسن البصري (١١٠ هـ) وابن سيرين (١١٠ هـ) ، واياس (١٢٢ هـ - ٧٣٢ م) ومالك ابن دينار وأيوب السختياني ، ثم ظهر فيها سعيد بن أبي عزوبـــة (١٥٦ هـ) وكان شيخ البصرة وعالمها وأول من دون العلم بها . كما كان ابن جريج الرومي إمام الحجاز أول من صنف الكتب به . فأول كتاب ألف في الإسلام هو كتاب ابن جريج في الآثار ، ثم كتاب حروف التفسير رواية عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس بمكة ، ثم كتاب معمر بن راشد باليمن جمع فيـــه سنناً نبوية مأثورة ، ثم كتاب الموطأ لمالك الذي ألفه في المدينة ثم جامع سفيان الثوري .. وكان في خراسان عطاء بن مسلم والضحاك بن مزاحم .

وكان الخلفاء يشيرون على أصحاب رسول الله بأن يذهبوا الى الأمصار لهداية الناس ، يقول عبد الله بن سالم : كنا مع ابن عمر يوم مات زيد بن ثابت (٥٤ هـ) فقلت : مات عالم الناس اليوم ، فقـــال ابن عمر : يرحم الله زيداً فقد كان عالم الناس وحبرهم ، فرقهم عمر في البلدان .

وكان ابن عباس يلقي محاضراته بانتظام في الحرم المكي ، وكثيراً ما كانت تتحول حلقته الى حلقة أدبية . وفي عهد بـــلال بن ابي بردة (١٢٦ هـ) في البصرة كانت قواعد اللغة العربية تدرس في مساجدها ،

وكان السلامي (٧٤ هـ) يدرس قراءات القرآن في مساجد الكوفة ، وكان ابن هشام المخزومي يلقي دروسه في الجامع الكبير في دمشق .

وكان من هؤلاء الأعلام جميعاً العربي ، كما كان منهم الموالي من أبناء البلاد المفتوحة ، الذين شبوا في الاسلام ، وأصبحوا به أئمة وهداة وعلماء . ومن جلة التابعين من الموالي : سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار في المدينة ، وعطاء ومحمد بن مسلم في مكة ، ومكحول في الشام ، وهو أستاذ الأوزاعي ، ويزيد بن أبي حبيب في مصر وهو أستاذ الليث بن سعد ، وسعيد بن جبير في الكوفة ، ومجاهد وعكرمة والحسن بن يسار والحسن البصري ، ومحمد بن سيرين في البصرة . ومن البصرة خرج الخليل وهو عربي ومؤلف أول معجم للغة العربية ، وواضع علم أوزان الشعر وقوافيه ، وسيبويه وهو فارسي ، ومؤلف الكتاب الذي كان اول دراسة علمية لقواعد النحو العربي .

٦

وكانت حلقات بيت الله الحرام في مكة ، والمسجد النبوي في المدينة أولى الحلقات العلمية الجامعية في الاسلام ، وكان في مسجد رسول الله مائة وعشرون من صحابته صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يسأل عن حديث أو فتيا الا ود أن أخاه كفاه ذلك .

وقد تبعتها حلقات شهيرة في المسجد الأقصى في فلسطين ، والمسجد الأموي في دمشق ، وجامع عمرو بن العاص في الفسطاط ، والمسجد الجامع في البصرة .

وقد تمتعت بعض هذه الحلقات بشهرة علمية عالية مما جعلها تتحول

الى مراكز للبحث في مختلف فروع الثقافة ، وكانت بذلك الطابع أولى الجامعات في العالم ، ووضعت أسس التعليم الجامعي سباقة في مضمار هذا العمل العظيم . واشتهرت مكة بعلو الكعب في التفسير ، والمدينة بالحديث، والكوفة بالشعر والقراءات ، والبصرة بالنحو والمذاهب الدينيـــة . وفي حلقة الإمام الشافعي بمسجد عمرو بن العاص بالفسطاط أملى هذا الإمام الجليل أماليه الجديدة في علم أصول الفقه ، فكان أول من دون علم الأصول ، وان كان الشيعة الامامية يذهبون الى أن أول من دونه الامام الباقر بن علي زين العابدين .

ومن البدهي أن بعض هذه الحلقات قد توقف عن متابعـة البحث العلمي ، وبعضها قد سار في هذا الميدان شوطاً طويلاً ، ومـن أشهرها الأزهر الشريف .

وقد شيد المسلمون الجامعات والمراكز الثقافية المتقدمة في كل مكان ، في الكوفة والبصرة وبغداد وفي مدن ايران وفي مصر ، وفي صقلية إبان الحكم الاسلامي فيها الذي امتد قرنين ونصفاً من الزمان وفي قرطبـــة واشبيلية وغرناطة والقيروان ونالت هذه الجامعات شهرة علمية وعالميـة واسعة .

وكان في عهد الحكم المستنصر الأموي في القرن الرابع الهجري أكثر من ثمانين مدرسة في قرطبة وحدها ، ومنها مدرسة جامع قرطبة الكبير ، التي كان يلقي فيها القالي مجالسه اللغوية والأدبية .

وقد أنشئت أول أكاديمية اسلامية في بغداد عام ثلاثة وثمانين وثلاثمائة من الهجرة (٩٩٣ م) ثم انشئت أخرى في نيسابور عام اربعمائة . وكان جماعة « اخوان الصفا » يكونون اكاديمية فلسفية في البصرة نحو منتصف القرن الرابع الهجري ، وقد ألفوا إحـــدى وخمسين مقالة في الفلسفة

ليحببوها الى الناس ، وكانوا يذهبون الى أن الكمال الانساني لا يتم إلا بتآخي الدين والفلسفة ، وكان عددهم أربعين عضواً وهو عــدد أعضاء الأكاديمية الفرنسية ومختلف الأكاديميات والمجامــع الكبرى اليوم ، ومن زعمائهم زيد بن رفاعة .

وكان من أهم معالم نشوء الجامعات الإسلامية قيام الجامع الأزهر في القاهرة [١] ، وجامع الزيتونة في تونس ، وجامع القرويين في فاس .

٧

ولقد رعت الدول الاسلامية الثقافة والعلم حــق رعايتها ، فكانت الري وشيراز – بتشجيع البويهيين ووزرائهم كابن العميد والصاحب بن عباد والمهلبي بن سعدان – من المراكز الثقافية الممتازة ، وكان ابن سعدان يميل الى الفلسفة ، وابن العميد يميل الى العلم ، والكثيرون جلسوا منه مجلس الطلاب من الأستاذ كما يقول صاحب اليتيمة . وكان المهلبي والصاحب يميلان الى الأدب وفي الصاحب يقول الثعالبي انه قد احتفت به من نجوم الأرض ، وافراد العصر ، وابناء الفضل ، وفرسان الشعر ، من يربى عددهم على شعراء الرشيد . وظهر في دولة البويهيــين ابن مسكويه وابن فارس (٣٩٠ هـ) .. ونشأ ابن سينا (٤٢٨ هـ) في ظل السامانيين ورعايتهم في بخارى ، واستظـل البيروني (٤٤٠ هـ) بعطف الغزنويين وحدبهم . وكان اشتغال علماء الجزيرة والشام بتدوين العلوم الأدبية والشرعية والتاريخ لا يقل عن اشتغال علماء المشرق ، يساندهم ملوكهم من أمراء بني حمدان وبني عقيل وبني منقذ .

وكانت حلب في عهد سيف الدولة درة متألقة في عقد الثقافة ، ففيها الفارابي الفيلسوف ، وابن خالويه النحوي ، وفيهــا المتنبي وأبو فراس ،

---

(١) سيأتي الكلام عليه فيما بعد .

والعلماء في كل فن ، ويقول الثعالبي : انه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك ما اجتمع ببـــاب سيف الدولة من شيوخ الشعر ونجوم الدهر ، وانه لم يجتمع في قصر ملك من العلماء والأدباء والشعراء مثلما اجتمع في قصر الرشيد وسيف الدولة والصاحب بن عباد .

وقد وصلت مصر في مراتب الشرف ، الى مـــا وصلت اليه بغداد حتى ان الحاكم الفاطمي طلب من الحسن بن الهيثم العالم الرياضي المشهور ان يزوره في القاهرة ، فلما قرب مقدمه خرج الحاكم لاستقباله على باب من ابواب القاهرة ، وفي عاصمة الفاطميين وضع الحسن بن الهيثم نظريته الجديدة في انكسار الضوء وأراد ان يبني سداً عالياً على النيل فلم يجد الامكانيات موفورة ، وبحوثه في علم الضوء والبصريات موضع اعجاب الأوربيين حتى اليوم .

يقول برنال في كتابه « تاريخ العلم » عنه وعن بعض العلماء المسلمين كمحمد بن موسى الخوارزمي الذي برع في الرياضيات ووضع علم الجبر : انهم أدوا للانسانية خدمات لا تقدر ، وتحتفل جمعيـــة تاريخ العلوم في القاهرة هذه الايام بمرور ألف عام على ميلاد العالم الرياضي ابن الهيثم .

وكان الخليفة الكامل الأيوبي يرعى العلماء والأدباء ، فعاش في عطفه البيطار العالم النباتي المشهور ، وشمل باجلاله واهتمامـه ابن الفارض العالم الصوفي العظيم .

وناهيك ببغداد وفلاسفتها وعلمائها ومدارسها في ظلال الخلافـــة العباسية .

ولقد تنافس المسلمون في انشاء المدارس ، رجالاً ونساء ، حاكمين ومحكومين ، فأنشأت بنت نور الدولة المدرسة الزهراوية ، وأنشأت (ست

الشام) مدرستين في دمشق .

وحدث ولا حرج عن المغرب العربي في عهد الاغالبة والصنهاجيين والحفصيين والموحدين والمرابطين .. وعن طرابلس والقيروان وتونس وفاس ومكناس والرباط وغيرها من المدن الاسلامية .

وكان الناصر وابنه الحكم في الاندلس في القرن الرابع الهجري يرعون العلم والعلماء رعاية كاملة ، كان الحكم وهو ولي عهد رئيساً لمعاهد قرطبة وجامعاتها ومكتباتها وأنديتها العلمية والأدبية ، أي بمثابة وزير معارف في حكومة والده الناصر الأموي ، وكانت له مكتبة خاصة تحتوي على أربعمائة ألف مجلد ، عدا مكتبات قرطبة السبعين التي كانت تحفل بملايين المجلدات ، وكان يعقد الندوات العلمية والأدبية في قصره ، ويجتمع بأفذاذ العلماء ويناظرهم ، وبعث الى ابي الفرج الاصفهاني بألف دينار من الذهب ليرسل اليه نسخة من كتابه « الاغاني » قبل ان يخرج نسخة منه الى بغداد ، وهو الذي استدعى ابا علي القالي الى قرطبة واستقبله في قصره استقبالاً حافلاً ، وطلب مرة من الفقيه ابي ابراهيم المالكي ان يزوره في قصره على عجل ، فأبى ابو ابراهيم الا بعد أن يتم درسه الذي كان يلقيه في الحديث في مسجد قريب من داره ، وقال : اني شيخ مسن فليفتح الخليفة لي باب قصره المطل على المسجد لادخل منه ، ففعل الحكم ذلك ، واستقبل الفقيه من هذا الباب ، وودعه منه .. وكان لا يفتح أبداً .

٨

ونستطيع أن نلخص حركة سير الثقافة العربية فيما يلي ...

الثقافة في القرن الأول الهجري

في القرن الاول الهجري تم جمـــع القرآن الكريم وتدوين الحديث النبوي الشريف . كما تم وضع النحو العربي على يدي ابي الاسود الدؤلي (٦٩ هـ) على الأرجح ، وتم وضع الشكل بعلاماته المعروفة اليـوم من ضم وفتح وكسر وسكون ، وذلك على يدي ابي الأسود الدؤلي أيضاً ، وتم وضع النقط للحروف في عهد معاوية او عبد الملك بن مروان ، وذلك على يدي نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر تلميذي ابي الاسود ، ونهض الصحابة بتفسير القرآن الكريم حسب الحاجة والظروف ، وكان إمام المفسرين هو ابن عباس (المتوفى عام ٦٨ هـ) ، ثم مجاهد (المتوفى عام ١٠٤ هـ) ، كما نهضوا بالتمييز بين الأحاديث الصحيحة والأحاديث الموضوعة ، واشتهر من ذلك عاصم بن سليمان (١٤١ هـ) .

وكان الصحابة — رضوان الله عليهم يروون أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، راوياً عن راوٍ ، وكان الصحابي يسمع أقواله ليرويها لمن جاء بعده من أولاده وأصحابه وتلاميذه وكان بعضهم يروي لخاصته ما رآه او سمع عنه من مغازي الرسول وسراياه ويوصيهم بحفظ أخبارها ، ومن ذلك ما روى من ان سعد بن ابي وقاص كان يعلم اولاده سيرة النبي ومغازيه وسراياه ، وانه كان يقول لهم « هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها . وجاءت بعد الصحابة طبقات من التابعين عنيت بجمع أحاديث الرسول ، وتقصي افعاله واخباره وما حدث في مغازيه وسراياه ، فكانوا يحفظونها عن ظهر قلب ، ويلقنونها لابنائهم وتلاميذهم . « وقد بدأ بعض

هؤلاء يقيد شيئا مما كان يسمع من تلك الاحاديث والاخبار مثل عبدالله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس » فقد روى ابن سعد أن ابا مسلمة الحضرمي قال « سمعت ابن عباس يقول : كنت ألزم الاكابر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من المهاجرين والانصار ، فأسألهم عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما نزل من القرآن في ذلك ، وكنت لا آتي أحداً منهم إلا سر بإتياني لقربي من رسول الله [1] ... »

وكذلك روى ابن سعد عن الواقدي عن جدة عبد الله بن عباس أنها قالت :

« رأيت ابن عباس معه ألواح يكتب عليها عن أبي رافع شيئاً من فعل رسول الله ﷺ » [2] ، وهكذا نشأة المدرسة الأولى لجمع الحديث وأخبار المغازي والسيرة النبوية نشأة طبيعية بالمدينة عن طريق الرواية الشفوية والحفظ في الصدور ، ثم بدأ التدوين بعد ذلك بالمدينة أيضاً حينما سمح به عمر بن عبد العزيز .

ولما [3] كان الحديث النبوي هو المصدر الثاني الذي يأخذ عنه المسلمون أمر دينهم ، فقد وضحت الحاجة الى ضرورة الدقة والتحري لتمييز الصحيح من الحديث ومعرفة الموضوع منه ، حتى لا يؤخذ الا برواية العدول من الرجال ، مما دعا الى وضع القواعد والمبادىء التي

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٧١ .

(٢) ابن سعد : المرجع السابق .

(٣) راجع المدخل للدراسات العربية – عبد المنعم عمر .

تؤدي الى دراسة سيرة رواة الحديث ، وتقصّي كل مـــا يمكن الوقوف عليه من أخبارهم حتى يمكن الحكم بتمييز العدول مـــن بينهم ، وهذا ما عناه ابن سيرين بقوله « هـــذا الحديث دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم [١] » ولذلك اهتم المسلمون بتحقيق الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمي ذلك فيما بعد « علم الجرح والتعديـــل » وهـــو علم « يبحث فيه عن جرح الرواة ، وتعديلهم بألفاظ مخصوصة ، وعن مراتب تلك الالفاظ ، وهذا العلم من فروع علم رجال الاحاديث .. وقد جوز ذلك تورعاً وصوناً للشريعـــة لا طعناً في الناس ، كما جاز الجرح في الشهود جاز في الرواة والتثبت في أمر الدين أولى من التثبت في الحقوق والاموال ، فلهذا افترضوا على أنفسهم الكلام في ذلك » [٢] وقد ألف الحفاظ في هذا العلم كتباً كثيرة مـــا بين مبسوط ومختصر ، وكلها ثروة كبيرة من المراجع في نقد رجال الحديث الذين كان من بينهم المحدثون وكتاب المغازي والسيرة الأول وكذلك أوائل المؤرخين ، ومن أوائل الذين ألفوا في ذلك :

يحيى بن سعيد القطان وتلاميذه ومنهم يحيى بن معين ، وعلي بن المديني ، وأحمد بن حنبل وجـــاء على أثر هؤلاء الذين تلقوا عليهم من أمثال الحفاظ أبي زرعة حاتم والبخاري ومسلم وأبي اسحاق الجوزجاني ، وأتى بعد هؤلاء طبقة أخرى من بينهم النسائي ، وابن خزيمه والترمذي . ومن أهم المؤلفات في ذلك كتاب الكامل تأليف أحمد بن عدي وكتاب الدارقطني ، وكتاب الجامع الكبير والجامع الصغير للسيوطي ، وكان بدء تدوين الحديث في عهد عمر بن عبد العزيز على يدي محمد بن مسلم

---

(١) انظر آخر الشمائل المحمدية للترمذي .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٥٨٢ .

ابن شهاب الزهري (٥٠ — ١٢٤ هـ) ؛ ويقال إن تلميذ الزهري محمد بن عبد الرحمن العامري المتوفى عام ١٢٠ هـ ، هو أول من جمع الأحاديث لتكون أساساً للفقه وسمي الزرقاني في شرح الموطأ (ص ١٦ طبعة مصر ١٢٧٦ هـ) كتابه الموطأ ، وكانوا يفضلونه على « موطأ الامام مالك »، ولكنهم عابوا عليه أنه لم يصحح نقد الرجال .

ويقال إن ابن جريج، أو أبا بكر بن حزم أول من جمع الأحاديث.

وبدأ الرواة والمؤدبون في رواية الشعر الجاهلي وتدوينه في هذا القرن كما بدأ العرب يعنون بالقصص والتاريخ وعلم الانساب ؛ وكان من أشهر مجامع العلم والأدب في هذا القرن مكة والمدينة .

والمدينة كانت حافلة بالعلماء ، من أمثال عطاء ورباح وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، ثم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير بن العوام ، ثم مالك بن أنس صاحب المذهب المعروف ونبغ فيها من المؤرخين محمد بن اسحاق والواقدي ، وهما من أشهر المصادر الأولى للسير والمغازي .

وأما مكة فكانت تعج بالعلماء من أمثال معاذ وابن عباس وسفيان بن عيينه وغيرهم .

وبجوار مكة والمدينة كانت دمشق والفسطاط والبصرة والكوفة وغيرها من العواصم الاسلامية الكبرى ذات الشهرة العلمية الرفيعة .

التطوّر الثقافي في القرن الثاني الهجري

في القرن الثاني نشأت مدرسة البصرة والكوفة في النمو ومدارس دينية وعقلية في العراق ، وبخاصة في البصرة وظهر أئمة العلماء ومن بينهم : أبو عمرو بن العلاء ، والخليل وسيبويه والكسائي والمفضل الضبّي ، وحماد الراوية وسواهم ، كما ظهر أئمة الفقه من أمثال مالك .

وقد حل [1] بالكوفة من اصحاب رسول الله كثير كان من اشهرهم : علي بن ابي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وقد شغلت السياسة علي بن بي طالب فلم يجلس للتعليم ، وانبرى له ابن مسعود الذي ارسله عمر بن الخطاب لتعليم أهلها ، فكان له تلاميذ أخذ عنهم الناس من بعده ، فكانت في الكوفة حركة علمية كبيرة ، ومن علمائها شريح القاضي والشعبي والاشتر النخعي ، ومن علمائها فيما بعد ابو حنيفة النعمان ، وفي البصرة كان أبو موسى الأشعري أول من علم الناس بها ، وكان يعد من أعلم الصحابة وكذلك نزل بها أنس بن مالك الصحابي الجليل الذي خدم رسول الله عشر سنوات وكان صبيا حين قدم المدينة وكان آخر من مات من الصحابة بالبصرة وشهرته بالحديث أكثر من الفقه ومن تلاميذه الحسن البصري وابن سيرين وقد ماتا في سنة واحدة هي سنة ١١٠ هـ .

(١) الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام لخفاجى

وفي الشام : كان معاذ بن جبـــل ، وعبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء . وقد أرسلهم عمر الى أهل الشام ليعلموهم القرآن ويفقهوهم في الدين ، وتخرج على ايديهم كثير من التابعين كعمر بن عبد العزيز ورجاء ابن حيوه والاوزاعي امام أهل الشام من بعد .

وكان في مصر : عبد الله بن عمرو بن العاص وهو من أكثر الناس حديثاً عن رسول الله (ص) ، ثم يزيد بن حبيب ، ومن تلاميذه الليث بن سعد وأبو حنيفة والشافعي ؛ وظهر أعلام الرواة في الأدب كحماد وأبو عمرو بن العلاء وخلف الأحمر والضبي ويونس وسواهم ، وظهر اعلام الشعراء من امثال بشار وأبي العتاهية وأبي نواس ، وأئمة الأدب من امثال عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وسواهم . وفيه ألف الخليل كتاب العروض ، وسيبويه كتابه المشهور في النحو ، وألف الامام الشافعي كتابه المشهور « الأم » .

سير الثقافة بعد القرن الثاني

١ – **وفي القرن الثالث** ظهر أئمة الأدب والشعر والنقد ومن بينهم : الجاحظ وابن سلام وابن قتيبة وأبو تمام والبحتري وابن المعتز وابن الرومي والأصمعي والمبرد وثعلب وسواهم .

وفيه ظهر علم الانساب والتاريخ والسيرة والمغازي واستكمل الفقه أكثر تطوراته اشارة ، وكان لابن حنبل أثر كبير في حياة المسلمين في هذا القرن ، وظهر علم البديع وكتاب ابن المعتز المشهور فيه – البديع .

٢ – **وفي القرن الرابع** بدأ علم النقد في الظهور ، وألفت أروع الكتب الأدبية كالعقد الفريد والأمالي لأبي علي القالي وكتاب الأغاني وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري وكتاب الموازنة للآمدي ، وظهر أئمة الشعر كالمتنبي وأبي فراس وأعلام الأدباء كابن العميد والصاحب بن عباد ، وأعلام الفلسفة واللغة وغيرهما ومن أعلام الشعر الشريف الرضى.

٣ – **وفي القرن الخامس** ظهر ابن سينا الفيلسوف الاسلامي العظيم ، وظهر امام النقد وشيخ البلاغة عبد القاهر الجرجاني ، وظهر من النقاد ابن رشيق صاحب كتاب « العمدة » وابن سنان الخفاجى صاحب « سر الفصاحة » وظهر من الشعراء أبو العلاء المعري صاحب رسالة الغفران واللزوميات . وفي هذا القرن وضع عبد القاهر الجرجاني البلاغة العربية وألف كتابيه اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز . وألف الثعالبي (٤٢٩ هـ)

كتابه المشهور يتيمة الدهر ، والحصري كتابه « زهر الآداب » ، وألف الامام الغزالي اروع الكتب الفلسفية .

٤ — **وفي القرنين السادس والسابع** نبغ في اللغة والأدب والشعر الحريري والجواليقي وابن الشجري (٥٤٢ هـ) والزمخشري (٥٣٧ هـ) والأنباري (٥١٣ — ٥٧٧ هـ) والتبريزي (٤٢١ — ٥٠٢ هـ) والزوزني والميداني وابن بسام والراغب الاصفهاني وابن الأثير وياقوت الحموي وابن رشد وابن باجة وابن طفيل والرازي ، وكان أهم أحداث التاريخ اثارة في هذه الحقبة هو سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ . وكان من أعلام الشعر في هذه الفترة : ابن خفاجـــه الأندلسي والطغرائي والبهاء زهير وابن حمديس الصقلي وابن الفارض والبوصيري ، وسواهم كما ظهر ابن خلكان (٦٨١ هـ) صاحب كتاب « وفيات الأعيان » ..

٥ — **وفي عصر المماليك ظهر** : القلقشندي صاحب كتاب « صبح الأعشى » والنويري صاحب كتاب « نهاية الأدب » وابن خلدون فيلسوف الاجتماع صاحب « المقدمة » والمقريزي وابن بطوطه وابن منظور صاحب لسان العرب وابن هشام النحوي والسيوطي ، والسخاوي ، وابن حجر وسواهم .

٦ — **وفي عصر الأتراك العثمانيين** تتوقف النهضة العلمية ، ولا يظهر خلاله الا القليل من اعلام العلماء ، وفي مقدمتهم : الشهاب الخفاجي (١٠٦٩ هـ) ، وعبد القادر البغدادي صاحب « خزانة الأدب » المتوفى عام ١٠٩٣ هـ والامام الدردير ، وسواهم .

٧ — ويجيء عصر النهضه الحديثة منذ مطلع القرن التاسع عشر ، وفيه حدثت تغييرات كثيرة سياسية واجتماعية وعملية وفكرية وأدبية في العالم الاسلامي العربي ، ففي العصر الحديث أثـرَتْ البحوث الأدبية

ثراء كبيراً ، وتنوعت المؤلفات فيها ، وطرق التأليف كذلك .

فنشأ علم تاريخ آداب اللغة العربية ، ونهض النقد وأثرى واتصل بالنقد الغربي ومناهجه وأصوله . ودخل الأدب المقارن في مناهج الدراسات الأدبية كذلك ، وكانت العناية بتاريخ الأدب حافزاً على دراسة النصوص دراسة مستقلة وتحليل هذه النصوص ومعرفة خصائصها ، وعلى دراسة التراجم الأدبية كذلك دراسة مستقلة تدرس فيها الشخصية ويكشف عن آثار العصر والبيئة والحياة والتجارب والمدارس الفكرية فيها ، وعن الجديد الذي تمثله هذه الشخصية في الثقافة أو الفكر ، وعن أثرها في محيطها وفي المحيط الثقافي العام كما درست مناهج البحوث الأدبية دراسة مفصلة .

وفوق ذلك تطورت دراسة البلاغة ، ورأى الاستاذ أحمد الشايب أن ندرس الأسلوب على انه هو اليد بل الجديد للبلاغة العربية ، ورأى أمين الخولي أن البلاغة هي فن القول وأن دراسة التعبير وخصائصه ضرورة من ضروريات التعبير الأدبي .

وفي اللغة عني العلماء بدراسة علم فقه اللغة واللهجات اللغوية ، والأصوات اللغوية ، وأصول اللغة .

كما درست في النحو أصول النحو العربي وألف فيها (كما في كتاب أصول النحو العربي سعيد الأفغاني) ودرست المدارس النحوية دراسة مستقلة .

وفي التاريخ عني بفلسفة التاريخ أو بعلم الاجتماع بالاقتصاد السياسي بمختلف الدراسات التاريخية ، وبتاريخ الحضارة ، وتاريخ الثقافة ، وتاريخ الفكر ، وبغير ذلك .

وفي التراجم كان للمنهج الجديد الذي سار عليه كتاب التراجم أثر عميق في ثراء هذه المادة وسعة منافذ الكتابة فيها الى غير ذلك من مختلف الوان الجديد الذي دخل على الثقافة العربيـــة في العصر الحديث .

الثقافة الإسلامية توقظ أوروبا من الظلام

من البدهي ان اوربا في العصور الوسطى كانت تعيش في الظلام ، وانها لم تر النور والحياة الا بعـــد أن شاهدت أضواء العلم في بلاد الاسلام ، وأقبلت على معارف العرب وعلومهم ، واستضاف بعض ملوكهم العلماء المسلمين في ديارهم وأخذت أوربا تترجم الثقافة العربية الاسلامية الى اللغة اللاتينية ثم الى مختلف اللغات الأوربية . وعـــن طريق هذه الترجمات وطريق العلماء المسلمين الذين عاشوا في مدن أوربا ، وطريق الأوربيين المثقفين بالعلوم العربية ، انتشرت الثقافة الاسلامية في بلادهم ، بل أصبح لها تأثيرها الضخم في الفكر الأوربي . وبعد أن اتبع التعليم في اوربا مناهج الجامعات العربية ، وانتشرت العلوم الاسلامية فيهـــا ، وأثرت في افكار العديدين من عقلائها ، بدأت النهضة الأوربية .

كان طلاب العلم يفدون الى الأندلس وصقلية من كل أنحاء أوربا ليدرسوا على الاساتذة المسلمين ، وكان منهم مثلاً « جربرت » الذي تولى البابوية في روما في آخر القرن العاشر الميلادي (٩٩٩ م : ٣٨٩ هـ) ، وكان قد تلقى تعليمه في الأندلس ، واتهم بالالحاد عندما أراد أن ينشر في أوربا ما أخذه عن العرب ، وكان الشريف الادريسي أحد العلماء في مملكته ، وجاء فردريك الثاني من أسرته فنشر الثقافة العربية في أوربا ، واذاع مناهج العلماء المسلمين في البحث .

ونجد مثلاً القس المسيحي نيكلدس يقوم في اواخر القرن الثالث عشر

برحلة الى البلاد الاسلامية ، حيث يمضي فيها سبع سنوات ، ويدرس القرآن الكريم ويعود الى اوربا ليطلب من اخوانه في المسيحية أن يتخذوا من أصول الاسلام وصفات المسلمين مثلاً أعلى لهم ، وأبدى لهم اعجابه الشديد بالدراسات الاسلامية في مدارس بغداد ، ووصف نظام التعليم فيها وصفاً دقيقاً .

ونجد أمثلة لعكس ذلك ، فالشريف الادريسي العالم الجغرافي المشهور يقيم في صقلية وروما عند ملوك النورمانديين بعد سقوط صقلية في أيديهم ، وألف هناك كتابه المشهور « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ، ووضع اول خريطة جغرافية للعالم طبعها المجمع العلمي في بغداد منذ نحو عشرة أعوام ، وصنع كرة من الفضة تمثل الأرض ونقش عليها أسماء كل البلاد المعروفة بالحروف العربية .

ولا تنس السفراء المسلمين لدى ملوك أوربا ، وكانوا يختارون من كبار العلماء والساسة ، وكانوا يستثيرون الاعجاب والتقدير في كل مكان .

وأمامنا كذلك الطبيب العربي الوزان الفاسي عندما أسره القراصنة وذهبوا به الى روما ، فقربه اليه البابا ليون العاشر ، وكان يهتم بالعلوم الاسلامية ، واذاع على شعبه ان أسيره دخل في المسيحية وسماه « ليون الافريقي » ، وصار الوزان استاذاً في كلية بولونيا بايطاليا ، واهتم بالدراسات الطبية ، وكان له فضل على التقدم الطبي في أوربا ، فقد ألف قاموساً طبياً حاول فيه ترجمة المصطلحات الطبية العربية الى اللغتين اللاتينية والعبرية .

ثم نجد اختلاط المسيحيين بالمسلمين في حروب الاندلس والحروب الصليبية عاملاً مهما في لفت أنظارهم الى الثقافة والحضارة الاسلامية ..

وقد اقبلوا على ترجمة العلوم العربية والكتب الاسلامية الشهيرة الى

اللاتينية اقبالاً شديداً ، وفي عام ١١٣٠ م انشأ احـــد القساوسة في طليطلة معهداً لترجمة الثقافة الاسلامية الى اللاتينية ، وبخاصة في الفلسفة والطب والفلك والرياضة . وعن هذا الطريق ترجمت فلسفة الاغريـق والرومان من المصادر الاسلامية الى اللاتينية لضياع اصولها القديمـــة ، وكثير من المؤلفات العلمية العربية التي ترجمت الى اللاتينية فقد أصلها العربي .

وبعد أن توفرت هذه الترجمات اصبحت كتب الطب العربي وبخاصة مؤلفات ابن سينا ، وكذلك كتب الفلسفة الاسلامية ، وبخاصة مؤلفات ابن رشد ، تدرس كلها في جامعات أوربا ، ففي جامعة مونبلييه جنوب فرنسا كانت تدرس كتب ابن سينا الطبية الى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، وفي كلية الفنون بجامعة باريس درست كتب ابن رشد منذ عام ١٢٥٥ م . وكانت فلسفة أرسطو تدرس من خلال الفلسفة الرشدية ، الى ان صعد بعد اكثر من قرنين ونصف من الزمان نيقولا توماس على كرسي جامعة باريس في الرابع من ابريل عام ١٤٩٨ م ليدرس ارسطو لأول مرة باللغة الاغريقية .

العِلم أمانة ومسئوليّة

لقد حمل العلماء المسلمون طول عصور التاريخ الأمانة العلمية بكل شرف وجدارة ، فكانوا يشعرون شعوراً تاماً بالمسئولية كاملة فلا يجيبون عن شيء بما لا يعلمون ، وكان ابراهيم التيمي اذا سئل عن مسألة يبكي ويقول : لم تجدوا غيري ، حتى احتجتم الي ؟ ، وقال الشافعي : شهدت مالكاً وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة ، فقال في اثنتين وثلاثين منها : لا أدري .

وكان حرصهم على افادة الناس شديداً ، خروجاً من تبعة كتمان العلم ، حتى كان الامـــام النحوي ابن مالك يخرج ويقف على باب مدرسته ويصيح : هل من راغب في علم الحديث أو التفسير لأخلص أمام الله ذمتي ، فان لم يجد راغباً أو طالباً قال : خرجت من آفة الكتمان ... اذ كان المسلمون يعتقدون أن لله حقاً فيما استودع العلماء من العلم والفهم ، وانه أخذ عليهم البيان .

وكان طموحهم الثقافي لا ينتهي الى حد ، وبلغ من محبتهم للعلم وكتبه أن كانوا يحفظون الكثير من الكتب ودواوين الشعر عن ظهر قلب ، كان أبو جعفر الحميري (٥١٤ — ٦١٠) وهو آخر من انتهى اليه علم الآداب في الأندلس ، يحفظ ديوان المتنبي ، وكان الناس يعجبون منه لذلك ، فكان يقول لهم : بعيد أن تفلحوا ، يعجب احدكم من حفظ ديوان المتنبي وقد أدركت أقواماً لا يعدون من حفظ ديوان سيبويه حافظاً ،

ولا يرونه مجتهداً . وكذلك كان أديب الأندلس ابن عبدون أيسر محفوظاته كتاب الأغاني .

وكان اخلاصهم للعلم شديداً ، مع التواضع الجم ، والبعد عن الغرور ، وكان ابن المبارك يقول : لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل .

وقد استهانوا بكل مشقات البحث العلمي ، فقد كانوا مدفوعين الى ميدانه بعزم صادق ، وجلد قوي ، يؤمنون بأن مجالس العلم عبادة ، ومن ثم لم يكونوا يتصدرونها ، ولا يكتبون أو يؤلفون الا متوضئين ، وكان الامام مالك اذا اراد أن يحدث توضأ وجلس على فراشه على وقار وهيبة ثم حدث . وكان شعار العالم تقوى الله ومخافته ، والعلم عندهم مقرون بالعمل ، وبهذا تتحقق الحكمة وهي أرفع منازل العلم ، وفي الحديث : ان الحكمة تزيد الشريف شرفاً ، وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك ، وكان هدف الطالب والاستاذ معا خير الاسلام والمسلمين .

ويؤثر عن الامام محمد بن علي السنوسي انه كان يتلقى العلم عن شيوخه ، وحدث ذات مرة أن رآه بعض الشيوخ جالساً فوق كثيب من الرمال ، تبدو عليه دلائل الحزن والتفكير ، فسأله : ما بك يا بني ؟ قال له : أنما أفكر في حال العالم الاسلامي ، فانه لا يزال مفتقراً الى مرشد حقيقي .

هذا الى ما امتاز به العلماء المسلمون من وجدان علمي أساسه الادراك والمعرفة والخبرة والذوق ، وما شهدوا به من ابداع علمي في كل فروع الثقافة والحياة ..

الطابع الانساني للثقافة الاسلامية

تمتاز الثقافة الاسلامية على وجه الخصوص بطابعها الانساني ومن مثل هذا الطابع المتميز فيها ما يلي :

أولاً — المجانية الكاملة في جميع مراحل التعليم وكفالة حياة الأستاذ والطالب كفالة تامة ، لما في ذلك من الثواب العظيم والجزاء الكريم عند الله ، ولحتمية الثقافة وفرضيتها ، وأنها في الاسلام حق لكل انسان ، وواجب على كل عالم وقادر .

وثانياً — المساواة الكاملة في حلقات الدراسة بين الناس جميعاً لا فرق بين الصغير والكبير ، والغني والفقير ، ولا بين الأجناس أو الألوان .

وثالثاً — المشاركة العلمية الكاملة والانسانية بين الأستاذ والطالب ، والأستاذ يضع نفسه من تلميذه موضع الأب الشفوق الرحيم ..

ورابعاً — الحرية الكاملة للطالب فلا يقيده الا وجدانه واحساسه العظيم بمسئوليته أمام أستاذه ، والحرية الكاملة للاستاذ كذلك ، فهو الذي يمنح الاجازات العلمية لتلامذته تحت مسئوليته ، وهو الذي يوجه المنهج والمحاضرات كما يشاء .

وخامساً — الضمير العلمي اليقظ عند العلماء المسلمين ، فقد كانوا لا

يعملون عملاً الا اذا كان من ورائه توجيه نافع أو خير مؤكد للناس عامة ..

يقول الامام الغزالي : « ان من الأسباب في صيرورة العلم مذموماً أن يكون مؤدياً الى ضرر ما ، اما لصاحبه أو لغيره » .

وكان أبو يوسف يفتي لاسقاط الزكاة أن يهب الرجل ماله لزوجته آخر الحول ، ويستوهب مالها ، ويعلق على ذلك الغزالي بأن هذا مضرته في الآخرة أعظم من كل جناية ، وأن مثل هذا هو العلم الضار .

ومن ثم لم ينشىء المسلمون مدارس لتخريج فرق للتدمير أو للمخابرات كما تصنع اليوم الدول المتمدينة ، ولم يقصدوا الى اختراع مدمرات أو متفجرات أو غيرها ، ولم يكن هدفهم من الثقافة سياسياً ، كما تفعل الدول المتحضرة اليوم ، التي تريد عـــن طريق الثقافة كسب معارك النفوذ ، وتعد الغزو الثقافي مقدمة للغزو العسكري والسياسي . كانت وجهة العلماء الاخلاص للعلم ، وقصد وجه الله تعالى به ، ونشر الهدى والنور والمعرفة بين الناس جميعاً ، يقول الغزالي : ان جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة .

وكانوا يجعلون العلم في حد ذاته هدفاً لهم وغاية ، لا يقصدون من ورائه جاهاً أو سلطاناً أو رياسة أو التقرب الى سلطان ، حتى قال الامام الغزالي : العلماء يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة . ويقول بشر بن الحارث : من طلب الرياسة بالعلم فانه ممقوت في السماء والأرض . ولقد بذل مجاهد العامري ملك دانية لأبي غالب اللغوي ألف دينار على أن يضع اسمه في صدر كتاب ألفه ، فأبى ذلك أبو غالب وقال : كتاب ألفناه لينتفع به الناس ، وأخلد فيه همتي أجعل في صدره اسم غيري .. فلما بلغ هذا مجاهداً استحسن أنفته وضاعف له العطاء .

ويؤثر أن الملك الكامل الأيوبي ذكر له ابن الفارض ، فسأل عنه فقال له القاضي شرف الدين : كان مجاوراً بالحجاز وفي هذا الزمان حضر الى القاهرة وهو مقيم بقاعة الخطابة بالجامع الازهر ، فقال الكامل : يا شرف الدين خذ منا ألف دينار وتوجه اليه وقل عنا : ولدك محمد يسلم عليك ، ويسألك أن تقبل هذه منه برسم الفقراء الواردين عليك ، فاذا قبلها اسأله الحضور لدينا لنأخذ حظنا من بركته ، فقال القاضي : مولانا السلطان يعفيني من ذلك ، فانه لا يأخذ الذهب ولا يجيء ، فقال : لا بد من ذلك .. فأخذ الذهب ، وقصد الى الشيخ فبادره بقوله : يا شرف الدين .. مالك ولذكري في مجلس السلطان ، رد الذهب اليه ولا ترجع تجيئني الى سنة فرجع وقال للسلطان : وددت أن أفارق الدنيا ولا أفارق الشيخ سنة ، فقال الكامل : لا بـــد من زيارة الشيخ ورؤيته ، فنزل السلطان في الليل الى المدينة مستخفياً ، ومعه جماعة من الأمراء الخواص عنده ، وذهب اليه ، فلما أحس بهم الشيخ خرج من الباب الآخر الذي بظاهر الجامع وسافر الى ثغر الاسكندرية .

الفصل الثالث
علم الأدب ومناهج دراسته

أولاً - منهج المؤلفين القدماء في الأدب

كان منهج المؤلفين القدماء من أدباء العربية في كتبهم ترجمة الأدباء والشعراء والعلماء والنقاد في مختلف العصور أو رواية آثارهم الأدبية وشرحها وتحليلها ونقدها والموازنة بينها وبين غيرها من الآثار، مع الالمام ببعض أصول الأدب والشعر ونحو ذلك مما نجده مفرقاً في كتبهم ومن أشهرها ما يلي:

١ ــ كتب في الشعر

بدأ جمع الشعر القديم منذ القرن الثاني الهجري، فجمعت دواوين الشعراء الجاهليين والاسلاميين والمحدثين، وجمعت أشعار القبائل العربية على نمط ما نرى في كتاب «ديوان الهذليين»، وألفت مجموعات مختارة من الشعر العربي ومن بينها:

أ - المفضليات للإمام الضبي (١٧٨ هـ) وقد جمع فيه مائة وعشرين قصيدة أكثرها مما أدب به المهدي وهو ولي للعهد لأبيه المنصور العباسي، وأكثر مختارات الكتاب من الشعر الجاهلي.

ب – الاصمعيات : وهي مختارات من الشعر الجاهلي والإسلامي جمعها الإمام الأصمعي (٢١٦ هـ) لنحو ٧٢ شاعراً .

٢ – جمهرة أشعار العرب لأبي زيد الانصاري (٢١٤ هـ) ويروى كذلك أنه توفي عام ١٧٠ هـ وهو خطأ ، ويمتاز الكتاب بتنسيق القصائد وحسن تقسيمها وتبويبها وترتيبها واطلاق أسماء نقدية عليها ، كما يمتاز بمقدمتــه الرائعة . والجمهرة مقسمة الى سبعة أقسام هي : المعلقات – المجمهرات – المنتقيات – المشوبات – المذهبات – المراثي – الملحمات وكل قسم منها يشمل على سبع قصائد لسبعة شعراء ، ويكاد يكون عمل ابي زيد في الجمهرة من مقدمات النقد للشعر القديم .

٣ – السبع الطوال أو المعلقات وهي سبع قصائد لسبع شعراء جاهليين على الأرجح ، يقال ان حمادا الرواية (٩٥ – ١٥٥ هـ) هو أول من جمعها وأطلق عليها هذا الاسم (المعلقات – أو السبع الطوال) .

٤ – حماسة أبي تمام ، والوحشيات لأبي تمام وهي حماسته الصغرى – وحماسة البحتري ، وحماسة ابن الشجري (٤٥٠ – ٥٤٢ هـ) ومختارات ابن الشجري ، والحماسة البصرية لصدر الدين بن الحسن البصري (من القرن السادس الهجري) .

٥ – مختارات البارودي – أربعة أجزاء ، وتضم مختارات لأعلام الشعر العباسي : بشار بن الاحنف – أبي نواس – أبي العتاهية – مسلم – المتنبي – المعري – ابن هانيء – مهيار – الطغرائي ؛ وقد قسم البارودي مختاراته الى سبعة أقسام : الأدب – المديح – الرثاء – الصفات – النسيب – الهجاء – الزهد .

---

(١) ضحى الاسلام لأحمد أمين ٢ : ٢٧٦ .

٢ ـ كتب جامعة في الأدب

من أوائلها الكتب التالية :

١ – البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٥ هـ) ثلاثة أجزاء .

٢ – الحيوان – للجاحظ أيضاً – سبعة أجزاء .

٣ – عيون الأخبار لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) [١] .

٤ – الكامل للمبرد (٢٨٥ هـ) وهو مطبوع في جزءين ، وشرحه سيد بن علي الموصفي (١٩٣١ م) في سبعة أجزاء مطبوعة في القاهرة .

٥ – العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٩ هـ) ، وقد قسم ابن عبد ربه الكتاب الى أقسام شبيهة بمـــا فعل ابن قتيبة في عيون الأخبار ، فالباب الأول عنده هو باب السلطان والثاني خاص بالحروب على نمط ما فعل ابن قتيبه ، وكذلك يتشابه الكتابان في ابواب أخرى مثل : العلم والأدب – الزهد – الطعام – الطبائع – النساء. ويظن أن العقد الفريد احتذاء كامل لعيون الأخبار لابن قتيبة .

٦ – الأمالي [٢] لأبي علي القالي ٢٨٨ – ٣٥٦ هـ وهو مطبوع في

---

(١) مقسم الى عشرة أبواب هي : كتاب السلطان – كتاب الحرب – كتاب السؤدد – كتاب العلم والبيان – كتاب الطبائع والأخلاق – كتاب الزهد – كتاب الاخوان – كتاب الحوائج – كتاب الطعام – كتاب النساء . وقد نشر المستشرق الالماني بروكلمان الكتاب في المانيا وطبع في مصر ، ثم في بيروت والمطبعة المصرية في أربعة أجزاء .

(٢) سميت بالأمالي مجموعات كثيرة من كتب المحاضرات والمجالس والدروس ، ومن بينها ؛ أمالي ابن الشجري – أمالي الزجاج (٣١٦ هـ) – أمالي المرتضى (٤٣٧ هـ) الخ ...

مصر في جزءين ، يليهما جزء ثالث والنوادر ، ثم جزء رابع .

٧ – زهر الاداب للحصري (٤٥٣ هـ) وهو ابو اسحاق ابراهيم بن علي القرواني ، وهو غير الحصري الشاعر أبو الحسن علي بن عبد الغني القيرواني (٤٨٨ هـ) صاحب قصيدة « يا ليل الصب متى غده » .

وهو مطبوع في أربعة أجزاء بتحقيق زكي مبارك ، ثم طبع بعد ذلك بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

٨ – المستقصى من أمثال العرب للزمخشري (٥٣٨ هـ) – طبع في الهند في مجلدين .

٩ – مجمع الأمثال للميداني (٥١٨ هـ) .

١٠ – نهاية الأدب للنويري (٧٣٣ هـ) في ٣٢ مجلداً طبع بعضه في القاهرة ولم يطبع باقيه بعد ، والكتاب مقسم الى خمسة فنون :

أ – الفن الأول في السماء والآثار العلوية والارض .

ب – الفن الثاني في الانسان وما يتعلق به .

جـ – الفن الثالث في الحيوان .

د – الفن الرابع في النبات .

هـ – الفن الخامس في التاريخ وهو أطول أقسام الكتاب .

وكل قسم من هذه الاقسام مقسم الى جملة أبواب [1] .

---

(١) طبع من الكتاب ١٨ جزءا ، وما زال باقياً منه ١٤ جزءاً .

١١ — النجوم الزاهرة لابن تغري بردى - ٧ أجزاء .

١٢ — صبح الأعشى — للإمام القلقشندي (٧٥٦ — ٨٢١ ھ) ، وهو مقسم الى مقدمة وعشر مقالات وخاتمة ، وطبع في ١٤ جزءاً في مصر .

١٣ — جمهرة انساب العرب لابن حزم (٣٨٤ — ٤٥٦ ھ) في مجلد .

١٤ — نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي (٧٥٦ — ٨٢١ ھ) .

١٥ — وهناك كتب أدبية مشهورة ، مثل : المستطرف للابشيهي — الكشكول والمخلاة للعاملي — وغيرها .

١٦ — الوسيلة الأدبية لحسين الموصفي استاذ البارودي — وهو مطبوع .

١٧ — المواهب الفتحية — لحمزة فتح الله (١٩١٨ م) .

٣ — كتب في النقد الأدبي

ومن بينها :

أ — كتاب فحولة الشعراء للامام الاصمعي (٢١٦ ھ) .

ب — كتاب طبقات الشعراء لابن سلام (٢٣١ ھ) [1] .

---

(١) ذكرنا كتاب طبقات الشعراء لابن سلام هنا لأنه من أهم كتب النقد في القرن الثالث ، وسنذكر بعد قليل كتاب « طبقات الشعراء » لابن المعتز في كتب التراجم لأنه ليس له صبغة نقدية ، وهنالك كتب كثيرة في طبقات الشعراء اكثرها مخطوط وتبلغ نحو ٤٢ كتابا - راجع صفحة ٥٥٤ — ٥٥٨ من كتابي الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام - طبع القاهرة ١٩٤٩ .

جـ – كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) .

د – كتاب الموازنة بين الطائيين « أبي تمام والبحتري » للآمدي المتوفى عام ٣٧١ هـ .

هـ – كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني (٣٩٢ هـ) .

و – كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (٣٩٥ هـ) أي صناعة النثر وصناعة الشعر .

ز – كتاب اعجاز القرآن للبلاني (٤٠٣ هـ) [1] .

ح – كتاب العمدة لابن رشيق (٤٦٠ هـ) في صناعة الشعر ونقده .

ط – نقد النثر [2] – ونقد الشعر لقدامة بن جعفر (٣٣٧ هـ) .

ي – كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي الأمير (٤٦٦ هـ) .

ك – كتاب المثل الثائر لابن الاثير .

٤ – كتب في التراجم الادبية .

ومن بينها :

أ – كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٣٥٦ هـ) في عشرين جزءاً . وهو مطبوع في القاهرة ، وبيروت .

---

(١) طبع عدة طبعات في القاهرة ، ومنها طبعة بتعليقات لي .

(٢) حققت عدم صحة نسبته لقدامة ، وذلك في كتابي دراسات في النقد الأدبي .. وقد سبق أن نشرت مقالات عدة وذلك في مجلة الازهر عام ١٩٤٣ بعنوان « نقد النثر وشخصية مؤلفه المجهول » ، وأشرت الى ذلك في كتابي « شرح الايضاح في علوم البلاغة » المطبوع عام ١٩٤٨ .

ب – كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز (٢٩٦ هـ) .

ج – يتيمة الدهر للثعالبي (٣٥٠ – ٤٢٩ هـ) وهو تراجم لأدباء القرن الرابع الهجري في مختلف أنحاء العالم الاسلامي – وهو مطبوع في أربعة أجزاء وقسمه الثعالبي الى أربعة أقسام :

الأول : في شعراء الشام ومصر والمغرب والاندلس .

والثاني : في شعراء العراق .

والثالث : في شعراء فارس وجرجان .

والرابع : في شعراء خراسان وما وراء النهر .

د – الذخيرة لابن بسام (٥٤٢ هـ) وهـــو تراجم لاعلام شعراء الأندلس ، وقد نشر منه في القاهرة ثلاثة أجزاء .

هـ – معجم الشعراء للمرزباني (٣٨٤ هـ) .

و – معجم الأدباء لياقوت الحموي (٦٢٦ هـ) وهو مطبوع في عشرين جزءاً .

ز – كتاب نفح الطيب للمقري الاندلسي (٩٩٢ – ١٠٤١ هـ) ويحتوي على ترجمة مفصلة للسان الدين بن الخطيب الوزير (٧٧٦ هـ) ، وتراجم بجملة لأعلام الاندلس وشعرائها ، ويحتوي الكتاب على مقدمة وقسمين كبيرين .

١ – فالقسم الأول في الأندلس وحياة المسلمين فيها .

٢ – والقسم الثاني في التعريف بلسان الدين بن الخطيب .

ثانياً — المنهج الحديث في دراسات الأدب

وكان هذا هو المنهج العربي في دراسة الأدب ، ولما جاء المستشرقون وعنوا بدراسة الأدب العربي ، أخذوا يدرسونه على نمط تاريخي فابتكروا علم (تاريخ أدب اللغة العربية) بأصوله المعروفة ، ووضع بروكلمان فيه كتابه المشهور « تاريخ الأدب العربي » على هـــذا النمط الاستشراقي من العناية بتقسيم الأدب الى عصور ودراسته في كل عصر دراسة مفصلة .

وكان أول من ابتكر هذا النمط الاستشراقي في دراسة الأدب العربي الايطاليون في القرن الثامن عشر ، ثم أخذه عنهم المستشرقون الألمان في القرن التاسع عشر وقد ظل هذا العلم مجهولاً في الشرق العربي وكان أول من نقله عنهم حسن توفيق العدل الذي درس في ألمانيا ثم عاد الى تدريسه في دار العلوم بالقاهرة وألف فيه كتاباً صغيراً سماه « تاريخ أدبيات اللغة العربية » وتوفي العدل عام ١٩٠٨ .

وعلى ضوء هذا المنهج الاستشراقي في دراسة الأدب العربي ظهرت كتب عديدة من أشهرها :

١ — تاريخ أدب العرب لمصطفى صادق الرافعي — ٣ أجزاء .

٢ — تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان — ٤ أجزاء .

٣ — الأدب الجاهلي لطه حسين .

٤ — الأدب العربي وتاريخه لمحمود مصطفى — ٣ أجزاء .

٥ — تاريخ الأدب العربي للزيات .

٦ – الأدب العربي – للسباعي بيومي – ٣ أجزاء .

٧ – الحياة الأدبية في العصر الجاهلي – طبعة أولى ١٩٤٩ – طبعة ثانية ١٩٥٨ في أكثر من ٦٠٠ صفحة – تأليف محمد عبد المنعم خفاجى .

٨ – الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام – تأليف محمد عبد المنعم خفاجى .

٩ – الحياة الأدبية في عصر بني أمية – الحياة الأدبية في العصر العباسي – الآداب العربية في العصر العباسي الأول – الحياة الأدبية في الاندلس والعصر العباسي الثاني – الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد – الأدب العربي بين الجاهلية والاسلام – الأدب العربي في ظلال الأمويين والعباسيين وكلها بقلم محمد عبد المنعم خفاجى .

وهناك كتب أخرى في تاريخ أدب اللغة العربية منها :

١ – تاريخ العرب وآدابهم – فانديك – بولاق ١٣١٠ هـ .

٢ – تاريخ آداب اللغة العربية – محمد دياب بك – جزءان ١٣١٧ هـ .

٣ – أدبيات اللغة العربية – محمد عاطف بركات وآخرين – جزءان – ١٩٠٦ م .

٤ – أدب الاسلام صالح حمدي حماد ١٩٠٧ .

٥ – تاريخ الأدب – حفني ناصيف – جزءان ١٩١٠ .

٦ – تاريخ آداب اللغة العربية – محمد علي المنياوي – ١٩١١ .

٧ – الشحب في تاريخ آداب العرب – محمد عطيه الدمشقي – ١٩١٣ .

٨ – تاريخ الآداب العربية – الاسكندرية – ١٩١٤ .

٩ – دراسات في الأدب الاسلامي – محمود المقدة – ١٩٦٠ .

١٠ – الخلاصة الأدبية – حمدان مصطفى القاهرة – ١٩٢٤ .

١١ – المذكرات الحامدية في تاريخ آداب اللغة العربية – علي حامد – ١٩٢٥ .

١٢ – المنتخب في تاريخ آدب العرب – مصطفى بدر زيد – ١٩٢٥ .

١٣ – المجمل في تاريخ الأدب العربي – محمد بهجة الأثري – ١٩٢٩ .

١٤ – فجر الاسلام – ضحى الاسلام – لأحمد أمين .

١٥ – دروس في تاريخ آداب اللغة العربية – الرصافي – بغداد ١٩٢٨ .

١٦ – المجمل ، والمفصل لطه حسين وآخرين .

١٧ – الآداب العربية وتاريخها – جرجس كنعان .

١٨ – كتب الشيخ ابراهيم ابو الخشب في تاريخ الأدب العربي .

١٩ – قصة الأدب في مصر (٥ أجزاء) – قصة الأدب في الأندلس (طبعة أولى في خمسة أجزاء ؛ وطبعة ثانية ـ قصة الأدب في ليبيا العربية من الفتح الاسلامي حتى اليوم (٣ أجزاء) – قصة الأدب المهجري (في جزءين) ؛ وكلها من تأليف محمد عبد المنعم خفاجى .

مصادر الأدب الحديث في المملكة العربية السعودية

الشعر والتجديد — محمد عبد المنعم خفاجي — القاهرة ١٩٥٧ .

قصص من التاريخ — « « « « « « ١٩٥٥ .

فصول من الثقافة المعاصرة — « « « « « ١٩٦٠ .

مذاهب الأدب — « « « « « ١٩٥٣ .

التيارات الأدبية في الجزيرة العربية — عبد الله عبد الجبار — مصر .

الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث — الحرتي — مصر ١٩٤٨ .

أدب الحجاز — معالي الشيخ محمد سرور الصبان — مصر ١٩٤٦ .

كنز الأنساب ومجمع الآداب — للشيخ حمد بن ابراهيم الحقيل — جزءان .

نفثات من أقلام الشباب الحجازي — مصر ١٩٣٧ .

شعراء الجنوب بقلم محمد بن علي السنوسي ، محمد احمد عيسى — طبع عدن .

تاريخ الأدب العربي — ٤ أجزاء — أحمد كحيل ـ محمد سعيد دفتر دار المدني .

علماء المسجد الحرام — عمر عبد الجبار .

يوميات مجنون — أحمد السباعي — دار ممفيس — مصر .

قطرة من يراع احمد عبد الغفور عطار – المنيرية ١٩٥٥ م .
الأدب الحجازي في النهضة الحديثة – احمد أبو بكر ابراهيم - مطبعة نهضة مصر ١٩٤٨ م .
المرصاد ثلاثة أجزاء – طبع مصر – الغلالي .
من تاريخنا – محمد سعيد العامودي – دار مصر للطباعة ١٩٥٤ .
الشعراء الثلاثة عبد السلام الساسي – دار الكتاب العربي – ١٣٦٨ هـ.
شعراء الحجاز – « « – « « « – ١٩٥١ م .
شعراء نجد المعاصرون – عبد الله بن ادريس – مصر .
وحي الصحراء – محمد سعيد عبد المقصود ، وعبد الله بلخير – مصر – عيسى الحلبي .
بين التاريخ والآثار – عبد القدوس الانصاري – ١٩٦٩ .
النهضة الأدبية في نجد – الشنقيطي .
مجلة المنهل – عدد خاص – نوفمبر ١٩٦٦ م .
مجلة المنهل .
« الحج .
« العرب .

دواوين شعرية :

طاهر زمخشري :
١ – أصداء الرابية ط مصر .

٢ ــ أنفاس الربيع ط مصر .

٣ ــ اغاريد الصحراء « « ١٩٥٨ م .

ابراهيم هاشم الغلالي :

١ ــ ألحاني ــ مصر ١٩٥٠ .

٢ ــ صدى الالحان ــ مصر ١٩٥٣ .

٣ ــ صبابة الكأس ــ مصر ١٩٤٥ م .

عبد الله الفيصل :

ديوان محروم .

محمد حسن عواد :

أماس وأطلاس ــ بيروت ــ ١٩٥٢ م .

البراعم ــ « « « .

نحو كيان جديد ــ مصر ــ دار المعارف .

في الأفق الملتهب ــ مصر .

احمد عبد الغفور عطار :

الهوى والشباب ــ مطبعة الرسالة ١٩٤٦ م .

حسن عبد الله القرشي :

١ ــ فلسطين وكبرياء الجرح ١٩٦٩ م .

٢ ــ مواكب الذكريات ــ مصر ١٩٥١ م .

٣ ــ الأمس الضائع ــ مصر ١٩٥٧ .

احمد قنديل :

١ ــ الابراج ــ بيروت ١٩٥١ م .

٢ ــ أصداء ــ » » »

محمد بن بليهيد النجدي :

ابتسامات الايام من انتصارات الامام ــ مصر ١٣٧٣ هـ .

محمد هاشم رشيد الغزي :

وراء السراب ــ مصر ١٩٥٣ م .

محمود عارف :

المزامير ــ مصر ١٩٥٨ .

حسين سرحان :

أجنحة بلا ريش .

عبد السلام هاشم حافظ :

وله عدة دواوين .

محمد ابراهيم جدع :

الالياذة الاسلامية ــ مصر ١٩٦١ م .

الفصل الرابع

دراسة لكتاب البيان والتبيين لأبي عثمان الجاحظ

١

كان الجاحظ أستاذ الثقافة الاسلامية في النصف الأول من القرن الثالث ؛ وكان مجده الأدبي الذائع يعصف بمجد كل أديب ، ويدوي في كل أفق ، ويرن صداه في سمع كل كاتب وشاعر وخطيب .

وعاش الناس في عصره وبعد عصره عيالاً عليه في البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة كما يقول ابن العميد ، وعدوا التلمذة عليه شرفاً لا يعد له شرف ومجداً يدنيهم من بلاط الملوك ، وتعصب له كثير من رجالات الثقافة الاسلامية في شتى عصورها ، فألفوا الكتب في الاشادة به — كما فعل أبو حيان التوحيدي في كتابه تقريظ الجاحظ — ، وبالغوا في الاشادة به والثناء عليه حتى حسد ثابت بن قرة الأمة العربية عليه ، وحتى كان الخلفاء يهشون عند ذكره ، ونهج كبار الكتاب نهجه في الثقافة والبيان ، وكان فخر الرجل في أن يلقب بلقبه ، وأقبلوا على كتبه وأدبه يتثقفون بثقافتها ويرونها تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً ، وبلغ من اهتمام خاصة رجال الفكر الاسلامي بها أن كانوا يسألون الناس عن المفقود منها في البيت الحرام وعرفات ، وكان معاصروه يحذرون خصومته حتى لا يسمهم بميسم الخزي والهوان الى الأبد ، ومن ساء جده منهم فكان

هدفاً لسخريته اللاذعة سار على الأجيال صورة مشوهة واساءة لا يغفرها الزمن كما فعل الجاحظ مع أحمد بن عبد الوهاب بطل رسالته الساخرة المتهكمة « التربيع والتدوير » .. وحسبك أن المأمون كان يقرأ تآليف الجاحظ ويثني عليها ويستجيدها[1] . ومجد الجاحظ الادبي مجد خالص من شوائب العصبية وتمويه السياسة وهو مجد بوأه صرحه الخالد : كفاءته الممتازة وثقافته النادرة وآثاره الفكرية والادبية الممتعة ، فقـــد عاش الجاحظ محروماً من كل شيء الا من مجد الادب ، وشهرة العلم ؛ ولم تبوئه مواهبه مقاعد الوزارة التي كان يصعد اليها في عهده كثير من الكتاب ، ولم تنله كفايته الادبية منزلة في ديوان رسائل الدولة ، ولما صدر فيه أيام المأمون لم يبق فيه غير ثلاثة أيام استقال بعدها منه ، أو قل انه حورب فيها من أجله حذراً من أن يأفل به نجم الكتاب كما كان يرى سهل بن هارون ؛ وهذا الاخفاق في الحياة العامة الذي مني به الجاحظ في عصره كان مما نعاه ابن شهيد عليه في رسالته « الزوابع والتوابع » ، ومما جعله يخطىء من يذهب الى تقديم الجاحظ على سهل بن هرون ، وان كان تحكيم التوفيق في الحياة في وزن الشخصيات وتقديرها ضلالا وغبنا .

ولكن ما سر هذا الاخفاق مع هذه الشهرة البعيدة والمجد الذائع ؟ رأى ابن شهيد من قبل أن حرمان الجاحظ من شرف المنزلة بشرف الصنعة مع تقدم ابن الزيات وابراهيم بن العباس اما لأنه كان مقصراً في الكتابة وجميع أدواتها أو لأنه كان ساقط الهمة أو لأن دمامته وافراط جحوظ عينيه قعد به عن الغايات المنشودة ، ورأى أن نقص أدوات الكتابة عند الجاحظ شيء قد يكون غريباً فذهب الى ان اول ادوات الكتابة العقل وقد تجد عالماً غير عاقل .

---

(١) ٢١١ جـ ٣ البيان نشر السندوبي ط ١٩٢٧ .

أما أن الجاحظ ينقصه أداة — أيا كانت هذه الاداة — من أدوات الكتابة فذلك مـا ترده الحقيقة المقررة ، فعقل الجاحظ وفنه الأدبي وطبعه الموهوب أعظم من أن يتطرق اليه فيها شك وريب . وأما أن الجاحظ كان قريب الأمل غير بعيد الطموح ؛ لا يتطلع الى مجد ينشده أو جاه سلطان يناله ؛ فذلك بعيد عن الجاحظ وحياته وروحه الوثاب الطموح . وأما أن دمامة الجاحظ كان لها أثر في هذا الاخفاق فذلك أحد ما نراه من أسبابه الكثيرة حتى أنه ذكر للمتوكل لتأديب بعض ولده فلما رآه واستبشع منظره صرفه وأمر له بعشرة آلاف درهم .

الحق أن الجاحظ كان عربياً في روحه ودمه وحياته ؛ وكان يتعصب للعرب في كل شيء حتى في الثقافة والأدب في عصر كان النفوذ والسلطان في الدولة فيه للعناصر الاجنبية لا سيما الفرس ؛ وكثيراً ما كان ينسى أولو الثقافة والكفايات من العرب الا من اتصل منهم بمجبل وزير أو أمير ، والجاحظ مع صداقته الوثيقة لمحمد بن عبد الملك الزيات الوزير (سنة ٢٣٣ هـ) ، والذي أهدى اليه كتابه « الحيوان » وكافأه عليه بخمسة آلاف دينار ، كان يتخلل هـــذه الصداقة الشك والجفاء ، ولم يستطع أو لم يتسن له ، أن يستفيد شيئاً من وراء هذه الصداقة ، وقتل محمد بن عبد الملك وجاء بعده عدوه اللدود أحمد بن أبي دؤاد الذي سيق اليه الجاحظ مغلولاً لأنه كان من أصحاب محمد بن عبد الملك ؛ ثم فك قيوده وطلب حديثه وبيانه وثوقاً منه بظرفه وأدبه لا باخلاصه وولائه .

ثم لا ننسى أن مواهب الجـــاحظ مواهب عالم وأديب لا مواهب رجل من رجال المجتمع والسياسة والحياة العامة ، وقد رفعته مواهبـه العقلية والعلمية والأدبية مكاناً علياً ما كان ينتظر أن ترفعه اليه السياسة مهما حلق في اجوائها ، وكان اخلاص الجاحظ للفكر والثقافة أعظم من

اخلاصه للحياة نفسها وكان خوضه في معامع الثقافة والعلم يشغله عـــن الخوض في ميادين السياسة والاجتماع ، وكانت لذته في الدراسة والبحث والتأليف أكثر من لذته في مجد السياسة وسلطانها ، فالجاحظ أولاً وقبل كل شيء هو رجل الثقافـة والأدب ؛ والذي تتلمذ على النظام ثم عاف تقليد غيره في العقيدة فكان صاحب مذهب ورئيس فرقة من فرق المتكلمين . وهو المتكلم الساحر والكاتب البليغ والخطيب المفوه والعالم الفذ والمؤلف النابه وشيخ العربية الذي وعى الثقافة العربية وما خالطها من الثقافات في شتى علوم الدين والدنيا ؛ وهضمها وعاصرها زهاء قرن (١٥٠ – ٢٥٥ هـ) . وكان له في صدر شبابه فخر التلمذة على شيوخها في اللغة والأدب وفي علوم الدين والكلام وفي التفكير والمنطق كما كان له فخر صداقة رجال الفكر والسياسة في الدولة ؛ وقـــد استفاد من وراء هـــذا وذاك نضوجاً كبيراً في عقليته وثقافته هيأه لأن يكون محور الثقافة الاسلاميـــة في عصره لا بطلاً من ابطال السياسة والدولة والاجتماع .

ولا يضير الجاحظ أن يكون كما قال بديع الزمان الهمذاني فيه من أحد شقي البلاغة يقطف وفي الآخر يقف (١) ، فقـــد يجيد الرجل في باب من أبواب الأدب دون باب ، ولا يغض ذلك من احسانه فيما أحسن فيه ؛ ولكن البديع أراد الفخر بنفسه على الجاحظ ، وليته وقف عند هذا الحد فلم يرم الجاحظ بأن كلامه بعيد الاشارات قليل الاستعارات قريب العبارات وأنه منقاد لعريان الكلام يستعمله ، نفور مـــن معتاصه يهمله ، وأنه ليس له لفظة مصنوعة أو كلمة غير مسموعة (٢) . وانمـــا

---

(١) ص ٨٢ مقامات البديع – المقامة الجاحظية .

(٢) ص ٨٢ و ٨٣ المرجع .

أراد البديع أنه فوق الجاحظ أدباً وبياناً ، وهيهات ! وثقافة الجاحظ ثقافة واسعة منوعة تحيط بسائر ألوان الثقافات المختلفة التي مازجت الثقافة الاسلامية في عصره ، فهو عالم من علماء الدين ، ومتكلم من الطراز الأول للمتكلمين وعالم يحيط باللغة وبيانها وآدابها احاطة لا تقف عند غاية ؛ وقد خاض الجاحظ في جداول الثقافات الأخرى التي سرت في تيار الثقافة العربية منذ مشرق القرن الثاني الهجري ، وعقلية الجاحظ البعيدة التفكير لا تشك انها أفادت ذلك من أستاذه النظام ومن علوم الفلسفة والمنطق التي شاعت في البيئة الاسلامية في عصر الجاحظ . ولا شك أن عصر الجاحظ ، وعقليته وشغفه بالدراسة والبحث ، وعكوفه على القراءة ، ونشأته بالبصرة ، وتلقيه اللغة عن الأعراب في المربد والعلماء في حلقات البصرة ومجامعها العلمية ، وتلمذته على كثير من أساتذة الثقافة العربية في شتى مناحيها كأبي يوسف القاضي والنظام والأصمعي والأخفش وابن الأعرابي وأبي عبيدة ، وأبي زيد الأنصاري ، كان له أثره في ثقافة الجاحظ الواسعة الجوانب المتعددة الألوان .

وشخصية الجاحظ تطالعك في أدبه وكتبه من كل جانب وناحية ؛ وهي شخصية رجل الفكر الواثق بشخصيته وعقليته وثقافته ، المؤمن بها ، الحريص على كرامته ، المعتز بنفسه .. يخاطب الوزراء والعظماء ويراسلهم ، فلا يفنى شخصيته في شخصياتهم ، بل يراهم اخوانه ، ويرى له عليهم حق الصداقة ودالة الأخوة ، ولا يجبن عن توجيه العتاب واللوم اليهم . وأنت حين تقرأ في كتب الجاحظ ومؤلفاته تغيب في جو تطل عليك فيه شخصية الرجل ، بسعة ثقافتها وبعد مكانتها ، وبتوجيهها الساحر لعقل القارىء وفكره وشعوره حتى ليكاد ينسى أمامها نفسه ، ويشعر شعوراً صادقاً أنه قد نقل من جوه هو الى جو آخر تشيع فيه روح قوية ساحرة تملك عليك عقلك وعاطفتك وتروعك بكثرة حفظها وروايتها ، كما تروعك بروعة فكرها وجلال بيانها ، وتتركك صريعاً في

معارك فكرية ترى الجاحظ فارسها المعلم ، وترى قلمـــه البليـغ عصا الساحر المتحدي تسترعي السمع والبصر ، وتبهت الفكر والعقل ، وتلهب العاطفة والشعور .

والعجيب أن سعة ثقافة الجاحظ وكثرة روايتـــه في تآليفه جعلت كثيراً ممن لا يفهمون الجاحظ يرونه كاتباً لا شخصية له ، تطمس شخصيات من يروي لهم وينقل عنهم كل أثر لشخصيته ، فتقرأ الجاحظ وأنت تقرأ لسواه وتبدو أمام عينك صور شتى لرجال لا ترى الجاحظ فيهم ولا تلمس آثاره بينهم .

ومنشأ ذلك أن الجاحظ رجل من الخاصة في فكره وفي كتابتـــه وأسلوبه وفي بحثه وتأليفه ، فاذا فكر فبعقل الخاصة ، واذا كتب أو ألف فبأسلوبهم ولمن يفكر في مجال تفكيرهم ، وليس ذلك لأن الجاحظ « يستمسك بفائدته ويضن بما عنده غيرة على العلم وشحاً بثمرة الفهم ولذلك كان كتاب « البيان » موقوفاً على أهله ومن كرع في حوضه ، أما الجاهـل المبتدىء فلا نفع له من كتابه » كما يقول ابن شهيد ، انما ذلك لأنه كما أرى لا يستطيع الا أن يفكر تفكير الخاصة ، ويكتب بعقلهم وأسلوبهم ولأنه رجل يكتب لنفسه قبل كل شيء ويرضي شهوته في تدوين عناصر الثقافة الادبية والعلمية على طريقة كتابة الموسوعات كما يرى بعض الباحثين المعاصرين ؛ وما دام الجاحظ كذلك فلن يستطيع أن يفهمه الا رجل مثله في فكره واتجاهه وثقافته ، ولن يتسنى لكثير أن يفهموا الجاحظ وأن يقروا بشخصيته في كتبه ومؤلفاته ما داموا لا يستطيعون مجاراته في نواحي ثقافته العقلية والأدبية . وحسب الجاحظ مجداً وخلود ذكر أن يكون له كتاب مثل كتاب البيان والتبيين .

٢

ألف الجاحظ كتابه « الحيوان » وأهداه الى صديقه محمد بن عبد الملك الزيات ، فكافأه عليه بخمسة آلاف دينار ، ثم ألف بعده كتاب « البيان » وأهداه الى أحمـــد بن أبي دؤاد فأعطاه عليه خمسة آلاف دينار ، والجاحظ يشير في مواضع متعددة من البيان الى كتاب الحيوان ، وكان لظهور « البيان والتبيين » ضجة كبيرة في الأدب والبيان حتى انه حمل الى الأندلس فيما حمل اليها من نفائس المؤلفات .

وكتاب « البيان » ألفه الجاحظ على نمـط طريف في التأليف ، من كثرة الرواية التي قصد الجاحظ من ورائهـــا أن ينال بكتابه الشهرة والاعجاب كما يقول الجاحظ نفسه في كتابه ، وينال كتابـه الذكر والذيوع ، ومن كثرة الاستطراد الذي يستدرّ به الجاحظ نشاط القارىء واعجابه كما يقول الجاحظ في تعليله له ، والجاحظ حين يعلل عدم ترتيبه للخطباء الذين ذكرهم في كتابه ترتيباً يتمشى مع التاريخ بعجزه عن تنسيق ذلك يجب أن يقابل بتحفظ كبير ، فالجاحظ لو أراد لمـــا أعجزه ذلك ، انما هو مذهبه في الاستطراد والانتقال .

ويبدو من أسلوب الكتاب أن الجاحظ كان يكتب أصوله — أو كثيراً منها — محاضرات يلقيها على تلاميذه وطلابه وقد يسبغ عليها أحياناً روحاً توائم بين هذه المحاضرات وبين ما يجب لمن أهدى اليه كتابه من تقدير واجلال ، واسلوب الكتاب الاستطرادي جعل الجاحظ يعدنا في كتابه بأنه سيذكر الشيء ، ثم لا يذكره ولا يفي بوعده ، وهـــذا الأسلوب الاستطرادي أيضاً جعل الجاحظ ينقـد نفسه في ترتيب فصول كتابـــه ، وجعله يضع في أماكن متعددة من كتابه عناوين مختلفة تقابل من القارىء بمزيد الابتسام ، فهو يعنون فصولاً بباب البيان

وأخرى يسميها باب الصمت أو باب الزهد الى آخر هذه الألقاب التي نعلم أن الجاحظ لم يرد شيئاً منهـــا ولم يضعها الا للتغرير بالقارىء واكتساب نشاطه وامتحان ملكاته .

وكتاب « البيان » يجمع بين دفتيه الكثير من بلاغة العرب وسحرهم في البيان كما يجمع آراء كثيرة في أصول النقد الأدبي والبلاغة العربية ، وقد نهج فيه الجاحظ منهجـــه الساحر ، وكتبه بأسلوبه العميق المحكم ، ورسم فيه صوراً صادقة لروح الأدب والبلاغـــة الى عهده ؛ والكتاب سجل للأدباء والشعراء والخطباء حتى عصر الجاحظ . وهو ذو قيمة فذة في تاريخ الأدب والأدباء لا سيا المعاصرين للجاحظ ومن سبقوه بقليل ، وقد عني فيه الجاحظ بتدوين المثل الساحرة من الأدب العربي : شعره ونثره ، وقاده الاستطراد الى الالمام بكثير من مسائل الأدب والنقد والبيان.

يبدأ الجاحظ كتابه بمقدمة يذكر فيها البيان وشرفه ويلم فيها بالكثير من عيوبه الفطرية وسواها في استطراد جميل ، ثم يشرح البيان ويحلل عناصره ، ويذكر البلاغة ومذاهب رجال البيان فيها ، ويبين الصلة بين البليغ ومظهره ، ذاكراً بلاغة الخطيب وعناصرهـــا وأدواتها ، ملماً بالكثير من الخطباء ، داعياً الى قوة الطبع وشرف المعنى وجمال اللفظ والى مراعاة شتى المقامات والأحوال ، مبيناً أثر هذه البلاغة في النفس والوجدان ، ويتكلم على الحديث المردد ومن عابه ومن مدحه ، وعلى الصمت : من أشاد به ومن ذمه داعياً البليغ الى أن لا يتمسك بحكمة الصمت حتى لا يورثه ذلك العي والحصر ، ويدعو الادباء الناشئين ان يعرضوا انتاجهم الأدبي على أولي الذوق والبيان حتى يعرفوا قدر أنفسهم ومنزلتها في البيان ، كما يتحدث عن السجع : مطبوعه ومتكلفه وعن منزلته الأدبية ، محللاً عناصر الشعر نافياً أن يكون ما في القرآن من كلمات موزونة شعراً ، ملماً بطبقات الشعراء وألقابهم ، وينعي على المتقعرين ، ويسرد

أحاديث النوكى والحمقى سرداً بليغاً ، وبذلك ينتهي الجزء الأول من الكتاب الذي أودع فيه الجاحظ جل ما أورده من بلاغة البيان وعناصرها وألوانها ومذاهبها وأسبابها .

أما الجزء الثاني فتحدث فيه عن الخطابة وأقسامها وأثرها ، وألم فيه بسحر بلاغة رسول الله في أحاديثه وخطبه ، وبخطب كثير من جلة الصحابة والسلف الاولين ، وتكلم على الحوليات وطبقات الشعراء ومذاهب المطبوعين واصحاب الصنعة ، كما تكلم على اللحن واللحانين والنوكى والحمقى والمجانين .

وفي الجزء الثالث يرد على الشعوبية مطاعنها التي قدحت بها في العرب لا سيا ما نعوه عليهم من أخذ العصا والقوس عند الخطابة وفي مواقف الكلام ، ورد الجاحظ على الشعوبية فيه كثير من حرارة الايمان التي أذكت في دفاعه روح الجدل وقوة المناقشة وسعة التفكير . وينقل الجاحظ كثيراً من حكم النساك ومواعظهم ، وخطب الخوارج وكلماتهم ، وسياسة بني العباس ودهائهم ، ويتحدث عن رواية الأدب واتجاهات الرواة وطبقاتهم ، وعن كلام رسول الله وسحر ايجازه وبعده عن مذاهب العرب في شعرها ، وعن أمية رسول الله مع بلاغته ، وعن مجد الشعر وأثره ومكانته الى غير ذلك من شتى الآراء ، ويختم الجاحظ كتابه بهذه الكلمة الجامعة : « وهذا أبقاك الله آخر ما ألفناه من كتاب البيان والتبيين ونرجو أن نكون غير مقصرين فيما اخترناه من صنعته ، وأردناه من تأليفه ، فان وقع على الحال التي أردنا والمنزلة التي أملنا فذلك بتوفيق الله ، وان وقع بخلافها فما قصرنا في الاجتهاد ولكن حرمنا التوفيق والله أعلم » .

وبعد فكتاب البيان ثمرة من ثمرات الرجولة المكتملة التي أحاطت بالجاحظ بعد أن ودع شبابه واستقبل عهد المشيب ، وهو لذلك آية من

آيات الطبع المتمكن والذوق السليم والاحاطة التامة بالبيان وبلاغته ، وليس ذلك بكثير على الجاحظ شيخ العربية الفذ وبطلها الكبير .

وأثر « البيان » وقيمته مما يعسر على الباحث تفصيله وايفاؤه حقه من التقدير والانصاف ودقة الحكم :

فكتاب البيان أصل من أصول الادب وهو في اسلوبه وفي رواياته وفي آرائه الادبية خير معين لطلاب العربية والمتخصصين في آدابها .

وقيمته في البيان العربي خطيرة لما أودع فيـــه من شتى البحوث والآراء في البلاغة وعناصرها واتجاهاتها ومذاهبها وألوانها وغاياتها وأثرها سواء كانت هذه الآراء من جمع الجاحظ وروايته وتدوينه أم من ابتكاره ورأيه الشخصي واتجاهــه الادبي المستقل ، وفيما جمعه الجاحظ من ذلك الكثير مما لا يزال محل اعجاب الباحثين وتقديرهم ، وكفى ان تقرأ فيه : البلاغة كما تتحدث عنها صحيفة هندية مكتوبة ، أو كما رآهـا ابن المقفع او كما تحدث عنها بشر بن المعتمر في صحيفة من تحبيره وتنميقه الى غير ذلك من شتى الآراء التي كتبها الجاحظ مستقلاً بالتفكير فيها .

واذا كان للجاحظ فخر التلمذة والرواية - في كتابه — عن شيوخ العربية وأدبائهـا كالاصمعي وابي عبيدة وابن الاعرابي وابن سلام وأبي العاصي ، وكابراهيم بن السندي وعبد الكريم بن روح الغفاري ومحمد بن بشير الشاعر ، وكثمامه والنظام ، وسوى هؤلاء ؛ فيجب أن لا ننسى انه قد كان لعلماء الادب والبيان الذين جاءوا وبعد عصر الجاحظ هذا الفخر نفسه بالتلمذة عليه وعلى كتابه « البيان » .

فابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ تبع في كتابه « الشعر والشعراء » الجاحظ في مذهبه الادبي من ايثار الطبع والرونق والماء والبعد عن التكلف

والاستكرار والتعقيد .

ومؤلف نقد النثر يبدو في كتابه أثر الجاحظ ، وهو وان كان نقد « بيان » الجاحظ في أول كتابه الا أنه قد تأثر به الى حد كبير ، فكلامه على أنواع البيان ونظره اليه نظرة واسعة عن البيان بالعبارة هو صنيع الجاحظ في كتابه ، ويتكلم على اختيار مواقع الكلام وأوقاته ومناسبته للسامعين ومطابقة الكلام للمقام[1] وتلك آراء الجاحظ ، ويرى أن اللحن يستحسن من الجواري وأن من الصواب معرفة أوقات الكلام والسكوت وأقدار الألفاظ والمعاني بأن يلبس المعنى ما يليق به من اللفظ ، كما يرى أن من أوصاف البلاغة أن يتساوى فيها المعنى واللفظ فلا يكون اللفظ الى القلب أسبق من المعنى ولا المعنى أسبق من اللفظ، وتلك كلها آراء الجاحظ. الى غير ذلك من كثير من مظاهر التأثر والاحتذاء .

وكذلك دعا اليه الجاحظ في كتابه البيان .

ودعوة أبي الحسن الجرجاني في وساطته الى ترك التكلف والاسترسال مع الطبع [2] ؛ والى تقسيم الألفاظ على رتب المعاني هي دعوة الجاحظ في بيانه ؛ وان كانت مظاهر التأثر بالجاحظ تبدو قليلة في الوساطة .

وأبو هلال العسكري في « الصناعتين » متأثر بالجاحظ وكثير الافادة منه ومن كتابه « البيان » وكتاب « الصناعتين » سير في السبيل الذي عبده الجاحظ واتمام لما بدأ به ، وكثير من آراء الجاحظ تجدهـــا في في الصناعتين وان للصناعتين ميزة شرحها والتعليق عليها ، وقد ينقلها

(١) ٩٦ نقد النثر .
(٢) ٣٠ من كتاب الوساطة .

نفسها ؛ وقــد يستدل بها ، وينقل وصية بشر بن المعتمر يشرحها ، وعلى العموم فالجاحظ هو المرجع الأول لأبي هلال .

وكذلك ابن سنان الخفاجي ينقل في كتابه « سر الفصاحة » عـن الجاحظ كثيراً .

وعبد القاهر الجرجاني شديد التأثر بالجاحظ وكتابيه « الحيوان » و « البيان » يأخذ عنه كثيراً من آرائه بدون ذكر له ، وقليلا ما يشير اليه . فكلام عبد القاهر عن البيان يتجلى فيه روح الجاحظ ورأيه في أن فضيلة الكلام لنظمه لا للفظه ولا لمعناه هو روح كلام الجاحظ ، وعبد القاهر ورأيه في السجع متأثر بالجاحظ ؛ وبلاغة الألفاظ في أن تكون مألوفة ليست وحشية ولا سوقية دعا اليها الجاحظ قبل عبـــد القاهر ، وتعريف عبد القاهر للبلاغة هو روح الجاحظ في بيانه وايثاره من الكلام ما كان معناه الى قلبك أسرع من لفظه الى سمعك مما سبقه اليه الجاحظ وينقل عبد القاهر عن الجاحظ كثيراً ، الى غير ذلك من مظاهر التأثر الكثير .

ولكتاب البيان كذلك أثره في النقد الأدبي فهو سجل للآراء المختلفة في النقد ممـــا لا يزال الى الآن موضع البحث والاعجاب .. والجاحظ الذي نقد مذاهب أصحاب الصنعة من الشعراء وآثر عليهـــا مذهب المطبوعين كان يضع بذلك أساساً كبيراً لعلم النقد وتطوره الأدبي .. وعصرنا الحديث يؤمن كل الايمان برأي الجاحظ ويسير في تياره الفكري والأدبي كما يسير على ضوئه في البيان العربي وبلاغته .

٣

كان للعرب في حياتهم الأولى ذوق وفيهم طبع ، وكانوا بهذا الطبع وذلك الذوق وفي مثل بيئتهم البدوية في غنى عـــن الشرح والتحليل والتوجيه والتعليل لأحكام النقـد الأدبي ولأصول البيان ومذاهبه واتجاهاته . كانوا يسمعون النص الأدبي فيوحي اليهم طبعهم بكل شيء، ويرون من يسمع منهم ويأخذ عنهم في غنى بذوقه وطبعه عن كل شيء، ولذلك بقيت أصول النقد والبيان بعيدة عن البحث والدراسة والتقرير .

وفي ظلال الحياة الاسلاميـة اختلطت العناصر وتمازجت الثقافات وتجاوزت الطباع والاذواق ، فسرت العدوى في البيئة العربية الخالصة ، وظهرت في مظهر من اللكنة المستهجنة ومن الخطأ المردد في اشتقاق بعض الكلمات العربية وتصريفها وفي اعرابها وأشكال الحرف الواجبة لهـــا ، فسرت بين علماء الدين والعربية روح من الجـد والاقدام والعزيمة التي صممت على تلافي آثار هذه العدوى حتى لا تمس العربية في صميمها وفي كتابهـا المقدس الحكيم ، وظهرت لذلك الدراسات النحوية ثم اللغوية بمظهر جاد لاوناة فيه . بيد أن ذلك لم يثن رجال الادب عن غاياتهم ، ولم يحـل بينهم وبين اتجاهاتهم وطباعهم ، فكثر النقد الادبي ودخلته روح جديدة من البحث والتوجيه والتعليل ، وتكونت من ذلك أصول أدبية موجزة لها قيمتها في الادب والنقد والبيان .

وبعد أن أشبع الفكر الاسلامي رغباته من البحث والدراسة في تقويم اللسان العربي وتصحيح الكلمات العربية في النطق واللهجة ، اتجه رجال العربية — مع مسايرتهم الدراسات العربية واللغوية — الى الدراسات الادبية والبيانية حرصاً على ارضاء ملكاتهم وأذواقهم وتمشياً مع التطور الفكري والترف العقلي في دراسة العربية وآدابها ، ومسايرة لروح البحث

المتجلية في الثقافات الاخرى التي امتزجت بالثقافة الاسلامية ، والتي كان لها الاثر والخطر في اثارة مشكلات الادب والبيان ، وفي بحث عناصر بلاغة الكلام ، وفي توجيه أذهان الكتاب والادباء الى المجدي المقبول من الاساليب وطرق الاداء وفي التفكير والمعنى ، وفي مراعاة شتى المقامات وسائر الاحوال التي يجب على الاديب والخطيب والكاتب والشاعر مراعاتها والالمام بها . وكانت عناصر الثقافة البيانية والادبية اذ ذاك تتجلى في طبقتين :

أ — طبقة رواة الادب العربي من البصريين والكوفيين والبغداديين، الذين كانوا يروونه اشباعاً لنهم فطرهم وأذواقهم الادبية العربية الخاصة ، من امثال: خلف والاصمعي وابي عبيده وأبي زيد ويحيى بن نجيم وعمرو بن كركرة وابن سلام ، واستاذهم أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالعرب والعربية [١] ومن عامة رواة الادب والبيان الذين لا يقفون الا على الالفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة ، وعلى الالفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة ، وعلى الطبع الممكن والسبك الجيد ، وعلى كل كلام له ماء ورنق ، وعلى المعاني التي اذا صارت في الصدور عمرتها وفتحت للسان باب البلاغة — كما يقول الجاحظ — دون النحويين الذين ليس لهم غاية الا كل شعر فيه اعراب ، والاخباريين الذين لا يقفون الا على كل شعر فيه الشاهد والمثل ، واللغويين الذين لا يروون الا كل شعر فيه غريب [٢] ويجوار هذه الطبقة الشعراء الذين طارت شهرتهم في آفاق الادب العربي أمثال ابن هرمة وبشار وصالح بن عبد القدوس وأبي نواس وابي العتاهية والسيد الحميري وأبان اللاحقي ومنصور النمري وسلم

(١) ١/٢٠٦ البيان

(١) ٣/٢٢٤ البيان .

الخاسر وابن أبي عيينة ويحيى بن نوفل وخلف بن خليفة ومحمد بن بشير والعتابي ومسلم وابي تمام [1] وغيرهم من الخطباء، ورجال الادب والبيان، من بيت بني هاشم وبني العباس ومن رجال الفرق الادبية والسياسية والدينية لا سيما المعتزلة وفرق المتكلمين الذين رآهم الجاحظ فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلغاء [2].

ب – طبقة الكتاب الذين لم ير الجاحظ قوماً قط أمثل طريقة في البلاغة منهم، والذين التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً [3] ورأى الجاحظ البصر بهذا الجوهر من الكلام فيهم اعم [4] وحكم مذهبهم في نقد [5] البيان، وكان جلهم من عناصر أجنبية من الفرس والروم والسريان والقبط من الذين فهموا لغاتهم وبلاغتهم ثم قرأوا البيان والبلاغة العربية وآدابها وأخذوا يحدثون في اللغة العربية مذاهب جديدة في الكتابة والادب والبيان ويدعون الى آراء خطيرة تمس الذوق الادبي وترضي اتجاهات الحضارة والترف العقلي أو الاجتماعي الذي داخل البيئة العربية منذ بدء القرن الثاني، كما أخذو يلقنون مذاهبهم الادبية العامة لتلاميذهم والمشايعين لهم من شداة الادب كما ترى في محاضرة بشر بن المعتمر (٢١٠ هـ) في أصول البلاغة التي يقول الجاحظ عنها: ان بشراً مر بابراهيم بن جبلة بن مخرمة وهو يعلم الفتيان الخطابة فوقف بشر، فظن ابراهيم أنه وقف ليستفيد أو ليكون

(١) ١/٥٤ البيان.
(٢) ١/١٠٦.
(٣) ١/١٠٥.
(٤) ٣/٣٢٥.
(٥) ١/٢٤٠.

رجلاً من النظارة فقال بشر : اضربوا عما قال صفحاً واطووا عنه كشحاً ، ثم دفع اليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه في أصول البلاغة وعناصر البيان (١) . ومن رجالات هذه الطبقة ابو العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك وعبد الحميد الكاتب أو الاكبر كما يقول الجاحظ (٢) ، وعبد الله بن المقفع وسهل بن هارون والحسن بن سهل والمفضل بن سهل ويحيى بن خالد وجعفر بن يحيى وايوب بن جعفر واحمد بن يوسف ومحمد بن عبد الملك الزيات وعمرو بن مسعدة وسواهم من كتاب الدولة الذين صعدوا بفنهم وبلاغتهم الى ارقى المناصب في الخلافة الاسلامية ، وكان لهذه الطبقة أثرها في بحث عناصر البيان وبلاغة الكلام ورسم المذاهب الادبية التي توائم ذوق بيئتهم وعصرهم مما نراه مبثوثاً في كتاب البيان والتي لا تخرج عن احكام الذوق الادبي السليم ولا يتعمد اصحابها فيها مذاهب العلماء في الشرح والتحليل .

وظهر الجاحظ والبلاغة العربية تفيض سحراً وقوة وروعة ، سواء في خطب الخطباء وشعر الشعراء ورسائل الكتاب ومحاضرات المحاضرين وجدل المجادلين . كما ظهر وعناصر البيان العربي تكاد تخطو في طفولتها نحو الغاية وتسير في هدى العلم والذوق الى منزلتها من الوضوح والتمايز والاستقلال ، فدخل الجاحظ المعمعة وتوسط الميدان وصار أنبه ابطاله المعلمين ... اما الجاحظ في بلاغة بيانه وجلالة اسلوبه وحلاوة منطقه واستقلاله بمذهب خاص في الكتابة والبيان فهو في ذلك ليس له نظير ولا ينكره عليه احد ، وبحق ما وسم بشيخ الكتاب .. واما الجاحظ

---

(١) ١/١٠٤ .
(٢) ١/١٥١ .

في وضع اسس البيان وعناصر البلاغة العربية فهذا ما نريد ان نعرف اثره فيه .

خدم الجاحظ البيان العربي خدمة لا تقدر، بالكتابة — في كتبه — في شتى بحوثه وجمع مختلف الآراء والمذاهب في عناصره والوانه ، ولم نعلم ان باحثاً افرد البيان العربي بتأليف قبل الجاحظ ، انما كان كل ما هنالك آراء مبثوثة متفرقة لكثير من رجال البيان والادب ، وكانت خسارة البيان في عدم تدوينها تكاد تكون فادحة بالغة منتهاها ، وما نجده في الكتاب لسيبويه ومجازات القرآن لابي عبيدة والشعر والشعراء لابن سلام فانما هو قليل من كثر اذا قيس بما جمعه الجاحظ في كتبه ومؤلفاته ، نعم لا يمكن لاي باحث ان ينكر حقيقتين هامتين :

اولاهما ان الجاحظ اظهر من افرد البيان بمعناه العام بالتأليف في كتابه الكبير « البيان والتبيين »

وثانيتهما ان له فضل جمع مختلف الآراء والمذاهب فيه ، والجمع والاحصاء اول خطوات البحث والابتكار والتجديد ، ومنزلة العالم في الجمع لا يمكن الغض منها او الامتهانة بها ، واذا قرأت كتب الجاحظ لا سيما « الحيوان » و « البيان » عرفت منزلة الجاحظ في هذا السبيل ، ومن الغريب ان نرى شخصية الجاحظ واضحة فيما يجمعه وضوحها فيما يبتكره من آراء ومذاهب بعكس كثير من العلماء والباحثين .

والجاحظ فوق اثره الكبير في جمع آراء رجال البيان والبلاغة في مذاهبها وعناصرهما في كتابه « البيان » على الخصوص ، له وراء ذلك فضل خاص وجهد مستقل فيه ، فقد استقل ببحوث جديدة صبغها بشخصيته واستمدها من عقليته وثقافته وعرفت له وحده دون سواه من الباحثين في البيان العربي وقواعده ، وقبل ان نفصل هذا كله نتساءل :

ما هو البيان الذي نريده ويعنيه الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » ؟

لا شك ان الجاحظ لم يعن بالبيان ذكر قواعد البلاغة العربية واداتها في الفاظها واساليبها ومعانيها كما فهم مؤلف نقد النثر ونقد على ضوئه الجاحظ في كتابه البيان حيث يقول : « اما بعد فانك ذكرت لي وقوفك على كتاب عمرو بن بحر الجاحظ الذي « سماه البيان والتبيين » وانك انما وجدته قد ذكر فيه اخباراً منتحلة وخطباً منتخبة ولم يأت فيـــه بوصف البيان ولا اتى على أقسامه في ذا اللسان ، وكان عندما وقفت عليه غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب [1] اليه » .

ولا شك ان ابا هلال العسكري كان ادنى الى الانصاف حينما نوه في كتابه الصناعتين بكتاب « البيان » وذكر خطورته كمؤلف من مؤلفات البيان العربي ، وان كانت ابحاثه في البيان ، موجزة مفرقة [2] ، فهو بدون شك ومهما اردنا بكلمة البيـــان من معان مؤلف من مؤلفات البيان ، ولا يضيرنا بعد ذلك ان كانت بحوثه في البيان مجملة او مفصلة مجموعة او مفرقة ، ونحن على كل حال في الرأي مع ابي هلال .

ولا شك أيضاً أن ابن شهيد حين ذهب الى أن كتاب « البيان للجاحظ » لم يكشف فيـــه مؤلفه عن وجه تعليم البيان ليرى القارىء كيف يكون وضع الكلام وتنزيل البيان وكيف يكون التوصل الى حسن الابتداء وتوصيل اللفظ بعد الانتهاء ، وأن الجاحظ استمسك

---

(١) ص ١ نقد النثر .

(٢) ٦و٧ الصناعتين .

بفائدته وضن بما عنده غيرة على العلم وشحا بثمره الفهم [1] قد ظلم الجاحظ وكتابه وحكم عليه متأثراً باتجاهه هو فن البيان الذي انتحى فيه ناحية تطبيقية حتى كان كما يقول يعلم الشحاذ الأساليب التي يستدر بها عطف الناس [2] . فابن شهيد حين أراد أن يكون كتاب « البيان » كتاباً يرسم فيه مؤلفه طرق الأدباء ويعيد سبل التعبير عن مختلف الأغراض التي تؤثر في عقول الناس وعواطفهم ، قد ظلم الجاحظ مرتين : ظلمه حين تناسى ما كتبه وما جمعه الجاحظ في رسم المذاهب الأدبية المختارة في الأداء والتعبير ، وظلمه مرة أخرى حين حكم فيه اتجاهه هو ونقده على ضوئه وقاس كتابه بمقياسه .

وعلى كل فالجاحظ إنما أراد بالبيان ما كشف الك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقته [3] ، وأراد ما أراده جعفر بن يحيى من البيان وهو أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك وتخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة والذي لا بد منه أن يكون سليماً عن التكلف بعيداً من الصنعة بريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل [4] ، أراد به ساحر الأدب وروائعه من نثر ونظم واسجاع ورسائل وخطب ومقالات وأحاديث وحجاج ، وأراد به أمثل الاساليب وأقوم الألفاظ التي تقرب ما غمض من المعاني وتوضح ما خفي من الأفكار ، ذاكراً معها أصحابها من أولي اللسن والخطابة والبلاغة في المنثور والمنظوم ، ولذلك كان كتابه أخباراً منتحلة وخطباً منتخبة كما

(١) الزوابع والتوابع ، والذخيرة .

(٢) الذخيرة .

(٣) ١/٦٨ البيان .

(٤) ٨٥ و ١/٨٦

يقول مؤلف نقد النثر ، والجاحظ لا يكتفي بذكر ذلك وحده بل يذكر المذاهب الأدبية العامة في عصره وقبل عصره في النقد والأدب والبيان كلما دعا اليها داع أو ألمت بها مناسبة ، ويذكر في سياق ذلك آراءه الأدبية التي يؤثرها ويدعو اليها في شيء من الاجمال . وفي مواضع متفرقة من كتابه كما يقول أبو هلال .

وقد ارتاب بعض الباحثين المعاصرين في شخصية الجاحظ في كتابه البيان ، ورأى أنها تكاد تكون معدومة فيه [١] . وهذا موضع مناقشة هذه الفكرة الجائرة .

ان من يمعن في كتاب « البيان » يؤمن معي ايمانا جازماً بمدى ما في هذا الرأي من جور على الجاحظ وغبينة لكتابه ، فشخصية الجاحظ في كتابه البيان ليست معدومة ولا ضعيفة ، بـــل نراها قوية مهيمنة وتلمسها في ثناياه في مظاهر منوعة :

فهي فيما يذكره الجاحظ من أدب ورواية ، وفيما يسرده من آراء رجال البيان العربي في البلاغة وعناصرها ومذاهبها ، ويكفي لظهورها في هذا المظهر صبغ شخصية الجاحظ لهذه الروايات بصبغته ، وهضم عقليته لها واخراجها في أسلوبه الساحر ، وفي الفاتن العجيب ، وفي سعة تامة واحاطة كبيرة باللغة والأدب والبيان .

وهي في تعليقه على هذه الروايات والآراء ، وفي نقده لها وحكمه عليها ، ولن نحصي من ذلك نقده للآراء العامة في الادب وما يتصل

---

(١) ص ٧ مقدمة نقد النثر .

به ، مما نراه في تعليقه على رأي الاهتم في الاحنف بن قيس [١] ؛ وفي موافقته لرأي أياس في حمد اعجاب الرجل بقوله [٢] ، وفي تعليقه على الحكمة القائلة . قيمة كل امرىء ما يحسنه [٣] ، وفي ثنائه على كلمة بليغة لمحمد بن علي [٤] ؛ وفي نقـــده لرأي في تعليل تهيب عمر في خطبة النكاح [٥] ، وفي مناقشته لكلمة عـــن ابن الزبير [٦] ؛ وفي نقده لمن يستحمق المعلمين ورعاة الغنم [٧] ؛ وفي نقده لرأي من يضع الحبشة مع الامم العريقة في الثقافة [٨] ؛ وفي نقده رواية خطبة رويت لماوية [٩] الى آخر ما فيه من التعليق والنقد في هذا الباب . انما نريد نقده لما يتصل بالبيان من آراء ومذاهب تمس صميم البلاغة العربية ، ولا بأس أن نعد بعض هذه التعاليق والنقود .

أنشد خلف الاحمر الجاحظ :

وبعض قريض القوم أولاد علة   يكد لسان الناطق المتحفظ

فعلق الجاحظ على هذا البيت تعليقاً جميلاً ، فالشعر « اذا كان مستكرهاً

---

(١) ٥٧ و ١/٥٨ .
(٢) ١/٨٢ .
(٣) ١/٧٣ .
(٤) ١/٧٤ .
(٥) ١/٩٢ .
(٦) ١/١٩٢ .
(٧) ١/١٧٤ .
(٨) ١/١٤٣ .
(٩) ٢/٥٧ .

وكانت الفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات ... وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الاجزاء سهل المخارج ، فيعلم بذلك أنه أفرغ افراغاً جيداً وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري على الاذهان[1] » وذلك تقرير لبلاغة الالفاظ والنظم ولتنافر الحروف والكلمات سبق اليه الجاحظ عبد القاهر وشيعته والسكاكي ومدرسته بقرون .

ويرى بليغ أن بلاغة الكلام في أن يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك ، والجاحظ يثني على هذا الرأي ويجتبيه[2] .

ويرى ابن المقفع أنه يجب أن يكون في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته (١/٩١ بيان) ، فيشرح ذلك الجاحظ ويدلي برأيه فيه[3] ، مقرراً بلاغة الاستهلال تقريراً ليس بعده من غاية .

والجاحظ جد معجب ببلاغة الكتاب ، يتجلى ذلك في نقده لمذهبهم الادبي في الكتابة والبيان[4] : ، وهو يرى أن حديث الأعراب الفصحاء بالغ الغاية في الامتاع ، وليس أفتق للسان ولا أجود تقويماً للبيان[5] منه ، كما يعجب ببلاغة المتكلمين والنظارين ويراهم فوق أكثر الخطباء

---

(١) ١/٦٢ .
(٢) ١/٩١ .
(٣) ١/٩٢ .
(٤) ١/١٠٥ و ٣/٢٢٥ .
(٥) ١/١١٠ .

وأبلغ من كثير من البلغاء[1] وذكر الجاحظ رأي ابراهيم بن محمد في البلاغة وانه يكفي من حظها الا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق ولا الناطق من سوء فهم السامع ، ثم أشاد به واثنى عليه (١/٧٥) .

واختلف علماء البيان في الخطابة وهل يستجاد فيها الاشارة والحركة فذهب النظام الى استجادتها ، وجعلها رجل كأبي شمر عيباً في الخطيب ، والجاحظ يذكر ذلك ويميل الى راي استاذه النظام محللاً راي ابي شمر ويرجعه الى صفاته الخلقية والنفسية من الوقار والتزمت (٦٩ و ٧٧ و ١/٧٨) .

ويختلفون كذلك في شيء آخر يمس الخطيب والبليغ ، فهل السمت والجمال من تمام آلة البليغ او لا ؟ يورد الجاحظ ذلك ويذكر بتفصيل راي سهل بن هرون في عدم عدهما من ادوات البلاغة (١/٧٦) ، ولا شك ان الجاحظ كان يدافع عن نفسه بما اورده وفصله في ذلك الموضوع .

وكثرة الكلام يراها بليغ كاياس خيراً وبلاغة ، ولكن الجاحظ يرد عليه ، لان للكلام غاية ، ولنشاط السامعين نهاية .. وكذلك اعادة الحديث من العلماء من ذمه ومنهم من حمده ومنهم من جعل لحمده مواضع واسباباً ، والجاحظ يتكلم في ذلك ويدلي برايه ويجمله على قدر المستمعين له ودرجاتهم العقلية ، ويعلل سر ما في الذكر الحكيم من اعادة وتكرير .

والجاحظ يروي وصف ثمامة بن اشرس لبلاغة جعفر بن يحيى ، ويصف هو بلاغة ثمامة ، ويصف بلاغة بليغ يحذر من سحر الكلام واثره

---

(١) ١/١٠٦ .

ويدعو الى اجتناب السوقي والوحشي والى ان لا يجعل الاديب همه في تهذيب الالفاظ وشغله في التخلص الى غرائب المعاني ، والجاحظ هو نفس هذا البليغ . وكثيراً ما يتكلم فيخرج آراءه في معرض الرواية عن سواه لغرض سنعلمه بعد حين ؛ وذلك كله يستحق الدراسة والامعان ، لانه يمس عناصر البيان وبلاغته .

والخطبة يستحسن ان يكون فيها آي من القرآن او بيت من الشعر ام لا ؟ يذكر ذلك الجاحظ ويروي مذاهب البلغاء فيه ، ويذكر ان منها الطوال ومنها القصار ، وان لكل مواضع تليق به .

ويرى العتابي ان كل من افهمك حاجته فهو بليغ ، فيذكر الجاحظ ذلك ويحلله . والصمت يحمده قوم ويذمه قوم والجاحظ يقف من هؤلاء موقف الناقد الحصيف ، فيناقش رأي من آثر الصمت ويدلي برايه هو في قوة وروعة ، داعياً الى ألا يتمسك البليغ بحكمة الصمت ما دام يجد القوة والمقدرة والملكات البيانية المؤاتية .

والشاعر او البليغ قد يستطيع فناً من فنون البيان ويجيد فيه دون فن آخر ، ورأى بعض الشعراء حين سئلوا عن عدم احسانهم في بعض انواع الشعر وفنونه ان ذلك ليس مرجعه قصوراً في ملكاتهم او عجزاً في مقدرتهم الادبية ؛ والجاحظ يناقشهم ويفيض معهم في الجدال ذاهباً الى ان الرجل قد يكون له طبع في فن من فنون الادب دون فن وفي باب دون باب .

وبلاغة المتقعرين من اللغويين والنحويين يستسمجها الجاحظ وينقدها ويرى ان نهجهم فيها ليس من اخلاق الكتاب ولا آدابهم .

وللشعوبيين رأي في العرب وبيانهم ، والجاحظ لا يدعهم دون ان

يحاسبهم ويناقشهم ويرد عليهم في قوة وحرارة دفاع ، وفي كل ما اخذوه على العرب ، لا سيما ما يمس البيان والبلاغة بوجه خاص .

ويرى بعض الباحثين ان اداة الكتابة وقريض الشعر كانت في رسول الله (ص) معدومة ، فيناقش الجاحظ رأيهم ذاهباً الى انها كانت في رسول الله تامة ، ولكنه (ص) صرف تلك القوى الى ما هو ازكى بالنبوة ، واراد ان يكون للشاعر متعلق عما دعا اليه ، وانه (ص) لما طال هجرانه لقرض الشعر وروايته صار لسانه لا ينطق به ، والعادة توأم الطبيعة ؛ ونحن نستجيد رأي الجاحظ كل الاستجادة ؛ وعلل الجاحظ امية رسول الله وعدم قرضه الشعر في افاضة وقوة بيان ، وادلى برأيه في قوله (ص) : نحن معشر الانبياء بكاء .

واخيراً فهذه هي شخصية الجاحظ في بعض ما ناقش فيه آراء رجال البيان وهي لعمري شخصية قوية مهيمنة لا تدعك حتى تؤمن بالجاحظ وثقافته ومذهبه واتجاهه في الادب والبيان .

وللجاحظ فوق ذلك كله شخصية الباحث في اصول البيان العربي :

١ – فالجاحظ اظهر من تكلم في البيان وحاجته الى التمييز والسياسة والترتيب والرياضة والى تمام الآلة واحكام الصنعة ، والى سهولة المخرج وجهارة المنطق وتكميل الحروف واقامة الوزن وان حاجة الكلام الى الحلاوة كحاجته الى الجزالة . وان ذلك من اكبر ما تستمال به القلوب وتزين به المعاني ولذلك فقد تحدث عن عيوب النطق وآفات اللسان ، وتكلم على تنافر الحروف والالفاظ ونادى بضرورة تجنب البليغ الفاظ المتكلمين وبترك الوحشي والسوقي وكراهة الهذر والتكلف والتعقيد والتقعير والاسهاب والفضول ، ونفى الكلام الملحون عن ان يكون من

البلاغة متحدثاً عن اللحن واللحانين ... وذكر البيان وان مداره على الافهام والوضوح مع شرف المعنى وبلاغة اللفظ وصحة الطبع والبعد عن الاستكراه والتكلف ومع قوة التأثير وسحر البيان وان يكون الكلام موزوناً اصيب به مقدار الحاجة مع العارضة واللسن ومع ترك الاسراف في الصنعة والتهذيب ومع استعمال المبسوط والمقصور في موضع البسط والقصر ومع الطبع المتمكن والديباجة الكريمة والماء والرونق ومتى شاكل اللفظ معناه واعرب عن فحواه وكان لتلك الحال وفقاً، ولذلك القدر لفقاً، وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف والفضول والتعقيد، حبب الى النفوس واتصل بالاذهان وهشت اليه الاسماع وخف على الالسن وشاع في الآفاق. وكثيراً ما يكرر الجاحظ اصلاحات ادبية خاصة مثل «صناعة الكلام» يعني بذلك هذا اللون الخاص من البيان البلاغي الذي يرسم مناهج الاداء.

وعني الجاحظ أكثر مـا عني بالخطابة فأطال الكلام في أوصافها وعناصرها وأدواتها ومظاهرها وفي هيئة الخطيب وسمته، وذكر عيوبها وآفاتها، ودعا الخطيب الى مراعاة شتى المقامات والأحوال. والى أن يطيل حيث تجب الاطالة ويوجز حيث يجب الايجاز، وذكر أكثر أعلامها ورجالها حتى عصره، كما تكلم على رسالة الخطيب وأثرهـا في نفسه؛ وأورد من الخطب القصار والطوال الكثير الرائع.

وتكلم على النثر والمحادثة والكتابة: بلاغتها وعناصرهـا ومذاهب الكتاب الأدبية فيها، وعلى سحر الحديث المعاد، والسجع مطبوعه ومتكلفه وبلاغة المطبوع منه، وعلى اللحن وبدء ظهور اللحن، وكثير من المثل في لحنهم، وذكر الحكم والمواعظ والزهد والدعوات السياسية والدينية وكثيراً من مثلها، وتكلم على رواية الأدب وطبقات الرواة من نحويين ولغويين واخباريين وأدباء واتجاهاتهم في الرواية.

كما ذكر الشعر وأثره وخطره وألوانه وطبقات الشعراء ؛ وتحدث عن مذاهب المطبوعين وأصحاب الصنعة منهم ، وعن الحوليات ورجالها ، وذكر بعد كلام الله ورسوله عن الشعر ، ومكانـــة الشعر والشعراء في الجاهلية وكيف غلبته الخطابة أخيراً بعد التكسب بالشعر وكثرة الشعراء ، وحتم على الأدباء الناشئين عرض ثمراتهم الأولى على أولي العلم ورأى أن اجتماع الشعر والرجز والخطبة قليل ، وقلما ينبه الانسان في أكثر من فن واحد منها ، وأن الشعر والغناء والنادرة مما يستجاد أطرافهـــا دون أوساطها ، وتكلم على استواء الشاعرية واختلافها الى غير ذلك مما يتصل بصميم البيان ، ومما تراه متفرقاً في الأجزاء الثلاثة من كتاب البيان .

٢ — ودعوة الجاحظ في كتابه « البيان » — وفي مواضع متفرقة منه لا سيما الجزء الأول من كتابه الكبير — الى مذهب أدبي جديد مستمد من عقليته وثقافته : هي المظهر القوي من مظاهر شخصية الجاحظ الواضحة في كتابه البيان والتبيين ، ويمكننا ارجاع هـــذا المذهب الى عناصره الأولى من : سحر اللفظ وتلاؤم الحرف ؛ ووضوح المعنى وترك التكلف والتعقيد والاغراب والوحشية والسوقية ؛ ومراعاة المقام واصابة الغاية ، مع الحذف والرفق والتخلص الى حبات القلوب واصابة عيون المعاني في سحر ايجاز ، ومع البعد عما يكره مـــن مظاهر مذمومة في البيان مما يتعلق بخلق البليغ وخلقه أو طبعه وزيه ، ومع الحرص على صبغ ذلك كله بصبغة الرجل وأسلوبه وظهور شخصيته وأثره فيه ، ومع مسايرة الأديب للحركة الفكرية العامة في بيئته ، ومع الحرص على ايثار نشاط السامعين والقراء والاحتيال عليه ، بالفكاهة الجميلة ، والاستطراد الساحر ؛ وبراعة الأسلوب وسحره وقوته ، وبالرواية الكثيرة لأعلام الأدب والبيان التي تلقى في روع السامع والقارىء روح الهيبة والاعجاب بهم وبالمؤلف ، وبمناقشة الآراء التي تستحق المناقشة والنقد ممـــا تجعل

السامع والقارىء متطلعاً مسايراً للمؤلف في اتجاهاته الفكرية والأدبية ، الى غير ذلك من عناصر هذا المذهب الأدبي التي ترجع الى المعنى والاسلوب دون حرص على ترف البيان أو طلب لشتى ألوان البديع الا اذا طلبها الطبع واستدعاها المقام . ومن الجدير بالملاحظة أن كثرة الرواية في كتاب الجاحظ التي رآها بعض الباحثين المعاصرين مـــن أسباب ضعف شخصيته انما هو غرض قصد اليه الجاحظ واراده ، ليشعر القارىء بروحه ويؤمن بما يوجهه المؤلف اليه من آراء وأفكار ، وليكتسب بـــه رضاه وتقديره واعجابه . ولا أحيلك في فهم مذهب الجاحظ ذلك على صفحة من كتابه ، فاقرأ أي صفحة وعلى الأخص الجزء الأول من هذا الكتاب ، فستؤمن معي بما ذكرت .

٣ – وقد ظهر الجاحظ في عصر شاع فيه اتجاهان أدبيان مختلفان : اتجاه يرمي الى الظهور بمظهر البداوة التقليدي في الأداء والتعبير فيؤثر الغريب من الألفاظ والعنجهي من الاساليب متناسياً روح العصر وذوقه ، واتجاه آخر تأثر بالحياة السياسية والاجتماعية وبألوان الحضارة في العيش والتفكير ، فمال الى رقة الأسلوب وسهولته ، مـــع حرص على ارضاء الطبع والذوق ؛ وشاهد الجاحظ هذه التيارات الفكرية والأدبية المنوعة وعاصرها ولكنه مال بطبعه وذوقه الى الاتجاه الأخير ، وكتابه البيان كله دعوة الى هذا الرأي ، فهو حيناً يشيد بأدب الكتاب ومذهبهم في البيان وحيناً يكرر الدعوة الى الوضوح والافهام ومسايرة الذوق والطبع ، وحيناً ينقـــد مذاهب الصنعة في الشعر وحيناً يدعو الى ترك التكلف والتعقيد والتقعير وايثار الاساليب السمحة الكريمة الى غير ذلك مـــن آرائه الكثيرة في البيان والنقد والأدب .

الفصل الخامس
علم البلاغة وأشهر المؤلفات فيه

نشأة البلاغة العربية ومراحل التأليف فيها

١ – كان القرن الثاني الهجري أول عصر شهد نشأة آراء كثيرة أصلية ومترجمة حول البلاغة [١] وعناصرها، بعد فساد الملكات؛ وقد أخذ العلماء في بحث أصول بلاغات العرب، وفي تدوين آرائهم في معنى كلمة البلاغة والفصاحة. وأهم ما يؤثر من ذلك: وصية بشر بن المعتمر – من زعماء المتكلمين وتوفي نحو عام ٢١٠ هـ – في البلاغة [٢]، وتفسير ابن المقفع للبلاغة [٣]، وتعريف العتابي لها [٤]؛ ووصية أبي تمام للبحتري:

(١) لا نجد في العصر الجاهلي كلمات عن البلاغة الا ما روي عن عامر بن الظرب حين سئل من أبلغ الناس؟ فقال: من حلى المعنى المزيز باللفظ الوجيز وطبق المفصل قبل التحزيز (٢٠٦ جـ ١ العمدة، ٢٨٠ جـ ٢ الامالي) .. وفي العصر الاموي نجد لمعاوية كلمات في البلاغة ولسواه، روي أن معاوية سأل صحاراً عنها فأجابه (راجع ٨١ جـ ١ البيان، ١٨ جـ ٢ الكامل).

(٢) ١٠٤ وما بعدها جـ ١ البيان.

(٣) ٩١ جـ ١ البيان.

(٤) ٢١٩ جـ ١ العمدة.

خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل .. وفي البيان للجاحظ تحديد للبلاغة كما يراها حكيم الهند ، ويقسمها الكندي فيلسوف العرب المتوفى عام ٢٦٠ هـ الى ثلاثة انواع : فنوع لا تعرفه العامة ولا تتكلم به ، ونوع بالعكس ، ونوع تعرفه ولا تتكلم به وهو أحمدها (١) ، وذكر بزر جمهر حكيم الفرس فضائل الكلام ورذائله في كلمة طويلة مترجمة رواها صاحب الموازنة . الى آخر هذه الكلمات والآراء .

٢ ــ ثم ألفت بعد ذلك كتب تجمع كثيراً من الآراء والدراسات الموجزة حول البلاغة وبحوثها . ومن هذه الكتب : اعجاز القرآن لأبي عبيدة م ٢٠٧ هـ والفصاحة للدينوري م ٢٨٠ هـ والتشبيه والتمثيل للفضل بن نوبحت وصناعة الكلام للجاحظ ، ونظم القرآن والتمثيل له أيضاً والبلاغة وقواعد الشعر للمبرد .. وفي الكامل اشارات لمسائل كثيرة في البلاغة وكذلك الرسالة العذراء لابن المدبر والبلاغة للحراني ، وقواعد الشعر لثعلب ، وقد نشرته عام ١٩٤٨ بشروح كثيرة ، والبلاغة والخطابة للمروزي والمطابق والمجانس لابن الحرون وتهذيب الفصاحة لأبي سعيد الأصفهاني واعجاز القرآن في نظمه وتأليفه للواسطي المعتزلي م ٣٠٦ هـ وصنعة البلاغـة للباحث ، وللسيرافي م ٣٦٨ هـ . ونظم القرآن لابن الأخشيد ، وكذلك لابن أبي داود م ٣١٦ هـ وكتاب الرد على من نفى المجاز في القرآن للحسن بن جعفر ... ومن هذه الكتب أيضاً المفصل في البيان والفصاحة للمرزباني م ٣٧٨ هـ على أن أهم الكتب التي تناولت بعض مسائل البلاغة بالبحث ، أو التي ألفت فيها خاصة هي : كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ، ففي مقدمتها بحوث موجزة طريفة تتصل بالبلاغة . وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وهو أهم ما

(١) ١٨٣ الموازنة .

ألف في هـــذا الطور من كتب تتصل ببلاغات العرب نثراً وشعراً ، وتتعرض لتحديد البلاغة وما حولها من آراء كانت ذائعـــة في عصر الجاحظ — وفيه كثير من بحوث البلاغة ، فهـــو يعرف الاستعارة [1] ويتكلم على السجع [2] ويشير الى التفصيل والتقسيم [3] والاستطراد والكناية [4] والأمثال [5] والاحتراس [6] والقلب [7] والاسلوب الحكيم [8] . والجاحظ أول من تكلم على المذهب الكلامي [9] ويرى البلاغة في النظم لا في المعاني [10] وهو ما ذهب اليه ابن خلدون [11] . والجاحظ يشيد بالايجاز [12] ، كما يدعـــو في البيان كثيراً الى ترك الوحشي والسوقي ، ويحث على الافهام والوضوح ، وعلى ترك التعمق والتهذيب في صناعـــة

---

(١) ١١٦ ١ البيان .

(٢) ١٩٤ ج ١ البيان .

(٣) ١٧٠ ج ١ و ٩١ ج ٢ البيان .

(٤) ١٨٠ ج ١ البيان .

(٥) ٢٢٤ ج ٢ البيان .

(٦) ١٦١ ج ١ البيان .

(٧) ١٨٠ ج ١ البيان .

(٨) ٢٠١ و ٢٠٢ ج ٢ البيان .

(٩) ١٠١ البديع لابن المعتز نشر محمد خفاجى .

(١٠) ٤٠ ج ٣ الحيوان .

(١١) ٥٧٧ مقدمة ابن خلدون . ويقول شيلر : في الفن الشكل هو كل شيء والمعنى ليس شيئاً مذكوراً .

(١٢) ٨٣ و ٨٦ ج ١ ومواضع أخرى .

الكلام ، الى غير ذلك من شتى ما دونه في البيان .. ولا يضير الجاحظ ان كانت دراساته موجزة مفرقة كما يقول أبو هلال [١] ، فهي على كل حال ذات أثر كبير في نشأة البيان ، وهي التي أوحت الى كثير أن يعدوا الجاحظ الواضع الأول لعلم البيان . ومن الخطأ التهوين بأثر الجاحظ في البيان كما ذهب اليه بعض الباحثين المحدثين .

٣ — وقـــد بدأ التدوين في البلاغة على يد ابن المعتز الذي ألف كتابه القيم « البديـع » [٢] وثعلب الذي ألف كتابه « قواعد الشعر » ، وبعد قليل ظهر نقد النثر كما ظهر نقد الشعر لقدامة بن جعفر المتوفى عام ٣٣٧ هـ . ثم كتاب الصناعتين لأبي هلال المتوفى عام ٣٩٥ هـ ، ثم كتاب الموازنة للآمدي والوساطة للجرجاني ، واعجاز القرآن للباقلاني ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي والعمدة لابن رشيق وهما أكثر الكتب اتصالاً بالبلاغة .

٤ — ثم جاء بعد ذلك أبو بكر عبد القاهر الجرجاني شيخ البلاغة العربية والمتوفي عام ٤٧١ هـ . فألف في البلاغة كتابين جليلين هما :

١ — أسرار البلاغة ، وفيه دراسات واسعة تتناول بحوث علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة وفيه شرح للسرقات وبعض ألوان البديـع .

٢ — دلائل الاعجاز ، وفيه بحوث كثيرة هي أصول علم المعاني . كما أنه تحدث فيه عن الكناية وعن التمثيل والمجاز والاستعارة والسرقات أيضاً .

---

(١) ص ٦ و ٧ الصناعتين .

(٢) على نهجه ألف أسامة بن منقذ المتوفى عام ٥٨٤ هـ كتابه « البديـع » .

٥ — وبعد عصر الجرجاني بحث الزمخشري في تفسيره، والرازي في كتابه « نهاية الايجاز » وابن الأثير صاحب المثل [١] السائر، وبدر الدين ابن ابن مالك صاحب المصباح، والتنوخي صاحب « الأقصى القريب »، وكثير من العلماء في البلاغة والفصاحة .

ومن أهم هؤلاء العلماء في هذا الطور ابو يعقوب السكاكي المتوفى عام ٦٢٦ هـ تلميذ الحاتمي [٢]، الذي ألف كتابه « المفتاح » وجعله أقساماً، وخص البلاغة بالقسم الثالث منه، وقسمها الى ثلاثة اقسام: المعاني — البيان — البديع . وبذلك تميزت علوم البلاغة ومباحث كل علم منها بالتفصيل .

والفلسفة والمنطق تغلب على السكاكي الى حد كبير، من حيث كان يغلب الذوق والطبع على عبد القاهر .

وبذلك تنتهي مراحل التأليف والابتكار في بحوث البلاغة وتدوينها تدويناً كاملاً .

٦ — وجاء الخطيب القزويني المتوفى عام ٧٣٩ فألف في البلاغة كتابيه : تلخيص [٣] المفتاح والايضاح . وقد ألف الايضاح ليكون كالشرح لتلخيص المفتاح وجمع فيه كثيراً من آراء عبد القاهر والسكاكي في شيء من التنظيم والشرح .

---

(١) شرحه عز الدين بن ابي الحديد م ٦٦٥ هـ في كتابه « الفلك الدائر على المثل السائر » .

(٢) ٧٣ المفتاح .

(٣) لزكريا الانصاري م ٩٢٦ هـ « مختصر تلخيص المفتاح » : وللعباسي م ٩٦٣ شرح لشواهد التلخيص سماه معاهد التنصيص .

وعلى متن التلخيص كثرت الشروح والحواشي والتقارير وفي مقدمتها الأطول للعصام، والمطول [1] للسعد وشروح التلخيص وسواها ... وهذه أهم كتب البلاغة وشروحها في هذا العهد: قوانين البلاغة لعبد اللطيف البغدادي م ٦٢٩ هـ، والتبيان لابن الزملكاني م ٦٥١ هـ، والمعيار للزنجاني م ٦٥٤ هـ، وبديع القرآن لابن ابي الاصبع م ٦٥٤ هـ. والفوائد الغياثية للعضد ٧٥٦ هـ وشرحها الكرماني م ٧٨٦ هـ، والتبيان لشرف الدين الطيبي م ٧٤٣ هـ، والطراز ليحيى بن حمزة العلوي م ٧٤٩ هـ، وعروس الأفراح للسبكي م ٧٧٣ هـ، والسمرقندية للسمرقندي وهي رسالة في الاستعارات؛ وتوفى السمرقندي عام ٨٨٠ هـ. وللسيوطي كتاب « نهج البلاغة » وهو مخطوط بمكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة.

٧ - شروح المفتاح للسكاكي.

أ - شرحه بتمامه المولى حسام.

ب - شرح القسم الثالث منه: الشيرازي م ٧١٠ هـ في « مفتاح المفتاح ». الترمذي وهو معاصر للشيرازي، والخلخالي م ٧٤٥ هـ، والسعد (٧١٢ - ٧٩١ هـ)، والسيد م ٨١٦ هـ في « المصباح » الذي ألفه عام ٨٤٣ هـ. وعماد الدين الكاشي. وله رسالة في حل المتشابهات التي أوردها الخطيب على المفتاح، والابهري سلطان شاه، وطاشكبرى زاده م ٩٦٢ هـ وشيخ زاده م ٩٥١ هـ، والشريشي م ٧٦٩ هـ، والخوارزمي، وقد فرغ منه عام ٦٤٢ هـ والفناري م ٨٣٤، وله على شرحي السعد والسيد تعليقات، وابن كمال باشا م ٩٤٠، وسواهم.

---

(١) عليه كتاب في شرح شواهده اسمه عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر، وهو مطبوع طبعة حجر عام ١٣٠٧ هـ في ١٦٦ صفحة.

جـ — واختصر القسم الثالث منه :

القزويني ٦٦٦ — ٧٣٩ هـ ، والايجي م ٧٥٦ هـ في الفوائد الغيائية ، وبدر الدين بن بن مالك م ٨٦٦ هـ في « المصباح في اختصار المفتاح » ؛ ونظم « المصباح » المراكشي ، ثم شرحه وسماه « ضوء الصباح على ترجيز المصباح » ؛ واختصر هذا المختصر ابن النحوية م ٧١٨ هـ ، وسماه « ضوء الصباح » ، ثم شرحه في مجلدين في كتاب اسفار المصباح عن ضوء المصباح ، ولمحمد بن خضر « مصباح الزمان في شرح المصباح » .

هذا وقد ألف السعد « المطول على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني » وانتهى من تأليفه عام ٧٤٨ هـ ، كما انتهى مــن تأليف مختصر المطول عام ٧٥٦ هـ .. وفرغ ابن يعقوب من تأليف شرحه على مختصر السعد في مكناسة في المحرم ١١٠٨ هـ .. وانتهى ابن السبكي من تأليف شرحه « عروس الأفراح » على مختصر السعد في جمادى الأولى عام ٧٥٨ هـ .. وانتهى الدسوقي من كتابة شرحـــه على مختصر السعد في شوال عام ١٢١٠ هـ .

٨ — ويمتاز الايضاح للخطيب القزويني بعدة ميزات ظاهرة : فهو أوفى كتاب في بحوث البلاغة وهو أوضح الكتب المؤلفة فيها نظاماً وأسلوباً ، وهو كثير البحث والتعمق والاستنباط لاسرار البلاغة العربية ، فوق أنه كتاب تطبيقي جميل في البلاغة ، وينقد القزويني فيه كثيراً من آراء السكاكي ، وان كان يعتمد الخطيب فيه على عبـــد القاهر والسكاكي كثيراً . ومع ذلك فالخطيب يجمع في كتابه خلاصات لبحوث علماء البلاغة في شتى العصور حتى عصره ، والكتاب بعد ذلك غزير

المادة ، كبير الفائدة في الأدب والنقد والبلاغة والبيان [1] .

وهناك مؤلفات جديدة ظهرت في البلاغة في عصر الحواشي ، ومن بينها عقود الجمان للسيوطي . كما ظهرت في العصر الحديث عدة مؤلفات في البلاغة فيها لون من التهذيب والتنسيق وحسن الأخذ والاختيار .
وبذلك تنتهي مراحل التأليف في البلاغة منذ نشأتها حتى الآن .

الخطيب القزويني وأثره في البلاغة العربية

والخطيب القزويني [2] هـــو « جمال الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن ، ابن خطيب دمشق » كما يقول جورجي زيدان ، وبتفصيل أوسع هو « الشيخ الإمام العالم العلامة خطيب الخطباء ، مفتي المسلمين ، جلال الدين ، أبو عبد الله ، محمد ابن قاضي القضاة سعد الدين ابي محمد عبد الرحمن ، ابن امام الدين ابي حفص عمر ، القزويني الشافعي » كما يقول تلاميذه او هو نفسه في مقدمة كتابه الايضاح . فهو من أسرة علمية ودينية كبيرة ، كان لها ولا شك اثرها في حياته وتفكير روحه .

ولد عام ٦٦٦ هـ ، وتعلم الفقه ، وتولى القضاء ، وانتقل الى دمشق ، وتولى الخطابة في مسجدهـــا ، ثم تولى القضاء بمصر ، وتمكن نفوذه فيهـــا ايام الملك الناصر ، اكتسب مالاً طائلاً ، ثم جاء الى دمشق وتوفي فيها

(١) شرحه الاقصرائي م ٨٠٠ هـ ، وحيدرة م ٨٢٠ هـ ، والاستاذ الصعيدي والاستاذ التنوخي وخفاجي .

(٢) شذرات الذهب ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، وسواها .

وأشهر مؤلفاته تلخيص المفتاح ، والايضاح في المعاني والبيان [١] وكانت وفاته عام ٧٣٩ هـ ، كما يقول له صاحب الدرر الكامنة .

وتدل مؤلفات الخطيب في البلاغة على ثقافة بلاغية وادبية واسعة وقراءة مستفيضة لأهم المؤلفات في البلاغة وفي مقدمتها: « أسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر ، والمفتاح للسكاكي .

ألف الخطيب مختصراً صغيراً للمفتاح في البلاغة ، او للقسم الثالث بعبارة اوضح ، وسماه « تلخيص المفتاح » [٢] . لخص فيه ذلك السفر العظيم وقدم فيه وأخر، وحذف واختصر، وفيه بعض آراء له لم يرتضها جهابذة هذه الفنون ، « ومن العجيب ان يسمى كتابه بهذا الاسم ، وهو في رأي أحد الباحثين ليس بالتلخيص له وحده ، بل أشبه بأن يكون تلخيصاً لكتابي أسرار البلاغة ودلائـــل الاعجاز لعبد القاهر ولسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي .. وروح التلخيص من الكتاب الأخير واوضح كل الوضوح في مقدمته » [٣] وقد يكون في هذا الرأي لون من المبالغة، فمتن التلخيص ليس تلخيصاً للاسرار والدلائل وسر الفصاحة في قليل ولا كثير ، انما هو تلخيص للقسم الثالث من المفتاح وحده ، وما فيه من روح التأثر بعبـــد القاهر فمرجعه الى المفتاح نفسه ، الذي اعتمد فيه السكاكي على عبد القاهر الى حد بعيد . وقد يستساغ ذلك في الايضاح لا في « تلخيص المفتاح » .

---

(١) وقد حرف جورجي زيدان اسمه فذكره « الافصاح » بدل الايضاح (٤٤ جـ ٣ تاريخ آداب اللغة العربية) .

(٢) شرحه الخلخالي م ٧٤٥ هـ .

(٣) ٦٢ ، ١٣٧ بحوث وآراء في علوم البلاغة للأستاذ المرحوم أحمد المراغي .

ألف الخطيب كتابه الايضاح في البلاغة على ترتيب التلخيص ، وبسط القول فيه ليكون كالشرح له ، فأوضح مواضعه المشكلة ، وفصل معانيه المجملة ، واعتمد على المفتاح والأسرار والدلائل وغير هذه المؤلفات في بحوثه ودراساته فيه ، كما يشير اليه الخطيب نفسه في مقدمة الايضاح . والكتاب « فيه أمهات مسائل هذه الفنون بعبارة واضحة فيها روح من أسلوب عبد القاهر الجامع بين التحقيق العلمي والرصانة الأدبية [١] .

وعلى «تلخيص المفتاح للخطيب» كثير من الشروح والحواشي والتقارير مما يدل على مدى شهرته العلمية عند الباحثين . ولا يزال منهج الخطيب في البلاغة وفي تلخيصه بالذات هو المنهج العلمي في علوم البلاغة الى عصرنا الراهن .

وكتاب الايضاح عمل جليل في البلاغة ؛ سواء في ترتيبه وتقسيمه وتنظيم بحوثه؛ أم في استيعابه واستقصائه وتحليله، أم في جمعه واستمداده من شتى المصادر والمراجع ، أم في أسلوبه الأدبي وروحه وكثرة تطبيقاته الأدبية ، وهو أهم كتاب دراسي في البلاغة في العصر الحاضر .

ولي شرح للايضاح ؛ يتناول بالبحث والتحليل والدراسة والتعليق والشرح جميع مسائله وشواهده ، ويشير الى مصادره ومراجعه التي الف منها الخطيب كتابه [٢] .

....

(١) ٦٣ المرجع ... وفي المكتبة الأزهرية حاشية مخطوطة على أبيات الايضاح ، وهي نسخة في مجلد بقلم فارس في ١٢٦ ورقة بنمرة (٤٣) ١٠٩٥ . وفيها نسخة أخرى في مجلد بقلم معتاد بخط محمد حسن سنة ١٣٦٥ في ١٥٠ ورقة بنمرة (٢١١٠) ٥٢٨٦ .... وللاقصرائي شرح مخطوط على الايضاح، بدار الكتب المصرية .

(٢) راجع « نشأة البيان العربي » في شرحي على الايضاح في البلاغة للقزويني جـ١ ص ١٥٤ – ١٧١ – ويقع شرحي على الايضاح في ستة أجزاء .

مؤلفات متأخرة في البلاغة

١ — من شروح تلخيص المفتاح للخطيب : شرح للخلخالي م ٧٤٥ هـ ، وشرح للزوزني م ٧٩٢ هـ ، وشرح لابن عربشاه م ٩٤٥ ، وقـد شرح العباسي أبيات التلخيص في كتابه « معاهد التنصيص » ونظمه السيوطي في كتابه « عقود الجمان » .. وقد شرح جمال الدين محمـد بن محمد الأقصرائي م ٨٠٠ هـ كتاب الايضاح للخطيب القزويني في كتاب أسماه « ايضاح الايضاح » ... (٢ و ٤٥٩ بلاغـة — دار الكتب المصرية — مخطوطات) .

٢ — وعلى المطول حواش كثيرة : منهـا حاشية السيد م ٨١٦ ، وحاشية الفنري م ٨٨٦ ، وحاشية منلا خسرو ٨٨٥ ، وحاشية السيرامي المصري م ٨٣٣ وحاشية الحفيد م ٩٠٦ هـ ، وحاشية الشيرازي م ٩٩٤ هـ ، وعز الدين بن جماعة ٨١٩ هـ ؛ والبساطي م ٨٤٢ هـ . والسمرقندي م ٨٨٠ هـ ، وعبد الحكيم السيلاكوتي م ١٠٦١ هـ :

٣ — ومن الكتب المتأخرة في البلاغة : الجوهر المكنون لعبد الرحمن الأخضري وقد شرحه الشيخ أحمد الدمنهوري م ١١٩٢ هـ .

ومنها : تحفـة الإعواز في علاقات المجاز للسجاعي م ١١٩٧ ، وتحفة الاخوان في علم البيان للدردير م ١٢٠١ هـ . والرسالة البيانية للصبان م ١٢٠٦ هـ ، والتجريد للبنان م ١٢١١ هـ ، وحسن الصنيع للشيخ البسيوني م ١٣١٣ هـ . وزهر الربيع للحملاوي م ١٣٥٢ هـ ، والبلاغة الواضحة للجارم المتوفى في ٨ فبراير ١٩٤٩ ، وكتاب « فن القول » للاستاذ أمين الخولي . وهناك مذكرات قيمة مطبوعة في بحوث البلاغة للاستاذ سليمان نوار ، وللاستاذ الشيخ حامحيس ، وللاستاذ الشيخ محمد احمـد عرفة ؛ وللاستاذ

حامد عوني كتاب « المنهاج الواضح [1] » ، وللاستاذ محمود فرج العقدة كتاب « محاضرات في البلاغة » وهــــو مطبوع ، وشرح على الايضاح للخطيب القزويني ، وهو مخطوط ..

---

(١) كتبت في البلاغة شرحاً في ستة أجزاء على « الايضاح » للقزويني ، ولي كتاب « البلاغة العربية » ، وكتاب « عبـــد القاهر والبلاغة العربية » - وهي مطبوعة ؛ ولي كتاب مخطوط بعنوان « مذاهب البلاغة » .

الفصل السادس

اللغة ومعاجمها

١

بعد الفتوحات الاسلامية وسيادة اللغة العربية في بلاد واسعة ، ونطق الاعاجم بها، وظهور اللحن والخطأ في التركيب اللغوي بدأ العلماء يعنون بجمع اللغة للمحافظة على لغة القرآن والحديث .

وبدأوا بجمع مفردات اللغة ، ثم ظهرت كتب كثيرة متشابهة الموضوعات بعنوان (خلق الانسان والخيل والابل والأنواء والنبات والشجر والوحوش والسلاح) . كما كتبوا في غريب القرآن والحديث .

وكان أول كتاب في غريب القرآن منسوباً الى ابن عباس (٦٨ هـ).

وقد فكر الخليل بن احمد الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٠ هـ) في جمع مفردات اللغة العربية ، فألف كتابه العين وهو أول معجم لغوي عربي.

وهناك كتب كثيرة تحمل عنوان « النوادر » وأخرى تحمل عنوان « الأضواء » منسوبة لأعلام اللغة الأوائل ، وتبلغ أكثر من أربعين كتاباً وألفت كتب في الفصيح، ومن أشهرها فصيح ثعلب الذي حققته ونشرته مع الشروح التي عليه عام ١٩٤٨ ، ومن فصيح ثعلب نسخة خطية في

مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة تحمل رقم ٥٤٤ .

ثم ألف ابن السكيت (٢٤٤ هـ) كتابه « اصلاح المنطق »، وألف ابن قتيبة (٢١٣ — ٢٧٦ هـ) كتابه « ادب الكاتب » ، وألف الهمداني (٣٢١ هـ) كتابه « الألفاظ الكتابية » (٣٧٠ هـ) .

وألف الامام الأزهري (٣٧٠) هـ معجمه اللغوي « تهذيب اللغة[١] . وقد طبع في القاهرة في ١٥ جزءاً .

وألف الأمام الجوهري (٣٣٢ — ٤٠٠ هـ) كذلك كتابه الصحاح وقد حققه احمد عبد الغفور عطار[٢] ، ونشره في ستة أجزاء. وعن الصحاح ألف الرازي كتابه « مختار الصحاح » .

وألف الثعالبي (٤٢٩ هـ) كتابه المشهور « فقه اللغة » .

كما ألف ابن سيدة (٤٥٨ هـ) كتابه « المخصص » كذلك وهو مطبوع في ثمانية عشر جزءاً واول كتاب ألف في المعجم العربي اللغوي هو كتاب العين للخليل (١٠٠ — ١٧٠ هـ ،) وهو مرتب على عدد حروف المعجم العربي والكلام على كل حرف يتناوله كتاب ، وهذا هو ترتيب معجم الخليل : ع . ح . هـ . خ . غ . ق . ك . ج . ش . ض . ص . س . ز . ط . ت . د . ظ . ذ . ث . ر . ل . ن . ف . ب . م . و . ي . أ . ء .

---

(١) يرجع الفضل في الاهتمام بالكتاب الى الأديب السعودي أحمد عبد الغفور عطار ، الذي كان لمساعيه الفضل في قيام الجامعة العربية بنشر الكتاب على نفقتها ، وقد قمت بتحقيق أحد اجزائه « الجزء السادس » مع زميلي المرحوم الشيخ محمود فرج عبد الحميد العقدة رحمه الله .

(٢) راجع كتاب المعجم العربي لحسين نصار — جزء اول وثاني .

وقد نشر الجزء الاول منه المجمع العلمي العراقي بتحقيق الدكتور عبد الله درويش .

وللقالي أبي علي (٣٥٦ هـ) صاحب كتاب الأمالي كتاب مشهور في اللغة ، اسمه .. « البارع » .

وألف ابن دريد (٢٢٢ – ٣٢١ هـ) كتابه « الجمهرة » في اللغة ، وكان عمدة علماء اللغة في عصر ابن دريد . وهو مطبوع في حيدر أباد بالهند .

٣

كتب اخرى في اللغة :

١ – مقاييس اللغة لابن فارس (٣٢٩ – ٣٩٥ هـ) .

٢ – أساس البلاغة للزمخشري (٥٣٧ هـ) وهو مطبوع في جزءين كبيرين في القاهرة (مطبعة دار الكتاب المصرية) . وفي مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة كتاب بعنوان «اعجاز الايجاز في اختصار المجاز من أساس البلاغة للزمخشري » بقلم السيد ابراهيم عصمت ، وهو مخطوط (رقم ١٥٨ مجاميع) .

٣ – لسان العرب لابن منظور (٦٣٠ – ٧٨١ هـ) – : ٢ مجلداً [١].

٤ – القاموس المحيط للفيروز آبادي (٧٢٩ – ٨١٧ هـ) ٤ أجزاء

---

(١) – ومنه نسخة خطية في مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة (ع. م – ١١١ نسخ ١١٥٥٨).

كبار ، وهو بترتيب الحرف الأخير من الكلمات .

٥ — تاج العروس للزبيدي (١١٤٥ — ١٢٠٥ هـ) وهو شرح للقاموس المحيط وطبـــع في عشرة أجزاء وينشر محققاً في دولة الكويت حيث صدر في القاهرة منه ٨ اجزاء .

٣

ومن المعاجم الحديثة التي ظهرت في العالم العربي :

١ — محيط المحيط لبطرس البستاني .

٢ — أقرب الموارد للشرتوني — ثلاثة أجزاء .

٣ — المنجد للأب لويس المعلوف .

٤ — المعجم الوسيط اصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

الفصل السابع

النحو العربي

١

النحو هو العلم الذي يرشد الى معرفة ما يستحقه آخر الكلمة العربية من اعراب أو بناء ، ومن حركات أو سكون .

وقد كان العربي يعرب لغته بالسليقة والفطرة العربية الصادقة ، فلما انتشرت الفتوحات الاسلامية ، وامتزج العرب بغيرهم من الأمم والشعوب أخذت السليقة العربية تفسد في الألسنة ، واحتيج مع ذلك الى وضع قواعد تعصم الألسنة من الخطأ ، وتقيهم شر اللحن ، منعاً لعادية اللحن في القرآن الكريم ، وعوداً بالألسنة الى طبيعتها السليمة .

ويستبد بشرف وضع مسائل النحو الأولى الأمام علي بن أبي طالب (٣١ هـ) ، وأبو الأسود الدولي (٦٩ هـ) في روايات كثيرة معروفة لا داعي لذكرها في هذا المقام [١] وأرجح الآراء أن أبا الاسود هو واضع

(١) راجع عن أبي الأسود كتب تراجم النحويين التي ذكرناها من قبل ، وطبقات الشعراء لابن سلام ، وطبقات ابن سعد ٧ قسم ١ : ٧٠ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والأغاني ١١ : ١٠٥ – ١٢٤ طبع بولاق ، ٤ : ٢٨٠ – ٢٨٢ معجم الأدباء لياقوت ، و ٧ : ١٠٤ ١١٧ تاريخ دمشق لابن عساكر ، وخزانة الأدب ١ : ١٣٦ – ١٣٨ ، وقد طبع ديوانه .

علم النحو العربي بقواعده الاساسية المعروفة [1]، يقول ابن سلام في كتابه طبقات الشعراء : أول من استنّ العربية ، وفتح بابها ، وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها ، أبو الاسود .، ويقول ابن قتيبة في « المعارف » أول من وضع العربية أبو الأسود . ويقول ابن حجر في الاصابة ذلك أيضاً . واشتغلت بالنحو العربي مدرستان كبيرتان ، هما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة .

فمدرسة البصرة كان من أعلامها :

١ – نصر بن عاصم (٨٩ هـ) ويحيى بن يعمر (١٢٩ هـ) .

٢ – ثم عبد الله بن ابي اسحاق (١١٧ هـ) وعيسى بن عمر الثقافي (١٤٩ هـ) وأبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) ويونس (١٨٢ هـ) [2] .

٣ – الخليل بن احمد (١٧٠ هـ)

٤ – سيبويه صاحب الكتاب المتوفي عام ١٨٨ هـ ، وقد نشرت شواهد الكتاب في شرحي على كتاب «فصيح ثعلب والشروح التي عليه».

٥ – المازني البصري ٢٤٧ هـ .

٦ – المبرد (٢٨٥ هـ) صاحب كتاب « المقتضب » [3] .

---

(١) ١٧ نشأة النحو – محمد الطنطاوي – الطبعة الثانية ، وراجع عن ابي الأسود دائرة المعارف الاسلامية المجلد الاول العدد الخامس ، وضحى الاسلام ٢ : ٢٨٦

(٢) صدر عنه كتاب في سلسلة اعلام العرب المصرية بقلم حسين نصار .

(٣) نشر في القاهرة بتحقيق عبد الخالق عضيمة في أربعة أجزاء .

ومدرسة الكوفة كان من اعلامها :

١ — معاذ الهراء (١٨٧ هـ) ، والرواسي الكوفي (١٩٠ هـ) .

٢ — الكسائي (١٨٩ هـ) .

٣ — الفراء (٢٠٧ هـ).

٤ — ثعلب ٢٩١ هـ[١] .

٢

وقد كان للمذهب البصري والمذهب الكوفي في النحو آثار كبيرة امتدت الى أصوله وفروعه[٢] ونشأ عنهما المذهب البغدادي في النحو ، وكان من اعلامه :

١ — الزجاج (٣١٠ هـ).

٢ — ابن الراج (٣١٦ هـ).

٣ — الزجاجي (٣٣٧ هـ) .

٤ — ابن درستويه (٣٤٧ هـ) .

٥ — ابن الانباري (٣٢٧ هـ) .

---

(١) حققت كتابيه : قواعد الشعر لثعلب ، وفصيح ثعلب ، وهما مطبوعان .

(٢) راجع كتاب أصول النحو العربي لسعيد الأفغاني ، وراجع كتاب «الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين» للأنباري (٥٧٧ هـ) ، وهو صاحب كتاب « نزهة الالباء في طبقات الادباء ، أي النحويين .

٦ — ابن كنسان (٢٩٩ هـ).
٧ — الأخفش الصغير (٣١٥ هـ) [١] .
٨ — نفطوية (٣٢٣ هـ) .

٣

وقد ظهرت مدرسة عراقية خالصة في النحو بعد ذلك من أشهر أعلامها :

١ — السيرافي (٣٦٩ هـ) ، وله شرح على الكتاب لسيبويه .
٢ — ابن خالوية (٣٧٠ هـ) وكتابه «ليس في كلام العرب» مشهور .
٣ — ابو علي الفارسي (٣٧٧ هـ).
٤ — الرمّاني (٣٩٢ هـ).
٥ — ابن جنى (٣٩٢ هـ) وكتابه « الخصائص » مشهور .
٦ — التبريزي (٥٠٢ هـ) .
٧ — الزمخشري (٥٣٧ هـ) صاحب كتاب « المفصل » .
٨ — ابن الشجري (٥٤٢ هـ) .
٩ — ابن الخشاب (٥٦٧ هـ) .
١٠ — الأنباري (٥٧٧ هـ) .

(١) في مكتبة كلية اللغة العربية بالازهر رسالة مخطوطة عنهبقلم الدكتور طه محمد الزيني.

١١ – المطرزي (٦١٠ هـ) .

٤

وظهرت مدرسة مصرية في النحو من أشهر أعلامها :

١ – ابو جعفر النحاس (٣٣٧ هـ)، وله شرح مخطوط على المعلقات .

٢ – ابن بابشاذ (٤٦٩ هـ) .

٣ – ابن بري (٥٨٢) هـ .

٤ – ابن معطي (٦٢٨ هـ) .

٥ – ابن يعيش (٦٤٣ هـ) .

٦ – ابن الحاجب (٦٤٦ هـ) ، وله كتاب « الايضاح » وهو شرح المفصل للامام الزمخشري ، وكتاب « الكافية » .

٥

ثم ظهرت مدرسة اندلسية ومغربية في النحو ، ومن اعلامها :

١ – الزبيدي (٣٧٩ هـ) صاحب كتاب « طبقات النحويين واللغويين » .

٢ – الأعلم الشنتمري (٤٧٦ هـ) ولي شرح على كتابه « أشعار الشعراء الستة الجاهليين » في جزءين .

٣ – ابن السيد البطليوسي (٥٢١ هـ) .

٤ – السهيلي صاحب كتاب « نتاج الفكر » وهو مخطوط، والروض الأنف ، وسواهما .

٥ – ابن مضاء الاندلسي القرطبي (٥٩٢ هـ) .

٦ – الجزولي (٦٠٥ هـ) .

٧ – ابن خروف (٦١٠ هـ) .

٨ – ابن مالك صاحب الألفيـــة (٦٠٠ – ٦٧٢ هـ) . وله ابن يسمى ابن الناظم توفي عام ٦٨٦ هـ .

٩ – الشلوبيني (٦٤٥ هـ) .

١٠ – ابن هشام الاندلسي (٦٤٦) .

١١ – ابن الحاج (٦٤٧ هـ).

١٢ – ابن آجروم (٧٢٣ هـ) .

٦

وفي المشرق ظهر علماء نحويون ، من أشهرهم :

١ – الرضي (٦٨٨ هـ) وله شرح على الكافية لابن الحاجب .

٢ – الجامي (٨٩٨ هـ) .

٧

كما ظهرت مدرسة نحوية مصرية متأخرة ، من أشهر علمائها .

١ – ابن هشام (٧٦١ هـ) ، وكتاباه التوضيح والمغني مشهوران .

٢ – ابو حيان (٧٤٥ هـ) .

٣ – الشاطبي (٧٩٠) هـ .

٤ – المرادي (٧٤٩ هـ) .

٥ – ابن عقيـل المصري (٦٩٨ – ٧٦٩ هـ) صاحب شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٦٠٠ – ٦٧٢ هـ) .

٦ – الدماميني (٨٢٧ هـ) .

٧ – الشمني (٨٧٢ هـ) .

٨ – خالد الأزهري (٩٠٥ هـ) .

٩ – السيوطي (٩١١ هـ) .

١٠ – الأشموني (٩٢٩ هـ) .

١١ – الصبان (١٢٠٦ هـ) .

الفصل الثامن
التراجم

ألف العلماء في التراجم بمختلف أنواعها كتباً كثيرة مشهورة وسوف نذكر لك بعضاً منها :

تراجم الصحابة والتابعين :

نتج عن تقصي أخبار الرسول وجمع أقواله والعمل على بيان صحيحها من منحولها ثروة كبيرة من الكتب التي تؤرخ للصحابة والتابعين ، وقد أطلق على بعضها عنوان « كتب الرجال » لتأريخها لرجال الحديث ، وكذلك كتب « الانساب » كما أطلق على البعض الآخر كتب الطبقات التي كانت تعني بذكر المترجم لهم طبقة بعد طبقة ، وفي ذلك يقول أبو الحسن ، علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري ، المعروف بابن الأثير :

«لأن السنن التي عليها مدار تفصيل الاحكام، ومعرفة الحلال والحرام، الى غير ذلك من أمور الدين انما ثبتت بعد معرفة رجال اسانيدها ورواتها ، وأولهم المقدم عليهم اصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فاذا جهلهم الانسان ، كان بغيرهم أشد جهلاً ، وأعظم انكاراً ، فينبغي أن يعرفوا بأنسابهم واحوالهم هم وغيرهم من الرواة حتى يصح العمل بما رواه الثقات منهم ، وتقوم به الحجة فان المجهول لا تصح روايته ، ولا ينبغي العمل بما رواه . والصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلا في

الجرح والتعديل ، فانهم كلهم عدول لا يتطرق اليهم الجرح [1] » .

وكان من أهم العوامل التي دعت الى العناية بتسجيل تراجم الصحابة حس المسلمين واحترامهم لهذا الرهط من الذين سبقوا الى الاسلام ، ورغبتهم في تخليد ذكراهم والتحدث بفضلهم وما نهض به كل واحد منهم في نشر الدين الاسلامي ، فالذكر للانسان عمر ثان ، وعملا بما جاء في الحديث الشريف الذي ينص على أن « من ورخ مؤمناً ، فكأنما أحياه » [2] وكذلك اتماماً لما بدأ به عمر بن الخطاب سنة ١٥ هـ عندما أنشأ الديوان الذي يسجل فيه عطاء كل مسلم بحسب قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بحسب سابقته في الاسلام وفي الجهاد ، فقد رفض عمر نصيحة عبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب بان يبدأ بنفسه وقال : « بل أبدأ بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض للعباس ثم للأقرب من أهل الرسول وبدأ بعد ذلك بأهل بدر ، وفرض للحسن والحسين ولأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي مثل أهل بدر ، ثم فرض لمن أتى بعد بدر الى الحديبية ، ثم لمن جاهد بعد الحديبيه الى أن اقلع أبو بكر عن أهل الردة ، ثم لمن اشترك في حرب الشام [3] ولذلك أصبح من الضروري اثبات ما وقع من الجهاد بعد عهد عمر لاثبات فضل التابعين وحق كل منهم هو وأولاده في عطاء الديوان .

وأول من أقدم على تأليف كتب الطبقات هو محمد بن عمر الواقدي (١٣٠ — ٢٠٧ هـ) وتلاه تلميذه محمد بن سعد (١٦٨ — ٢٣٠) ؛ ثم

(١) ابن الاثير : مقدمة اسد الغابة في معرفة الصحابة .

(٢) السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٧ .

(٣) الطبري — محمد أبو الفضل ابراهيم ٣ : ٦١٤ .

أتى بعدهم الكثيرون من كبار المؤرخين من بينهم أبو عمر يوسف بن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣ هـ صاحب كتاب الاستيعاب في معرفة الصحاب، وعز الدين علي بن أحمد المشهور بابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ مؤلف كتاب «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، وشهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ وهو مؤلف «الاصابة في تميز الصحابة».

كتب الطبقات :

عندما تقدمت الحضارة الاسلامية، وتفرعت شجرة المعرفة عندهم الى كثير من العلوم والفنون ظهرت الحاجة الى معرفة تراجم العلماء والمؤلفين في جميع نواحي النشاط الفكري فأقبل العلماء على هذا النوع من التأليف، وتوسعوا فيه حتى انهم لم يتركوا فناً أو علماً أو صناعة الا عنوا بالترجمة لرجاله طبقة بعد طبقة وهكذا ظهر في علم التأليف مئات منها بعناوين مثل :

طبقات الرواة، طبقات المحدثين، طبقات المفسرين، طبقات المتكلمين، طبقات الفقهاء، طبقات الحفاظ، طبقات القراء، طبقات الشعراء، طبقات النحاة، طبقات اللغويين، طبقات الحكماء، طبقات الأطباء، طبقات الصوفية، طبقات الأدباء الى غير ذلك من كتب طبقات المشتغلين بمختلف العلوم والفنون.

ولما ازدهرت الحضارة بدت الرغبة الملحة في تأليف كتب أخرى تجمع بين دفتي كل منها تراجم للمشاهير في كثير من العلوم والفنون ممن أسهموا بقسط وافر في تقدم الحضارة الاسلامية أو ممن شاركوا مشاركة بناءة في ناحية من نواحي الحياة وكان لهم فضل يذكر ويشكر، ولذلك صدر الكثير من هذه المؤلفات تحت عنوان الوفيات أو المعاجم وكل

واحد منها يترجم لعدة رجال نبغوا في مختلف العلوم والفنون .

تراجم اللغويين والنحويين :

١ – معجم الأدباء لياقوت الحموي (٦٢٦ هـ) نشره مرجليوث في ٧ أجزاء ، ونشره فريد رفاعي في عشرين جزءاً .

٢ – طبقات النحويين والبصريين للسيرافي بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي – طبع القاهرة ١٩٥٥ .

٣ – مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي من علماء القرن الرابع الهجري .

٤ – طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي ، منشور في القاهرة بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

٥ – نزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري (٥١٣ – ٥٧٧ هـ) وهو صاحب كتاب الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين .

٦ – إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (٥٦٨ – ٦٤٦ هـ) – منشور في القاهرة في ثلاثة أجزاء .

٧ – بغية الوعاة للسيوطي (٩١١ هـ) .

٨ – نشأة النحو – محمد الطنطاوي (١٩٥٥) .

تراجم الأعلام :

١ – اعيان الوفيات لابن خلكان (٦٨١ هـ) .

٢ – فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي .

٣ – الإعلام للزركلي – عشرة أجزاء .

٤ – معجم المصنفين بيروت ١٩٢٥ – أربعة أجزاء .

٥ – معجم المؤلفين – لكحالة – دمشق – ١٥ جزءاً [١] .

٦ – أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي .

٧ – بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس للضبي (٥٩٩ هـ) .

٨ جذوة المقتبس للحميدي الأندلسي.

٩ – تاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطلوبغا .

١٠ – الجواهر المضية في طبقات الحنفية لأبي الوفاء القرشي – جزءان.

١١ – تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) – ٢٠ جزءاً .

١٢ – تذكرة الحفاظ للذهبي – ٤ أجزاء .

١٣ – ريحانة الألبا للشهاب الخفاجي (١٠٦٩ هـ) في تراجم أدباء القرن الحادي عشر الهجري .

١٤ – الذخيرة في محاسن الجزيرة لابن بسام الأندلسي .

١٥ – خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي – ٤ أجزاء .

١٦ – البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (١٢٥٠ هـ) .

---

(١) له : معجم قبائل العرب في ثلاثة مجلدات .

١٧ – سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي – ٤ مجلدات .

١٨ – شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الدمشقي (١٠٨٩ هـ) – ٨ أجزاء .

١٩ – طبقات القراء لابن الجوزي .

٢٠ – طبقات الحنابلة لابن الفراء .

٢١ – طبقات الحنابلة لأبي يعلى .

٢٢ – عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة .

٢٣ – طبقات الصوفية للسلمي .

٢٤ – طبقات الشافعية الكبرى للسبكي .

٢٥ – حلية الأولياء لأبي نعيم – ١٠ أجزاء .

٢٦ – الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي (٩٠٢ هـ) .

٢٧ – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر (٨٥٢ هـ) .

٢٨ – طبقات الحنابلة لابن رجب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٤١١ تاريخ .

الفصل التاسع

كتب التاريخ

١

كانت روايات الصحابة عن السيرة المحمدية الشريفة ورواياتهم عن الفتوحات الاسلامية ، أول عمل منظم من أجل كتابة التاريخ .

ويقال ان معاوية استكتب رجلا من أهل اليمن اسمه عبيد بن شريه الجرهمي ، وكان يروي لمعاوية أخبار الأمم الماضية ، وعاش الى ايام عبد الملك بن مروان ، وله كتاب « الملوك وأخبار الماضين » وطبع في حيدر آباد عام ١٣٤٧ هـ [١] .

وكان من القصاصين في عهد بني أمية وهب بن منبه (١١٤ هـ : ٧٣٢ هـ) .

وكان أبو مخنف الأزدي أول من صنف في أخبار الفتوح والخوارج وأيام العرب [٢] وعني الأمويون بعلم الأنساب [٣] عناية شديدة .

(١) ١ : ٢٥٠ بروكلمان – تاريخ الأدب العربي .

(٢) ١ : ٢٥٣ بروكلمان – تاريخ الأدب العربي .

(٣) راجع كتاب انساب الاشراف للبلاذري، وانساب العرب للسمعاني، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ، ومعجم قبائل العرب لكحالة ، وكتاب « كنز الأنساب ومجمع الآداب » للشيخ حمد بن ابراهيم الحقيل (جزءان) .

ثم جاءت طبقات كتاب السيرة النبوية : الواقدي (٢٠٠ هـ) [٤] ، وابن سعد (٢٣٠ هـ) ، وابن هشام (٢١٨ هـ) ، وغيرهم ، وعلى أيديهم انتقل التأليف في التاريخ الى عمل علمي منظم .

وتلاهم الامام الطبري (٣١٠ هـ) فألف تاريخه الكبير « تاريخ الأمم والملوك » ورتبه على حسب السنين .

ثم جاء المسعودي (٣٥٤ هـ) صاحب كتاب مروج الذهب وغيره من أمهات كتب التاريخ .

وللامام الذهبي كتابه المشهور «تاريخ الاسلام»، وقد طبعت ستة اجزاء منه إلى عام ١٥٠ هـ ، ولا يزال باقيه مخطوطاً ، ويقع كله في ٢١ جزءاً .

ثم جاء ابن الأثير فألف كتابه « الكامل في التاريخ » ، وهو مطبوع في ١٢ جزءاً .

وألف ابن خلدون تاريخه الكبير في ٦ أجزاء ومقدمة هذا التاريخ تسمى « المقدمة » وهي مشهورة ..

ومن أشهر كتب التاريخ :

١ – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي – ١٠ أجزاء ، والعاشر منه ينتهي بعام ٥٧٤ هـ وقد طبع عام ١٣٥٩ هـ بالهند .

٢ – تهذيب تاريخ دمشق لبدران – ٥ أجزاء .

---

(٤) له كتاب « فتوح مصر » .

٣ — البدء والتاريخ للمقدسي (٣٥٥ هـ) — ٦ أجزاء .

٤ — تهذيب التهذيب لابن حجر (٨٥٢ هـ) — ١٢ جزءاً .

٥ — البداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤ هـ) — طبع في أربعة عشر جزءاً في سبعة مجلدات .

٦ — حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة للسيوطي (٩١١ هـ) — في جزءين .

٧ — شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد والحنبلي (١٠٨٩ هـ) — ٨ أجزاء .

٨ — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (٨٤٥ هـ) . — جزءان .

٩ — تاريخ الجبرتي — ٤ أجزاء كبيرة .

١٠ — تاريخ الأمم الاسلامية لمحمد الخضري — ٣ أجزاء .

١١ — الحلل السندسية — في الأخبار والآثار الأندلسية ، لشكيب ارسلان — ٣ أجزاء .

١٢ تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان — ٥ أجزاء — ترجمة أمين فارس ومنير بعلبكي .

١٣ — حاضر العالم الاسلامي ، تأليف ستودارد الأمريكي ، وتعريب عجاج نويهض ، وتعليق شكيب ارسلان .

١٥ — التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية — احمد شلبي — ٥ أجزاء .

ومن المؤرخين المعاصرين : حسن ابراهيم حسن ، وفيليب حتي .

تاريخ الاسلام السياسي :

صاحبه هو حسن ابراهيم حسن، ويبحث في التاريخ الاسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، وقد ظهر منه أربعة أجزاء .

تاريخ العرب المطول :

صاحبه هو فيليب حتي استاذ التاريخ بجامعة برنستون في الولايات المتحدة ، وقد طبع في ٣ أجزاء .

تاريخ الجزيرة العربية السعودية :

وفيه ألفت كتب كثيرة من أشهرها :

١ – المناسك للإمام الحربي .

٢ – صفة جزيرة العرب – للهمداني .

٣ – الاكليل – للهمداني .

٤ – أخبار مكة للأزرقي (٢٤٤ هـ)

٥ – قلب الجزيرة العربية لفؤاد حمزه .

٦ – صحيح الأخبار لابن بليهد .

٧ – خمسون عاماً في جزيرة العرب لحافظ وهبه .

٨ – في ربوع عسير لعمر رفيع .

٩ – تاريخ مدينة جدة لعبد القدوس الانصاري .

١٠ – بين التاريخ والآثار لعبد القدوس الانصاري .

١١ – آثار المدينة المنورة . لعبد القدوس الأنصاري .

١٢ – شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للمؤرخ الفاسي ، وقد قمت بتحقيقه ونشره في جزءين كبيرين ، على نفقة معالي الشيخ محمد سرور الصبان ، وباشراف مكتبة – فدا في مكة المكرمة .

١٣ العقد الثمين في تاريخ البلد الامين للفاسي – مخطوط ومنـــه نسخة بدار الكتب المصرية في ثمانية مجلدات – وقد طبع فى ثمانية – مجلدات منذ أعوام على نفقة معالي الشيخ محمد سرور الصبان .

١٤ – افادة الأنام للغازي المكي .

١٥ – الدرة الثمينة بأخبار المدينة للنجار ، وأخبار مكة للنجار أيضاً .

١٦ – أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ، والقرى لقاصد أم القرى للطبري .

١٧ – مرآة الحرمين لرفعت باشا .

١٨ – اتحاف الورى بأخبار أم القرى لنجم الدين عمر بن فهد .

١٩ – افادة الأنام ، وأخبار الكرام ، بأخبار المسجد الحرام . وتحصيل المرام في أخبار البيت الحرام للصباغ المكي .

٢٠ – تاريخ عمارة المسجد الحرام ، وتاريخ الكعبة المعظمة لباسلامة بتحقيق الشيخ عمر عبد الجبار .

٢١ – تاريخ ابن غنام عن نجد المسمى بروضه الأفكار والأفهام ، ويقع في جزءين .

٢٢ – عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر .

٢٣ – الاعلام بأعلام بيت الله الحرام للقطبي .

٢٤ – اتحاف فضلاء الزمن للفضل الطبري .

٢٥ – منائح الكرم للشيبي .

٢٦ – خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام ، للسيد دحلان ، وللشيخ محمد نصيف كتاب في الرد عليه .

٢٧ – ذيل الاعلام لعبد الكريم بن محب الدين .

٢٨ – الاعلام بأعلام بيت الله الحرام للنهرواني .

٢٩ – تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي – في تسعة أجزاء .

٣٠ – قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي لخفاجى وعبد الله عبد الجبار .

٣١ – الحياة الأدبية في العصر الجاهلي من تأليف محمد عبد المنعم خفاجى .

٣٢ – الرحلة الحجازية للبتنوني ، ورحلة الحجاز لعبد القادر المازني .

٣٣ – في منزل الوحي لهيكل .

٣٤ – تاريخ مكة للسباعي .

٣٥ – التاريخ القويم لطاهر الكردي – صدر منه ٤ أجزاء .

٣٦ – بحث عـــن المعادن والمناجم القديمة في الجزيرة العربية بقلم محمد عبد المنعم خفاجى – مخطوط .

٣٧ – العرب قبل الاسلام لجورجي زيدان .

٣٨ – تاريخ البلاد العربية السعودية ، منير العجلاني .

٣٩ – أسماء جبال تهامة وسكانها – عرام السلمي .

٤٠ – تاريخ نجد لفلبي – تعريب الديراوي .

٤١ – الجزيرة العربية لمصطفى الدباغ .

٤٢ – جغرافية شبه جزيرة العرب لكحاله .

٤٣ – ملوك العرب – أمين الريحاني .

٤٤ وللقطبي كتاب في تاريخ آل عثمان يتحدث فيه عن اعمالهم في الحرمين .

٤٥ – عبد العزيز في التاريخ – تأليف العلامة الشيخ حمد بن ابراهيم الحقيل .

٤٦ – صقر الجزيرة العربية للعالم الأديب السعودي الكبير أحمد عبد الغفور عطار .

٤٧ – العالم العربي – نجلاء عز الدين – مصر .

٤٨ – جزيرة العرب في القرن العشرين – حافظ وهبة – مصر ١٩٤٦ م .

٤٩ – الامام العادل – عبد الحميد الخطيب – البابي الحلبي ١٩٥١ م .

٥٠ – المغانم المطابة في معالم طابة – الفيروز أبادي – تحقيق حمد الجاسر .

٥١ – بلاد العرب – الاصفهاني – تحقيق – حمد الجاسر وصالح العلي .

٥٢ – مدينة الرياض – حمد الجاسر .

٥٣ – رحلة الى بلاد نجد – ليدي آن بلنت .

٥٤ – نبذة تاريخية عن نجد – ضاري الرشيد .
٥٥ – تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد – ابراهيم بن عيسى .
٥٦ – أرض المعجزات – بنت الشاطىء – اقرأ عدد ١٠٤ .
٥٧ – بلاد ينبع – حمد الجاسر .

الفصل العاشر

التراث والمكتبة

اولاً _ التراث

١ - يطلق التراث في البحث على الكتب المخطوطة التي لم تطبع بعد في جميع مواد الثقافة العربية والاسلامية .

وكتب التراث في البحوث الأدبيـة تشمل كل المخطوطات في شتى موضوعات الدراسة الأدبية وهذه المخطوطات موزعة في شتى مكتبات البلاد العربية والاسلامية ومكتبات أوربا وأميركا ، ومعرفتنا بها ممكنة عن طريق فهارس هذه المكتبات ، وعـن طريق مجلات المخطوطات المتخصصة كمجلة معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، وعن طريق كتاب بروكلمان « تاريخ الأدب العربي » .

وكتب التراث في البحوث الأدبية قد يكون فيها كتب على جانب كبير من الأهمية ، وقد يكون فيها كتب لم تعرف قيمتها بعد ، ولذلك يجب البحث عنها في كل مكان ويجب تصويرها وايداع صورها في دور الكتب العلمية في بلادنا العربية ، وهذه مهمة جامعة الدول العربية وجامعاتنا العربية المختلفة ، والهيئات الثقافية في العالم العربي ، كمجالس الفنون والآداب ، وكمجامع اللغة العربية في مختلف البلاد العربية ، وكوزارات

الثقافة والتربية والتعليم فيها. ومن المهم أن تعرف أن بعض المتخصصين يطلق التراث على الكتب القديمة التي ألفت قبل العصر الحديث مخطوطة أو مطبوعة.

٢ – ولقد عني بالتراث مؤتمر الأدباء السابع الذي انعقد في بغداد في اليوم الثاني من صفر ١٣٨٩ هـ (١٩ ابريل – نيسان ١٩٦٩) ، فطرح موضوع « توثيق الارتباط بالتراث العربي» على بساط البحث ، مع موضوعات أخرى .

وقد اشترك الأديب العربي السعودي الاستاذ عبد العزيز الرفاعي في المؤتمر ، وألقى محاضرة فيه ، طبعت ضمن مطبوعات المؤتمر ، ثم طبعت على حدة مستقلة في كتاب صغير بعنوان « توثيق الارتباط بالتراث العربي » .

ويرى الرفاعي أن هذا الموضوع موضوع حيوي وثيق الصلة بحاضر الأمة العربية ، فوق انه وثيق الصلة بماضيها ، ويرى ان اليهود هم الذين وضعوا الاسرائيليات ودسوها في تراثنا القديم منذ القرن الأول الهجري، وأن الحراس على تراثنا خاضوا معركة عنيفة في الدفاع عن هذا التراث في القديم . وفي ايجابية التراث العربي يقول الرفاعي في كتابه « لقد كان تراثنا مطلاً على العالم ، فأخذ عن الفرس والهند واليونان ، وأخذ في مستهل هذا القرن من الحضارة الحديثة ، ولكنه على الرغم من اتصاله بأنواع من التراث ظل الى عهد قريب ذا وجه عربي محض ، محتفظاً بخصائصه وطابعه وشخصيته ، ويقول أيضاً : انه لم يكن تراثنا مطلاً على العالم متجاوباً مع تراث الانسانية فحسب بل لقد كان أيضاً مؤثراً في التراث الانساني ، وحسبه هذا دليلاً على عبقريته واصالته وتوفر روح الابداع فيه ..

بل حسبي أن أذكر بالتجربة الأخيرة التي مر بها التراث العربي حين

قدم أروع دليل على اصالته الفكرية وقدرته على التطور حتى كان هو القاعدة الأولى التي تقوم عليها الثقافة ..

هذه التجربـــة هي تجربة الأدب المهجري ، أو أدب المهجر في الأمريكتين .. ألم تذهب فئة قليلة من الأدباء العرب ثم تضع في قلب الدنيا الجديدة أدباً عربياً جديداً، أضاف الى تراثنا الأدبي ثروة رائعة ..

لقد كان الأدب العربي هناك جزيرة صغيرة جداً يحيط بهـــا محيط واسع هـــو محيط الثقافة الغربية ومع ذلك فقد احتفظت تلك الجزيرة باستقلالها وشخصيتها ، وخرجت بأدب عربي بارز الملامـــح في شعره ونثره ..

كيف حدث ذلك ؟ .. الجواب يسير ، لقد انطلق مؤسسو الأدب العربي في المهجر من لغتهم أولاً ، ومن ثقافتهم العربية أولاً ، وعرفوا مشاهير شعرائهم وآدابهم أولاً ، والا لاستحال على أي منهم أن يبدع أدباً عربي السمات ، ومع ذلك فقد كان لكل منهم روافده من الأدب الغربي .. أو من الأدب الشرقي ، سيان ..

ومنذ عهد ليس بالبعيد، قام رواد الفكر العربي في العصر الحديث، الذين مثلوا طلائع النهضة الأدبية والفكرية ، بعمـــل فكري مزدوج ، حققوا بـــه الهدفين الكبيرين ، أعني احيـــاء التراث العربي وتحبيبه الى الأجيال التالية ، والأخذ بروائع الفكر الانساني ، في غير ما اسراف ولا التصاق ولا استذابه .. وقد تعاونت في ذلك الأقطار الرائدة في مصر والشام والعراق ولبنان ..

وكان السر في نجاح هؤلاء الرواد ، ونجاحنا بهم ، أنهم انمـــا كانوا يرتكزون على ثقافة عربية قوية ، وان اتصالهم بالثقافات الأخرى ، انما

كانت عملية رافدة ، وليست المنبع الأول ...

استعرضوا اذا شئتم أسماء هؤلاء الرواد ، تجدوهم انما ينتمون في ثقافتهم الأولى ، الى معاهد ذات اصالة في الثقافة العربية .. وتجدوهم أيضاً قد استرفدوا الثقافات الجديدة .. بحيث لم تطغ على الاصالة العربية المتميزة .. وكل [1] أمة تحرص على أن يكون لها كيان خاص وشخصية بارزة المعالم ، لا بد وأن ترتكز على تراث .. تستمد منه عزيمتها ، وتلتف حوله ، وتنطلق من مركزه ، وتبلور مستقبلها على قواعده .. وهذه العوامل كلها ، انما تشكل بالتالي عناصر قوة واتحاد .. وعناصر القوة والاتحاد هي من دعائم النصر في المقدمة .. وان حافزاً قوياً أشد ما يكون من القوة، ليحفز الأمة العربية الى أن تطلب النصر ، بعدما لحقها من هزائم .. وبعد أن تكالبت عليها غزوات السلاح ، وغزوات الفكر .. بيد أن الأمة الأصيلة لا تفل النكبات من عزمها ، ولا تسلمها الى اليأس القاتل ، ذلك لأنها تستمد من تاريخها ، ومن اصالتها ، قوة للجلاد والكفاح ، وتاريخ الأمة العربية مليء بقصص الصراع والمقاومة والثبات .. وعلى سبيل المثال أذكر المحاولات الكبيرة التي بذلت للنيل من اللغة العربية ، ولا بعادها عن دورها الحضاري ، ولقطع الصلة بين الناطقين بها وبين ماضيهم ، وبين تراثهم الاسلامي .. بل بينهم وبين القرآن الكريم المصدر الأول للشعاع والهدى والتشريع .. أو تحويلها الى لغة أثرية تتردد في المساجد والمحافل الدينية فحسب !

وفي توثيق الأديب بتراثه يقول الرفاعي في كتابه [2] أيضاً :

....

(١) ص ٤ توثيق الارتباط بالتراث العربي – عبد العزيز الرفاعي – الطبعة الثانية رجب ١٣٨٩ هـ – سلسلة المكتبة الصغيرة ، وقد ظهر منها للاديب السعودي الكبير عبد العزيز الرفاعي هذا الكتاب ، وكتاب « جبل طارق » ، وكتاب « خمسة ايام في ماليزيا ».

(٢) ص ٢١ من كتاب « توثيق الارتباط بالتراث العربي » – الرفاعي ...

اذا أردنا أن نعمل على توثيق الأديب بتراثه .. فان نقطة الارتكاز الأولى ستكون التعرف الى هذا التراث ، وتحبيبه الى النفوس ، وتعويد الأجيال الجديدة عليه ، وتقريبه اليهم ، والعناية بالكلمة العربية ، والاستعمال العربي ، والاصطلاح العربي ، واصطناع مسميات عربية – كلما أمكن – لمستحدثات الحضارة ، والتمكين للغة العربية لكي تكون لغة للعلوم ، ولتحتل محلها من جامعاتنا ومعاهدنا ، وسط حركة التعريب ، واحياء روائع الفكر العربي القديم ، والعناية به اخراجاً وتصحيحاً وتدقيقاً ، وتوحيد الجهود العاملة في هذا الحقل ، واستثمارها على خير الوجوه .. والعمل على ابراز بطولاتنا ، والمثل الصالحة من أبطالنا ، وقصص تضحياتنا ، وتسخير كل وسائل اعلامنا لخدمة التراث العربي عن طريق الصحيفة والمجلة والكتاب والاذاعة والتلفزيون والأندية والمحافل والاجتماعات واحياء ذكرى اعلامنا .. وان يتعاون في ذلك البيت والمدرسة والمجتمع ، وقبل ذلك وبعده ، أن تخطط لتوثيق ارتباط الأجيال بتراثنا ، تخطيطاً شاملاً مدروساً .

وما أحفل الأدب العربي وتراثه بقصص الفروسية والبطولة ، وما أغناه بأحاديث البطولات ، والأبطال ، واحاديث الكفاح والصراع والمقاومة ، لقد بهرت شجاعة العرب العالم ذات يوم ! .

وليس من شك في أن روح البطولة الكامنة في النفس العربية ، تحتاج الى ايقاظ وتعبئة وتحميس.. ولم أذهب بعيداً ؟ وها هي قصص الفدائيين ملء الأذن والعين .. وما على رجال الفكر الا أن يغذوا مثل هذا الاتجاه البطولي .. لتحويل الشعب العربي في كل مكان الى شعب فدائي ، يستسهل الموت لتحقيق عزته وكرامته واستعادة أرضه ..

هذا رأي أديب موهوب كبير ، يحتل منزلة عالية في الأدب

السعودي وهو الاستاذ عبد العزيز الرفاعي : الذي اشتهر بأعماله الأدبية. وقد ولد عام ١٣٤٢ هـ ونشأ بمكة .

فنال الابتدائية من المدرسة العزيزية بمكة المكرمة .

تخرّج من المعهد العلمي السعودي عام ١٣٦٠ هـ .

عمل مدرساً لمدة عام ، ثم انتقل الى جهاز المديرية العامة للمعارف ، قبل أن تصبح وزارة .

وفي عام ١٣٦٥ هـ انتقل إلى وظيفة سكرتير بشرطة العاصمة بمكة المكرمة .

وفي عام ١٣٦٧ هـ انتقل الى ديوان النيابة، حيث ظل يعمل به حتى اليوم ، بعد أن اصبح الآن ديوان رئيس مجلس الوزراء .

يكتب مقالاته في الصحف منذ تخرجه ..

وفي عام ١٣٨٩ ، أخذ يصدر كتيبات المكتبة الصغيرة فأصدر منها رسالتين .

وشارك في بعض المؤتمرات الأدبية فحضر مؤتمر بيت مري الأول ، ومؤتمر الكويت الثالث ، ومؤتمر بغداد السابع .

وقد كتبت عنه فصول نقدية عديدة ، وسجلت له مجلة المنهل في عددها الخاص بتراجم الأدباء في المملكة السعودية — نوفمبر ١٩٦٦ — رجب ١٣٨٦ هـ قصيدة رائعة بعنوان .. كانت جميلة ..

٣ — ان علينا أن نرجع الى التراث ، ونستمد منه ، ونأخذ عنه ،

ونجدد وفق أصوله فتراثنا الأدبي القديم والحديث صورة واضحة للفكر العربي في مختلف عصوره وأجياله ، الفكر الذي طالما مثل اعظم شريعة ، وأروع نهضة ، وأرفع حضارة ، واسمى مبادىء ، وأجـــل ثقافة ، الفكر الذي كان العالم كله يتلفت اليه ، ويخشع لديه ، ويحيــا عليه ، ويسمو الى ضوء نهاره المشرق المسفر ، الفكر الذي كانت له مكانته من حركات التجديـــد والبناء ، وكانت له منزلته الجليلة وريادته النبيلة للامم والشعوب والنهضات .

تراثنا الأدبي يمثل حقاً كل معالم تاريخنا وقوميتنا وشمائرنا ومشاعرنا وآلامنا وآمالنا ويمثل ميولنا وأذواقنا وعواطفنا ، وهو جزء من كياننـا وثقافتنا ، لا غنى لنا عنه ، ولا ملاذ لنا سواه .

إن تراثنا الأدبي اضخم اصل من اصول شخصيتنا الحرة الطموح ، ومن عجب ان تزرى طائفة من المثقفين فينا بهذا التراث الأدبي الخالد ، وتطرح قيمه ومثالياته ، وتنادي باتخاذ الأدب الغربي نموذجاً ننسج على منواله ادبنا وثقافتنا وفكرنا .

أليس في هذه الدعوة امتهان لكرامتنا ، واذلال لنفوسنا وتاريخنا ورمي للفكر العربي بالجمود والنضوب ، هذا الفكر الذي ارتفع بالاسلام وسما بالقرآن ، ونبل بمدنية الشرق وحضارة المسلمين .

اننا في حاجة للرجوع الى هذا النبع الرقراق ، والمنهل العذب ، والغدق النمير ، من اجـــل ثقافتنا وتفكيرنا وجوانب حياتنا الروحية والأدبية ، والله ولي التوفيق .

ثانياً _ المكتبة [1]

١

يجب على الطالب أن يعرف — حين يدخل المكتبة كيف يهتدي الى الكتاب المطلوب بسهولة ويسر ، ولكي نسهل عليه الأمر نرشده الى المعلومات الآتية :

١ — في كل المكتبات المنظمة فهارس بأسماء المؤلفين مرتبة حسب حروف المعجم فعمر في قسم العين ومحمد في قسم الميم — وبعض المكتبات تلاحظ الحرف الأول والثاني في الترتيب ، فاسم عامر يوضع في أول حروف العين (ع . أ) ، وعمر يوضع في أواخر حرف العين (ع . م) ومحمد يوضع قبل محمود ، ومحمود يوضع قبل منصور ، ومصطفى يوضع بعد محمد ، ومدثر قبل مصطفى وهكذا .

وأكثر المكتبات تبدأ بحرف (أ ب) ثم بحرف ابن ، وبعدها تسير في ترتيب المؤلفين بحسب حروف المعجم ، والبدء بأب ثم ابن ، مراعاة أيضاً لترتيب حروف المعجم الذي يوجب البدء بالألف ويرتب الكلمات المبدوءة بالألف ترتيباً أبجدياً بحسب الحرف الثاني (أ و أ — ثم أ فباء ، ثم أ فتاء ، فثاء ، فجيم الخ ... ،

(١) راجع الفصل الثامن من القسم الأول من هذا الكتاب .

وبعض المكتبات تقدم أولاً اسم محمد قبل أب وابن ، تيمناً بالاسم ولكثرته

٢ – وفي المكتبات أيضاً فهارس بأسماء الكتب مقسمة بحسب الفنون (علم الفقه ، علم التفسير ، علم الحديث ، علم الأصول ، علم التوحيد ، علم الأدب ، علم اللغة ، علم النقد ، علم التاريخ ، التراجم ، السير) الخ ...

٣ – وبعض المكتبات تفرد مخطوطاتها بفهرست خاص ، والمطبوعات بفهرست خاص ، والدوريات – أي المجلات والصحف – بفهرست خاص .

ومن ثم يمكن للذي يريد كتاباً من مكتبة أن يكشف عنه في فهرس المؤلفين ، أو يكشف عنه في فهرس الكتب والفنون .

٢

ويسمى العلم الذي يبحث في شئون المكتبات « علم الوثائق والمكتبات » ، باعتبار أن الوثائق التاريخية والسياسية والاقتصادية ، ومنهـــا المذكرات اليومية للاعلام ، مما تفرد له المكتبات قسماً خاصاً فيها . والعلم الذي يبحث عن الكتب وقوائمها يسمى باسم « ببليوجرافيا » ويبحث كذلك هذا العلم في الفهارس القديمة للكتب ، وفي المراجع الحديثة عنها ، وفهارس المكتبات المعاصرة .

وقد صار علم المكتبات أحد العلوم الحديثة ، وتعنى المكتبة بصفة عامة بحفظ تراث الأمة الفكري ، وفي نشر الثقافة بين مختلف طبقات الأمة ، وتوفير المصادر والمراجع للدارسين والباحثين .

٣

وأشهر المكتبات القديمة مكتبة الاسكندرية القديمة التي أنشأها بطليموس الأول (٣٢٣ - ٣٠٩ ق م) ، وقد أحرقت في محاصرة قيصر داخل المدينة ، وما بقي منها أحرقه البيزنطيون والأقباط عند دخول العرب مصر عام ٦٤٠ م .

أما في الاسلام فقد ذاع تأليف الكتب [١] منذ أواخر العصر الأموي ، وانتشرت المكتبات ، ثم كان العباسيون أول من أنشأ المكتبات بالمعنى الحقيقي [٢] ، وصار نسخ الكتب حرفة تسمى « الوراقة » يحترفها كثير من أهل الفضل والأدب والعلم ، وأشهر المكتبات في العصر العباسي : بيت (دار الحكمة) ببغداد التي أسسها الرشيد - مكتبة المأمون وكانت جزءاً من بيت الحكمة - مكتبة سابور بن أردشير أنشئت عام ٩٩١ م وقد أحرقها السلاجقة - مكتبة المدرسة النظامية التي احرقت في الفتح المغولي سنة ١٢٥٨ م .

ومن أشهر المكتبات في الاندلس المكتبة المستنصرية بقرطبة التي أنشأها الحكم المستنصر بقرطبة (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) .

وفي مصر أسس الحاكم الفاطمي عام ٣٩٥ هـ : ١٠٠٥ م دار الحكمة في القاهرة ، [٣] ، وألحق بها مكتبة أطلق عليها دار العلم .

---

(١) قيل : أول من ألف من المسلمين في الحجاز هو ابن جريج (١٥٥ هـ) ، وفي البصرة ابن أبي عروبة - كما ورد في « العبر » للذهبي .

(٢) ١٦ المكتبة في العالم العربي - عمر حمدي .

(٣) ضاهى بها دار الحكمة في بغداد ودار الحكمة في قرطبة ودار الحكمة في القيروان .

والمكتبات الحديثة كثيرة في جميع البلاد العربية والاسلامية . وكانت المكتبات معروفة في الاسلام منذ أواخر العصر الأموي ...

وفي عصر الدولة العباسية انشئت المكتبات الضخمة في بغداد [١] والقاهرة ودمشق ، وقرطبة واشبيلية ، وفي القيروان وفاس وفي مكة والمدينة وحلب ، وفي جرجان والري وأصفهان وشق عواصم الملك الاسلامي .

وكانت المكتبات مكاناً للعلم والدراسة والقراءة والتأليف والترجمة والمحاضرة وغير ذلك من الأهداف التي قصد اليها بانشائها .

وعني الأفراد بانشاء مكتبات خاصة لهم وتنافسوا في اقتناء المخطوطات النفيسة لها . وظل ذلك شعار الأمم الاسلامية حتى العصر الحديث ..

---

(١) يروى عـن أبي معشر البلخي (٢٧٢ هـ - ٨٨٦ م) أنه قصد إلى الحج ، فمرّ بناحية كركر من نواحي القفص القريبة من بغداد بضيعة لعلي بن يحيى بن المنجم (٢٠١ - ٢٧٥ هـ) ، وفيها قصر جليل ، يحتوي على خزانة كتب عظيمة ، كان يسميها « خزانة الحكمة » ، يقصدها الناس من كل بلد ، فيقيمون فيها ؛ ويتعلمون منها صنوف العلم والكتب . مبذولة في ذلك لهم ، والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى ، فقدم أبو معشر المنجم من خراسان يريد الحج ؛ فوصفت له الخزانة ، فمضى ، ورآها ، فهاله أمرها ، وأقام بها ؛ وتعلم منهـا علم النجوم (٥ : ٤٦٧ معجم الأدباء لياقوت - نشر مرجليوث) .

القسم الثالث

المكتبة التاريخية والجغرافية

تصدير

١

للعلماء المسلمين منذ بدء تدوين العلوم الاسلامية والعربية حتى اليوم آثار كبيرة ، ومؤلفات جليلة ، في علمي التاريخ والجغرافيا ، رأينا أن من الضروري أن يلمّ بها الطلاب الماماً كافياً ، حتى يعرفوا فضل العرب والمسلمين وآثارهما في هذين العلمين ..

ودراسة ماضي العلماء المسلمين وجهودهم في علمي التاريخ ، والجغرافيا ، جزء متمم لدراسة مصادر البحوث من جانب وهي ضرورة علمية تقتضيها الدراسة الجامعية في كلية اللغة العربية من جانب آخر .. وفيها كذلك وقوف على مآثر علمائنا السالفين في هذين العلمين .. وهي كذلك تبين بوضوح فضل الحضارة الاسلامية على العلم وعلى العالم والانسانية عامة ، وسبق العلماء المسلمين في الكشف عن كثير من الحقائق التاريخية — والجغرافية — التي كانت مجهولة ، والتي لم يصل العلم والعلماء في أمة من الأمم الى الكشف عنها قبلهم ، والتي كانت نواة للعلوم والبحوث الحديثة في أوربا بعد عصر النهضة .

٢

وعلما التاريخ والجغرافيا يطلق عليهما اسم المواد الاجتماعية حيناً لصلتهما

بالمجتمع الذي يعيش فيه الانسان ، ويطلق عليها اسم « العلوم الانسانية » حيناً آخر لصلتها بالجانب الإنساني العام الذي لا يخص بيئة ولا قوماً وحدهما بعنايته واهتمامه ودراساته .

وهما كذلك – في الثقافة العربية القديمة – من العلوم الأدبية لما يلي :

١ – أنها لا غنى عنها في تكوين ثقافة الأديب والناقد ، وهذا مما يتضح لنا في كتب : صبح الاعشى ، ونهاية الأرب وغيرهما ..

٢ – ولا غنى عنها في فهم النص الأدبي ، المتصل بزمانه ومكانه ، اتصالاً وثيقاً .

٣ – وكثير من نصوص الادب تتعلق بأحداث تاريخية ، أو بأوصاف للبيئة التي عاش فيها الأديب والشاعر، وذكر للأماكن التي ولد ونشأ فيها . وقد جهد ابن بليهد نفسه في كتابه « صحيح الأخبار » في الحديث عن الاماكن التي ورد فيها ذكر المعلقات . على أن طبيعة الدراسة الأدبية ، تقتضي دراسة المؤثرات العامة في الأدب ، وفي مقدمتها دراسة تاريخ العصر الأدبي الذي ندرسه ، ودراسة البيئة التي عاش فيها الأدب في عصر من عصوره .

٤ – وقد اهتم قدماؤنا بالتاريخ اهتماماً كبيراً وكتبوا فيه ، وتأنقوا في أساليبهم في مؤلفاتهم التاريخية ، حتى عدت مصادر كثيرة في التاريخ كتباً أدبية لأسلوبها الرفيع المتخير ، ومن منا لا يقف معجباً باسلوب ابن هشام في كتابه في السيرة النبوية ؟ وأسلوبه فيها من أرفع الأساليب الأدبية .

وكذلك كانت الجغرافيا ، أو علم تقويم البلدان ، من العلوم الأساسية

عند العلماء المسلمين ، للحاجة اليها في معرفة البلدان والمواضع والآثار ، وكتبوا فيها مؤلفات عديدة نابهة ، تدل على ذوق رفيع عال ، مما الحقها بكتب الأدب ومصادره ، ومن اجل ذلك سجل كراتشوفسكي المستشرق المشهور المتوفى عام ١٩٥١ مفاخر علماء الاسلام في علم الجغرافيا في كتاب سماه « تاريخ الأدب الجغرافي » ، وكتابه في مادته شبيه بكتاب المستشرق فستنفلد « أدب التاريخ عند العرب » .

ولمـــا تميزت الثقافة الأدبية وعلوم الأدب تميزاً واضحاً ، واستقلت بنفسها ، صارت مادتا التاريخ والجغرافيا من المواد المساعدة على اكتمال ثقافة الأديب ، وصارت ضرورية له ، ومعاونـــة له على فهم الأدب وتذوقه .. فاذا ما أردنا دراسة قصيدة ابي تمام في فتح عموريه :

السيف اصدق انباء من الكتب   في حدّه الحدّ بين الجد واللعب

كان لا بد لنا من دراسة هذا الحدث التاريخي العظيم الذي تمثل في النصر الحربي الكبير الذي نالته جيوش الخلافة العباسية في عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله (٢١٨ — ٢٢٧ هـ) على جيوش الامبراطورية الرومانية البيزنطية في سهول آسيا الصغرى عام ٢٢٣ هـ ، بالاستيلاء على قلعة عموريه حصن الروم المنيع ومسقط رأس الامبراطور البيزنطي .. وكان لا بد كذلك لنا من دراسة عموريه جغرافياً ، ومعرفة أهميتها الجغرافية التي جعلت فتحها دوياً عظيماً في العالم الاسلامي ، وجعلت أبا تمام يسجل هذا الحدث بقصيدة عدت من أشهر قصائده ، ومن مفاخر شعره .

وقد احتوت كتب التاريخ والجغرافيا القديمة على كثير من نصوص الأدب وتراجم اعلامه ، وعلى الكثير من المعارف عن الأدب وعلومه

وثقافاته ، مما نجده مثلاً في كتاب « مروج الذهب للمسعودي » [١] .

٣

ومن ثمّ فقد كتبت هذه الدراسة وعرضت فيها :

أولاً : لجهود العلماء المسلمين في علم التاريخ ، وما كتبوه فيه من مؤلفات مشهورة في شتى جوانب التاريخ وفروعه .

وثانياً : لجهودهم في علم الجغرافيا ، وما ألفوه فيه من كتب جليلة مأثورة ، في شتى فروع هذا العلم .

وبالله التوفيق .

---

(١) في عام ١٨٤٢ م حاول المستشرق فستنفلد وضع موجز ببليوجرافي للمؤلفات العربية في الجغرافيا (أي قائمة أو فهرس بالمراجع الجغرافية العربية) معتمداً في ذلك على كتاب كشف الظنون لحاجي خليفه . فأورد أسماء مائة وستة وعشرين مؤلفاً ، وهو رقم أقل من الحقيقة بكثير بلا ريب ..

المكتبة التاريخية عند العلماء المسلمين

تمهيد :

تشغل المكتبة التاريخية عند العلماء المسلمين جزءاً ضخماً من التراث العربي ، وتكاد المؤلفات في التاريخ وعلومه توازي المؤلفات في الأدب العربي في مختلف عصوره .

وقد خدم التراث التاريخي العربي الحضارة الانسانية عامة ، وأمدّ العالم بكل المعارف اللازمة للوقوف على حالة العالم وحضارته قبل الاسلام وبعده ، وللوقوف كذلك على تاريخ أمم الغرب والشرق في عصور حضارة الاسلام وهو تاريخ مجهول للأوربيين والشرقيين لم يكتب فيـــه قدماؤهم ، ولولا ما كتبه المؤرخون العرب فيه من معلومات لما امكن الوقوف على شيء منه .

والتاريخ فيه العبرة للحاضر من الماضي ، وفيه الوقوف على حضارات الأمم ومدنياتها ، ومعرفة تاريخ التطور البشري ، وسير الامم والشعوب والملوك في ماضيها وحاضرها ، وكان يسمى « علم الاوائل » أو « علم الاوائل والاواخر » .

وكان علم المغازي وأيام العرب من أجل العلوم عند المسلمين ، يتعلمه

الشباب ويدرسونه لما له من فائدة جلّى ، وكان « علم الطبقات وتراجم الرجال » من أهم العلوم عند العلماء . وحسبنا علم السيرة وهو فرع من فروع التاريخ ، وله اهميته القصوى عند كل مسلم ، ودراسته وتعلمه من أهم الجوانب في حياة كل مسلم .

وكان المؤرخون المسلمون وكتبهم تستولي على عقول الناس والبابهم لدقتها وصدقها وتوخي الامانة التاريخية فيها ، وتعدد مصادرها ، وكثرة تحليلها للأحداث ، ويذكر مؤرخ الحروب الصليبية بروتز أنه ليس في وسع العقل الاوربي في عصور حضارة الاسلام أن يقدم مثالاً يفضل مؤلفات العرب ، وأنه يكفي في هذا الشأن تصفح ما خلفه المؤرخون العرب ، ومقارنة ذلك بأحسن ما انتجه فن التاريخ في أوربا [1] .

أول المؤرخين العرب :

١ – يعد ابو مخنف بن يحيى الازدي أول من صنف في أخبار الفتوح وأيام العرب وأحاديث الخلفاء والولاة ، وذكر صاحب الفهرست أسماء خمسة وثلاثين كتاباً له ، واشتهر في دولة بني العباس ، وقد ذكره ياقوت في « معجم الأدباء » [2] ، وذكر انه توفي عام ١٧٥ هـ : ٧٧٤ م وينسب له كتاب « ذكر مقتل الحسين بن علي » وقد طبع في بومباي بالهند عام ١٣١١ هـ .

(١) ٢١ تاريخ الأدب الجغرافي العربي كراتشوفسكي .

(٢) ٦ : ٢٢٠ – ٢٢٢ معجم الأدباء – طبع مرجيليوث – وذكره اليعقوبي في تاريخه ٢ : ٤٨٦ ، وجعله من العلماء في عصر المهدي (١٥٨ – ١٦٩ هـ) .

فعلى هـــذا يعدّ « ابو مخنف » أول المؤرخين العرب ، كما كان ابن اسحاق (٨٥ — ١٥٢ هـ) أقدم كتاب السيرة النبوية ، والواقدي (٢٠٧ هـ) أقدم كتاب المغازي .

٢ — وهناك رأي ثان يصح أن نعتدّ به ، وهو ما يروى من أن عبيد بن شريّة الجرهمي وفد على معاوية بن أبي سفيان وكان قـــد استقدمه من صنعاء اليمن الى دمشق كما يذكر ابن النديم في الفهرست ، أو من مدينة الرقه كما يذكر بعض المراجع الأخرى ، وكان يروي أخبار ملوك العرب من لخم وغسان ، وقد رأى ايامهم ، وعاش الى خلافة عبد الملك بن مروان الاموي (٦٥ — ٨٥ هـ) ، وينسب اليه كتاب اسمه « كتاب الملوك وأخبار الماضين » [١] ، وكتاب « التيجان في ملوك حمير » واسمه « أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن واشعارها وأنسابها » [٢] .

وعلى هذا يكون عبيد أول المؤرخين العرب ، وقد جاء بعده وهب بن منبّه (١١٤ هـ : ٧٣٢ م) الذي ولد في صنعاء وتوفي بها وهو قاض عليها ، وله كتاب « التيجان في ملوك حمير » أيضاً ، والصحيح أن هذا الكتاب لابن هشام صاحب سيرة ابن هشام (توفي عام ٢١٨ هـ) وقد اعتمد فيه [٣] على روايات وهب بن منبه .

ولوهب أيضاً كتاب « المبتدأ » وقد ذكره المقدسي [٤] ... ومهما كان

---

(١) ذكر الهمداني المتوفى عام ٣٣٤ هـ : ٩٤٠ م أنه رأى منه نسخاً مختلفةأشد الاختلاف. وقال المسعودي في كتابه « مروج الذهب » بأنه معروف في زمانه مشهور في أيدي الناس (٤ : ٨٩ مروج الذهب) — وهذا الكتاب مطبوع في حيدر آباد عام ١٣٤٧ هـ .

(٢) راجع : الفهرست لابن النديم ص ٨٩ ، ومعجم الأدباء لياقوت ٥ : ١٠ — ١٣ .

(٣) مطبوع في حيدر آباد عام ١٣٤٧ .

(٤) ١١٥ أحسن التقاسيم .

فان أبا التاريخ في اللغة العربية على هذا يكون هو عبيد الجرهمي ، ثم تلاه وهب بن منبه ، ثم أبو مخنف .

وقـــد اهتم عروة بن الزبير (٩٤ هـ) وأبان بن عثمان بن عفان (٨٥ هـ) – بالمغازي والسير ، كما ألف ابن شهاب الزهري (١٢٤ هـ) في المغازي .

اوائل المؤلفين في السيرة :

١ – كتب العلماء المسلمون المحققون في السيرة النبوية من بعد وفاة الرسول – ﷺ – حتى اليوم كتباً كثيرة ، بلغت من الشهرة والدقـة والعمق والتحليل مبلغاً كبيراً .

والكتابة في السيرة النبوية والفتوحات الاسلامية كانت اظهر وأسبق الكتابات التاريخية عند العلماء المسلمين، منذ بدء عصر التدوين في النصف الأخير من العهد الأموي وما تلاه من عصور ، ولا يكاد يخلو كتاب تاريخي اسلامي من التعرض للسيرة النبوية بالدراسة .

وحين جمع حديث رسول الله (ص) في عهد عمر بن عبد العزيز في كتاب أفرد باب من ابوابـــه باسم « المغازي والسير » وصنع ذلك المحدثون ..

وجاء المؤرخون للسيرة النبوية ، فألف بعضهم كتباً في المغازي ، وألف آخرون كتباً في السيرة .

وأول من كتب في السيرة النبوية عروة بن الزبير (٢٣ – ٩٤ هـ) ، وتلاه: عاصم بن قتادة المدني الانصاري (١٢٠ هـ) ، ومحمد بن مسلم بن

شهاب الزهري [1] (٥١ – ١٢٤ هـ) ، وعبـــد الله بن أبي بكر بن حزم الانصاري (١٣٥ هـ) ، وتلاهم : محمـــد بن اسحاق شيخ . كتاب السيرة (٨٥ – ١٥٢ هـ) [2] ، وسيرتـــه اصل لكتاب ابن هشام ، والواقدي (٢٠٧ هـ) الذي ألف كتاب المغازي ، ومحمد بن سعد صاحب كتاب « الطبقات الكبرى » (٢٣٠ هـ) في طبقات الصحابة والتابعين ، وعبـــد الملك بن هشام (٢١٨ هـ) صاحب كتاب « سيرة ابن هشام » المشهور ، وهو أقدم كتاب في السيرة وصل الى ايدينا .

الطبقات الكبرى لابن سعد :

من اهم المصادر التاريخية واقدمها ، مؤلفه هو محمد بن سعد بن منيع الزهري (١٦٨ – ٢٣٠ هـ) ، واسم الكتاب طبقات الصحابة والتابعين أو « الطبقات الكبرى » وهو ثمانية اجزاء :

١ – الأول في السيرة النبوية .

٢ – والثاني في المغازي .

٣ – والثالث في تراجم البدريين من الصحابة .

٤ – والرابع في تراجم الانصار والمهاجرين ممـــن لم يشهدوا بدراً وأسلموا قبل فتح مكة .

٥ – والخامس في تراجم اهل مكة من التابعين ، ومن كان منهم ومن الصحابة في مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين .

---

(١) له كتاب في بالمغازي مفقود .

(٢) له كتاب « فتوح مصر واعمالها » طبع في مصر عام ١٢٧٥ هـ .

٦ – والسادس : في تراجم الصحابة من الكوفيين .

٧ – والسابع : في تراجم الصحابة من البصريين .

٨ – والثامن : في تراجم الصحابة من النساء .

وللكتاب اهمية كبرى في كل ما يكتب عن الاسلام وتاريخ المسلمين الى نهاية القرن الأول الهجري ، وفيه كثير من المعلومات التاريخية ، عن العصر الجاهلي .

سيرة ابن هشام [١] :

تناول ابو محمد عبد الملك بن هشام (٢١٨ هـ) في كتابه « سيرة النبي صلى الله عليه وسلم » ، وهو المعروف بسيرة ابن هشام نسب الرسول صلوات الله عليه ، وحياته منذ مولده الى بعثته ، ومن بعثته الى الهجرة النبوية ، ومن الهجرة الشريفة الى وفاته صلى الله عليه ، بمزيـــد من التفصيل والتحقيق والشرح ، معتمداً في ذلك على ما دونه العلماء قبله من روايات في السيرة النبوية ، وعلى سيرة ابن اسحاق (٨٥ – ١٥٢ هـ) ، وعلى القرآن الكريم والحديث النبوي ، وعلى مـــا تلقاه مشافهة من شيوخه في العلم ، وقد كان يقف امام الروايات المختلفة موقف الممحص والناقد والمحقق والمرجـــح ، مشيراً الى الآراء الصحيحه والاخبار المحققة .

وقد طبعت هذه السيرة طبعات كثيرة ، ويعتمد عليها كل المؤرخين كمصدر اساسي في سيرة رسول الله صلوات الله عليه .

---

(١) راجع ترجمة ابن هشام في وفيات الاعيان ١ : ٢٩٠ ، حسن المحاضرة للسيوطي ١ : ٢٥٤ .

أقدم كتب التاريخ بعد سيرة ابن هشام :

١ – لعل كتّاب السيرة كانوا اسبق المؤرخين الاسلاميين ظهوراً ، ولما تمّ لهم تدوينها اخذوا يكتبون في تاريخ مكة البلد الحرام . وتاريخ المدينة .

فكتب الازرقي (٢٤٤ هـ : ٨٥٨ م) كتابه اخبار مكة وجاء فيها من الآثار وهو مطبوع .

كما كتب الفاكهي (٢٧٢ هـ : ٨٨٩ م) كتاباً في اخبار مكة ايضاً ، ومنه مختارات جمعها وستنفلد المستشرق الالماني ، وطبعها في ليبزج عام ١٨٥٩، وقد تم طبعها اخيراً في بيروت .

وكتب محب الدين بن النجار (٥٧٨ – ٦٤٣ هـ) كتاب « الدرة الثمينة في تاريخ المدينة » .

ثم اخذوا يكتبون عن المدن الاخرى وفي مقدمتها بغداد (تاريخ بغداد لابن طيفور) وراجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي « ٤ اجزاء »[1] .

٢ ومن أقدم المؤدخين ايضاً : المدائني (٢١٥ هـ : ٨٣٠ م) ، ثم ابن

---

(١) ولمحب الدين بن النجار (٥٧٨ – ٦٤٣ هـ) ذيل تاريخ بغداد في ٣٠ مجلداً ولابن الدمياطي مختصر له سماه « المستفاد من تاريخ بغداد » مخطوط في دار الكتب المصرية ولابن عساكر الدمشقي (٥٧١ هـ) تاريخ دمشق ، طبع منه المجلد او ٢ و ١٠ بتحقيق المنجد ولعمر بن شبه (٢٦٢ هـ) كتاب اسمه « الجمهرة » ويحتوي على قصص تاريخية ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ولابن طيفور (٢٨٠ هـ) كتاب « تاريخ بغداد » ، وصلنا منه الجزء السادس في تاريخ المأمون ، وقد طبعه المستشرق كيلر الالماني في ليبسك عام ١٩٠٨ م ولعل من اقدم المصادر التاريخية كذلك كتاب تاريخ العرب للامام الاصمعي (١٢٢ – ٢١٦ هـ) وهو مطبوع في بغداد بتحقيق الشيخ محمد آل ياسين .

عبد الحكم مؤرخ مصر (٢٥٧ هـ : ٨٧٠ م) وله كتب تاريخية عديدة منها فتوح مصر والمغرب والاندلس.

٣ — ويجيء بعد ذلك شيخ المؤرخين المسلمين الامام الطبري ، وهو عمدة المؤرخين الاسلاميين على الاطلاق .

أقسام المكتبة التاريخية الاسلامية :

تتناول مكتبة التاريخ الاسلامي ما يلي :

١ — ما كتب في السيرة النبوية ، وما يتصل بها .

٢ — ما كتب في طبقات الصحابة ، ويتصل بها ما ألف في الطبقات والوفيات والتراجم مضاهاة لكتب طبقات الصحابة .

٣ — ما كتب في التاريخ العام أو السياسي .

اولاً — كتب السيرة النبوية وما يتصل بها

١ – كتب قديمة في السيرة النبوية :

– الشفا في تعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٥٤٤ هـ) .

– السيرة لابن كثير المتوفى ٧٧٤ هـ ، وهي مثبتة ايضاً في كتابه التاريخي الكبير « البداية والنهاية » .

– الزهر الباسم في سيرة ابي القاسم للمؤرخ مغلطاي (٧٦٢ هـ) .

– عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس (٧٣٤ هـ) .

– المواهب اللدينة للقسطلاني (٩٢٣ هـ) .

– امتاع الاسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع في ستة مجلدات للمقريزي (٨٤٥ هـ) وهو مطبوع .

– السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) لنور الدين الحلبي المتوفى عام ١٠٤٤ هـ .

٢ – كتب تاريخية قديمة أفردت للسيرة النبوية فصولاً .

– تاريخ اليعقوبي (٢٧٨ هـ) .

– تاريخ الطبري (٣١٠ هـ)

– الكامل لابن الاثير (٦٣٠ هـ) مطبوع في تسعة اجزاء في مصر

وفي ثلاثة عشر جزءاً في اوربا مع الفهارس .

– تاريخ الاسلام للذهبي (٨٤٨ هـ) .

– البداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤ هـ) .

– الخميس في احوال أنفس نفيس للديار بكري (٩٩٠ هـ) .

– تاريخ ابي الفداء (٦٧٢ – ٧٣٢ هـ) .

– الرسالة الكاملية في السيرة النبوية لابن النفيس علاء الدين علي القرشي تحقيق بعض المستشرقين (مطبعة اكسفورد) .

– حجة الوداع لابن حزم والكتاب مطبوع بتحقيق ممدوح حقي .

٣ – كتب حديثة مؤلفة في السيرة النبوية :

– محمد رسول الله ، احمد تيمور باشا .

– الأنوار المحمدية للنبهاني .

– نور اليقين في سيرة سيدنا محمد سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري (١٩٢٤) .

– محمد المثل الكامل – ٤ مجلدات – محمد أحمد جاد المولى .

– الرسالة الخالدة ، وبطل الابطال – وهما كتابان لعبد الرحمن عزام .

– ثورة الاسلام وبطل الانبياء ، محمد لطفي جمعة .

– حياة محمد لهيكل (١٩٥٤) ، وله كتاب (في منزل الوحي) .

– محمد لتوفيق الحكيم (مسرحية) .

– عبقرية محمد للعقاد ، وله كتاب « مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية » .

– سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – بدأ به الشيخ شبلي النعماني ، وأتمه سليمان الندوي بالاوردية – نشر منه سبعة مجلدات حتى الآن – ولم يترجم الى العربية بعد .

– حياة خاتم المرسلين ، محمد فريد وجدي .

– حياة محمد ورسالته ، محمد علي الهندي ، ترجمه الى العربية عفيف البعلبكي .

– سيرة الرسول عليه السلام في جزءين ، محمد عزة دروزه ، وله كتاب « عصر النبي وبيئته قبل البعثة » .

– محمد لمحمد رضا .

– على هامش السيرة لطه حسين .

– محمد الثائر الاعظم لفتحي رضوان .

– فقه السيرة ، محمد الغزالي .

– فقه السيرة ، محمد سعيد رمضان .

– الرسول ، عبد الحليم محمود .

– انسانيات محمد ، خالد محمد خالد، وله كتاب «محمد والمسيح».

– أم النبي ، بنات النبي ، نساء النبي ، وهي لبنت الشاطىء .

– الرسول القائد ، لمحمود شيت خطاب .

– محمد القائد ، محمد عبد الفتاح ابراهيم .

– محمد المحارب ، محمد فرج.

– نساء محمد لسنية قراعه .

– نساء صنعن التاريـــخ لمزين حقي في نساء رسول الله وبعض الصحابيات .

– خديجة أم المؤمنين لعبد الحميد الزهراوي [1] .

– فلسفة تاريخ محمد لمحمد جميل بيهم .

– محمد الرسالة والرسول لنظمي لوقا .

– محمد رسولاً نبياً لعبد الرزاق نوفل .

– الآليه الاسلامية لاحمد محرم الشاعر (وهي ملحمـــة شعرية في السيرة النبوية) .

– محمد تأليف محمد رضا .

– سيرة سيد المرسلين – محمود ابو الفيض المنوفي (جزءان) .

– السيرة المحمدية الخالدة ، (العصر المكي) ، لاحمـــد عز الدين خلف الله .

– محمد رسول الحرية لعبد الرحمن الشرقاوي .

– عظمة الرسول ، محمد عطية الابراشي (جزءان) .

– السياسة الاسلامية في عهد النبوة ، لعبد المتعال الصعيدي .

---

(١) ولبثينة توفيق : خديجة أم المؤمنين .

ولطه عبد الباقي سرور : خديجة زوجة الرسول .

ـ محمد في طفولته وصباه لمحمد شوكت التوني[١] .

٤ ـ **كتب استشراقية في السيرة النبوية** :

ـ حياة محمد للمستشرق درمنغم ـ ترجمة عادل زعيتر .

ـ محمـــد رسول الله ؛ لناصر الدين دينيه (توفي عام ١٩٢٩) ولسليمان الجزائري ، ترجمة عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم .

ـ الاسلام الصراط المستقيم لجماعة من رجـــال الفكر الاسلامي ، باللغة الانجليزية وترجمه الى العربية محمود عبد الله .

ـ حوليات الاسلام لكانتاني الايطالي ـ بالايطالية عـــن السيرة والخلفاء الراشدين في ١٢ جزءاً ، لم يترجم الى العربية .

ـ المثل الاعلى في الانبياء بالانجليزية لخوجه كمال الدين ، ترجمة امين محمود الشريف .

ـ الابطال لكارلايل الانجليزي .

ـ محمد في مكة لمونتجومري وات (مترجم الى العربية) .

ـ حياة محمد ـ واشنجتون ارفنج ـ ترجمة الخربوطلي .

٥ ـ **كتب في المغازي** وما يتصل بها :

ـ المغازي للواقدي (٢٠٧ هـ) ، وهـو مطبوع بتحقيق جونس في

(١) كتب الاستاذ عبد الرحمن البليهي ثلاث مقالات في جريدة الدعوة التي تصدر بالرياض عن كتاب السيرة النبوية، وذلك في شهر شعبان ١٣٩٠ هـ، وهي مقالات مفيدة وجليلة، وكانت امامنا اثناء كتابة هذا البحث ، ولا شك انها تعد من المراجع التي يمكن الاستئناس بها في هذا الصدد .

دار المعارف بمصر حيث نشرته كلية اكسفورد .

ـ الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء للكلاعي ـ تحقيق مصطفى عبد الواحد .

ـ الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر (٤٦٣) هـ - تحقيق شوقي ضيف .

ـ فتوح الشام للواقدي (٢٠٧ هـ) ـ طبع طبعات كثيرة .

ـ فتوح الشام للازدي [1] (اواسط القرن الثاني الهجري) .

ـ فتوح البلدان للبلاذري (٢٧٩ هـ) ـ وهو مطبوع .

ـ فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (٢١٤ هـ) وهو مطبوع بتحقيق عبد المنعم عامر .

ـ وللواقدي كتاب فتح مصر والاسكندرية (طبع في ليدن ١٨٢٥).

ـ دروس من غزوة احد ـ عبد العزيز كامل .

ـ فتوح مصر واخبارها لابن عبد الحكم بتحقيق المستشرق الامريكي توري (طبع ليدن) ـ ولابن عبد الحكم كتاب في سيرة عمر بن عبد العزيز (طبع دمشق) .

ـ فتوح افريقية للواقدي وهو مطبوع في تونس في جزءين .

ـ الفتوحات الاسلامية لدحلان مفتي مكة ـ مطبوع في جزءين .

ـ معارك الاسلام الفاصلة لمحمد احمد باشميل .

---

(١) طبع في كلكتا في الهند عام ١٨٥٤ - في ٢٦٠ صفحة .

ـــ قادة فتح الشام ومصر ـــ قادة فتح بلاد فارس ـــ قادة فتح العراق والجزيرة ، قادة فتح المغرب العربي، وهي كلها لمحمود شيت خطاب.

ـــ الفتح الاسلامي في العراق والجزيرة لعبد الحميد حسين (طبع بغداد) .

ـــ حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول لشكري فيصل .

٦ ـــ كتب في تراجم الصحابة والتابعين .

ـــ الطبقات الكبرى لابن سعد (١٦٨ ـــ ٢٣٠ هـ) ثمانية مجلدات .

ـــ الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر القرطبي ـــ ٤ مجلدات مطبوع بتحقيق البجاوي .

ـــ حلية الاولياء لابن ابي نعيم الأصبهاني ـــ عشرة مجلدات ، وقد توفي ابن ابي نعيم عام ٤٣٠ هـ ، وقد اختصره ابن الجوزي (٥٩٧ هـ) في كتابه « صفوة الصفوة » الذي يقع في ستة مجلدات وهو مخطوط .

ـــ الاصابة في تمييز اسماء الصحابة لابن حجر ـــ ٤ اجزاء .

ـــ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير المحدث (٦٣٠ هـ) .

ـــ التجريد في اسماء الصحابة للذهبي (٧٤٨ هـ) في جزءين، مطبوع .

ـــ خريجو مدرسة محمد لابراهيم الواعظ (طبع بغداد) .

ـــ أصحاب محمد ـــ عبد الحليم عباس .

ـــ تراجم الصحابة ـــ محمود امين النواوي .

ـــ أبو بكر ـــ الفاروق ـــ عثمان بن عفان ، وهي كلها لمحمد حسين هيكل .

ـ أبو بكر ـ عمر ـ عثمان ، وهي كلها لمحمد رضا .

وبتأثير كتب طبقات الصحابة والتابعين ألفت كتب الطبقات في مختلف فروع العلم ، فهناك طبقات الصوفية ــ وطبقات الفقهاء ــ وطبقات اللغويين والنحويين ــ وطبقات الادباء ــ وطبقات الشعراء ــ طبقات الحكماء ، والاطباء وغيرهم كالقضاة والولاة من مثل : ولاة مصر للكندي ، وكتاب الولاة والقضاة للكندي أيضاً (٣٥٠ هـ) .

وتبع ذلك ظهور كتب الوفيات وفي مقدمتهـــا الكتاب الجليل « وفيات الاعيان » لابن خلكان (٦٨١ هـ) وهو في ثلاثة اجزاء ، والوافي بالوفيات للصفدي وقد طبعته جمعية المستشرقين الالمانية بعناية المستشرق ريتر ، فظهر منه أربعة اجزاء ، والمجلدان الخامس والسادس تحت الطبع .

ثانياً ـــ ما كتب في التراجم والطبقات

وقد ذكرنا ما يتصل بذلك على وجه الاجمال فيما مضى .

ثالثاً ـ ما كتب في التاريخ السياسي أو العام :

وقد ذكرنا جانباً منه فيما مضى .

كتب التاريخ السياسي الإسلامية

١ – أقدم هذه الكتب في اللغة العربية هو كتاب « الموفقيات » للزبير بن بكار (١٧٢ – ٢٥٦ هـ) – وهو قطع تاريخية ألفهـا لتلميذ « الموفق بن المتوكل العباسي » في تسعة عشر جزءاً ، وصل الينـا منها الاربعة الأخيرة (١٦ – ١٩)، وقد طبعها المستشرق وستنفلد في جوتنجن عام ١٨٧٨ م .

٢ – ويلي ذلك كتاب تاريخ اليعقوبي (المتوفى عام ٢٧٨ هـ) وهو مطبوع في أوربا والعراق في جزءين :

الأول في التاريخ القديم من آدم الى ظهور الاسلام .

والثاني في تاريخ الاسلام حتى زمن المعتمد على الله الخليفة العباسي عام ٢٥٩ هـ .

والكتاب مرتب حسب الخلفاء .

٣ – الأخبار الطوال للدينوري المتوفى عام ٢٨٢ هـ ، وهو أبـو حنيفة الدينوري احمد بن داود ، من أهل دينور ، وأهم ما وصل الينا من كتبه هو الاخبار الطوال في التاريخ العام ، وهـو شبيه بتاريخ اليعقوبي ، لكنه أوجز في التاريخ القديم ، ويمتاز بتوسعه في تاريخ بني أمية ، وبخاصة معاوية والخوارج والازارقة ، وينتهي التاريخ المذكور بوفاة المعتصم بالله عام ٢٢٧ هـ .

٤ ــ تاريخ الطبري ، والإمام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري هو شيخ المؤرخين الاسلاميين وأشهرهم على الاطلاق (٢٢٤ ــ ٣١٠ هـ) ، وكان اعلامة عصره ، وإمام زمنه ، وله مذهب في الفقه تبعه فيه جماعة من العلماء ، ويسمى « مذهب ابن جرير الطبري » .. وله تفسير جليل للقرآن الكريم في ثلاثين جزءاً ، وكذلك كتابه في التاريخ . وهذان الكتابان من أشهر الكتب الإسلامية ، ومن ادق المصادر في تاريخ الثقافة العربية القديمة ، ويروى أن كلا الكتابين كان يقع في ثلاثين ألف صفحة ، ثم اختصره الى ما هو عليه الآن .

وكان الإمام الطبري ثقة ، يحكم بقوله ، ويرجع الى رأيه ، لسعة ثقافته ، وطول باعه في العلم .

وتاريخ الطبري اسمه كتاب « اخبار الرسل والملوك » وهو تاريخ عام يبدأ بالخليقة وينتهي الى عام ٣٠٢ هـ في خلافة المقتدر بالله العباسي ، وهو مطبوع في ليدن في ٢٣ جزءاً ، وفي مصر في ثلاثة عشر جزءاً وطبعته دار المعارف المصرية حديثاً في ١١ مجلداً مع الفهارس ، ويلتزم فيه الطبري الاسناد ، والكتاب يعدّ عمدة المؤرخين ومرجعهم في التحقيق ، وترجمه الى الفارسية البلعمي ، وعن الفارسية ترجمه الى الفرنسية زوتنبرج ، وهذه الترجمة مطبوعة في أربعة مجلدات عام ١٨٧٤ م ، كما ترجم الى اللاتينية والتركية ، وغيرها من اللغات .

وقد ألف بعض العلماء ذيلا للكتاب :

أ ــ فكتب عريب بن سعد القرطبي ذيلا له ينتهي لعام ٣٦٥ هـ - وهو مطبوع مع تاريخ الطبري في ليدن .

ب ــ وكتب محمد بن عبد الملك الهمذاني (٥٢١ هـ) ذيلا له ينتهي

بعام ٤٨٧ هـ سماه « تكملة تاريخ الطبري » ، وهو مخطوط في مكتبة باريس .

٥ — تاريخ ابن البطريق (٢٦٣ — ٣٢٨ هـ) ، واسماه « نظم الجوهر في التاريخ » ويبدأ فيه بآدم عليه السلام وينتهي الى عـــام ٣٢١ هـ ، والكتاب مطبوع في أوربا في مجلدين صفحاتها نحو ١١٠٠ صفحة [١] .

٦ — مروج الذهب للمسعودي (٣٤٥ هـ : ٩٥٦ م) ، والمسعودي علي بن الحسين من أشهر المؤرخين المسلمين ، ولم يفتر عـــن الرحلة في قلب العالم الإسلامي طيلة حياته ؛ حتى جمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ، ما لم يسبقه اليه أحد .

وكتابه اسمه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » وهو مشهور ذائـــع ، وطبـع عدة مرات ، وقد تناول فيه تاريخ الخليقة وقصص الأنبياء والامم القديمة ومذاهبها وأديانها وعلومها ، وتاريخ الإسلام الى أيام المطيع لله العباسي المتوفى عام ٣٦٣ هـ .

وقد ترجم الكتاب الى الفرنسية منذ مائة عـــام وطبع في تسعة مجلدات عام ١٨٧١ م ، كما ترجم الى الانكليزية وطبع الجزء الأول من هذه الترجمة عام ١٨٤١ م ..

٧ — تاريخ سني ملوك الارض والانبياء لحمزة الاصفهاني (٣٥٠ هـ) ، وهو مرتب على عشرة أبواب وتناول فيـــه تاريخ العرب في جاهليتهم ، والفرس والروم وغيرهم ، ويوجه فيه همه الى تحقيق تاريخ الميلاد والوفاة ،

---

(١) ليحيى الأنطاكي ذيل على تاريخ ابن البطريق سماه « تاريخ الذيل » .

وقد طبع في كلكتا عام ١٨٦٦ م ، وفي ليبسك مع ترجمة لاتينية عام ١٨٤٤ م .

٨ – كتاب الغرر في سير الملوك وأخبارهم للمرعشي (٤٢١ هـ) في اربعة مجلدات ، تناول فيه تاريخ الفرس واليهود والأنبياء وملوك اليمن وأمراء الشام والعراق والروم وتاريخ الاسلام الى عصره ومنـــه نسخة خطية من الجزء الأول والثاني . في مكتبة باريس الوطنية .

٩ – تجارب الأمم لابن مسكويه (٤٢١ هـ) ، وهو تاريخ عام يبدأ ببدء الخليقة وينتهي بعام ٣٦٩ هـ ، وتناول فيه تاريخ الفرس القدماء ، والروم والترك ، وهو في ستة مجلدات كبيرة ، وقد طبعته لجنة جب التذكارية عن نسخة خطية عثر عليها في مكتبة أيا صوفيا[١] .

ويقول المستشرق الإيطالي كيتاني في هذا الكتاب : « انه من عمل فكر بناء يسيطر عليه ادراك تام للهدف ولمسئولية المؤرخ » ومن هذه الناحية يسجل ابن مسكويه تقدماً كبيراً في فن التاريخ على أسلافـــه ومعاصريه من المؤرخين العرب .

١٠ – تاريخ مصر للكندي المؤرخ المصري المشهور[٢] (٣٥٥ هـ : ٩٦١ م) ، ومنه نسخة خطية في المتحف البريطاني .

---

(١) وللوزير ابي شماع (٤٨٨ هـ) من وزراء الخلافـــة العباسية ذيل عليه ، منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية (مكتبة احمد زكي باشا) .

(٢) للكندي ايضاً « كتاب تسمية ولاة مصر » طبع في بيروت عام ١٩٠٨ باسم « كتاب الولاة وكتاب القضاة » وحققه حسين نصار وطبعه في بيروت بعنوان « ولاة مصر » وله كتاب « فضائل مصر » مخطوط في دار الكتب المصرية .

١١ ـــ تاريخ الأندلس لابن القوطية (٣٦٧ هـ) ويشتمل على تاريخ الأندلس منذ الفتح العربي الى عام ٢٨٠ هـ ، وهو مطبوع في باريس عام ١٨٨٩ م .

١٢ ـــ تاريخ مصر وفضائلها ، لابن زولاق المصري (٣٨٧ هـ) [١] وهو مخطوط في باريس .

١٣ ـــ اليميني لأبي النصر العُتْبي (٤٢٧ هـ) في تاريخ يمين الدولة السلطان محمود الغزنوي ، وهو مطبوع .

١٤ ـــ سيرة صلاح الدين الأيوبي لابن شداد (٥٣٩ ـ ٦٣٢ هـ) واسمها « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » وهي مطبوعة ، وله كتاب « الاعلاق الخطيرة . في تاريخ الجزيرة » وهو ثلاثة أقسام وقـــد حققه د . سامي الدهان .

١٥ ـــ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين الصلاحية والنورية لأبي شامه (٦٦٥ هـ) .

١٦ ـــ المعجب في تلخيص تاريـــخ المغرب للمراكشي (٦٢١ هـ) ، ويشتمل على تاريخ الأندلس والموحدين والمرابطين ، ولابن عـــذارى المراكشي (المتوفى نحوِ عام ٧٠٠ هـ) كتاب « البيان المغرب في أخبار المغرب » ..

---

(١) له أيضاً كتاب مختصر تاريخ مصر الى سنة ٤٩ هـ وهو مخطوط في غوطا ، وكتاب « تتمة كتاب الكندي في أخبار قضاة مصر » الى سنة ٣٨٦ هـ ، وهو مفقود ـ ولعز الملك المسبحي (٤٢٠ هـ) كتاب أخبار مصر وهو أطول كتاب في تاريخ مصر وينتهي بحوادث عام ٤١٤ هـ ويوجد بعضه في مكتبةالاسكوريال . ولابن ميسر ذُيل عليه ينتهي بحوادث عام ٥١٥هـ. ومنه نسخة خطية في باريس .

وكتاب « البيان » يقع في أربعة مجلدات .

ولابن الأبار (٦٣٥ هـ) كتاب « الحلة السيراء » في أخبار الأندلس والمغرب الى عصره .

١٧ — المنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي (٥٩٧ هـ) من بـدء الخليقة الى خلافة المستضيء بالله العباس المتوفى عام ٥٧٥ هـ وهو مرتب حسب السنين ، وقد طبع منه ستة مجلدات (٥ ـ ١٠) في حيدر آباد ، وله مختصرات عديدة ومنها مختصر بقلم المؤلف نفسه .

ولابن الجوزي كتاب « الذهب المسبوك في سير الملوك » ينتهي بعام ٦٥٦ هـ وهو تاريخ انتهاء الخلافة العباسية ودخول التتار بغداد .. وله كذلك كتاب مناقب عمر بن عبد العزيز ، وهو مطبوع .

١٨ — تاريخ ابي الفداء واسمه « المختصر في أخبار البشر » ، لعماد الدين اسماعيل بن ابي الفداء صاحب حماة المتوفى عام ٧٣٢ هـ ، وهـو قسمان في تاريخ الجاهلية والأمم القديمة وفي تاريخ الاسلام الى عـام ٧٢٩ هـ ، وكل من القسمين في اربعة اجزاء .

ولهذا الكتاب منزلة رفيعة عند المستشرقين وهو من أقدم كتب التاريخ التي اهتموا بنشرها وترجمتها .

ولابن الوردي (٧٤٩ هـ) ذيل عليه اسمه تتمة المختصر ، وصل بـه الى عام ٧٤٩ هـ ، وهو مطبوع .

١٩ — الكامل في التاريخ لابن الأثـير ابي الحسن علي بن محمد (٦٣٠ هـ) ، ويعرف بتاريخ ابن الأثير ، وهو من أشهر كتب التاريخ الإسلامي ، وأوثق مصادره ، يبدأ ببدء الخليقة وينتهي بعام ٦٢٨ هـ ،

وهو في اثني عشر جزءاً ، وفي الجزء الأخير من الكتاب تفصيل مـــا عاصره المؤلف من غزو التتار للعالم الإسلامي في عهد جنكيزخان ، وهو مذيل بجزء خاص بالفهارس .

٢٠ - مرآة الزمان في تاريخ الاعيان لسبط بن الجوزي (٦٥٤ هـ)، وهو تاريخ عام من بدء الخليقة حتى عام ٦٥٤ هـ في أربعين مجلداً ، ومنه أجزاء مفرقة مخطوطة في مختلف المكتبات ، وطبع بعض المستشرقين جزءاً منه في تاريخ الفترة (٤٩٥ – ٦٥٤ هـ) .

٢١ – تاريخ الإسلام للذهبي (٧٤٨ هـ) في ١٢ مجـــلداً من ظهور الاسلام الى عام ٧٠٠ هـ ، وله كتاب « العبر في أخبار من غبر » أيضاً وهو مطبوع في الكويت في أربعة أجزاء .

٢٢ – البداية والنهاية لابن كثير (٧٠٠ – ٧٧٤ هـ) ، ويهتم فيه بذكر الحوادث العجيبة والأمور الغريبة في زمنه – وهو مطبوع في ١٤ مجلداً .

٢٣ ـــ عجائب المقدور في نوائب تيمور لابن عربشاه (٨٥٤ هـ) ، وهو تاريخ لتيمورلنك الفاتح المغولي ، والكتاب مطبوع .

٢٤ ـــ عيون التواريخ لابن شاكر (٧٦٤ هـ) مجموعة تراجم مرتبة على السنين انتهى فيها الى عام ٧٦٠ هـ في ستة مجلدات .

وله كتاب « فوات الوفيات » وهو مطبوع .

ولصلاح الدين الصفدي (٧٦٤ هـ) كتاب « الوافي بالوفيات » وهو في ٥٠ مجلداً ولا يزال مخطوطاً وموزعاً في المكتبات المختلفة .

٢٥ ـــ الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة (٧٠١ – ٨٠٠ هـ) لابن

حجر (٨٥٢ هـ) ، وهو معجم كبير ترجم فيه لكل مشاهير القرن الثامن الهجري من ملوك وأمراء وعلماء وأدباء وشعراء وغيرهم ، وهو أول كتاب من كتب التراجم لرجال قرن بأكمله من أوّله إلى آخره ، وكانت كتب التراجم قبله تترجم للرجال جميعاً مهما اختلفت عصورهم[1] .

٢٦ ــ بغية الطلب في تاريخ حلب لابن النديم (٦٦٦ هـ) ، وهو مخطوط في اجزاء كثيرة ، واختصره في كتاب سماه « زبدة الحلب في تاريخ حلب » وهو مطبوع في ثلاثة مجلدات بتحقيق سامي الدهان .

٢٧ ــ تاريخ مصر لابن وصيف شاه ، ويسمى « جواهر البحور » وهو مخطوط ويتناول تاريخ مصر حتى سنة ٦٦٨ هـ .

٢٨ ــ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل (٦٩٧ هـ) ، حققه جمال الدين الشيال في ثلاثة مجلدات .

٢٩ ــ نزهة الانام في تاريخ الإسلام في ١٢ مجلداً مخطوط ، تأليف ابن دقماق المصري (٨٠٩ هـ) ، وله كتاب تاريخ آخر مخطوط هو « .. الانتصار » في عشرة مجلدات .

٣٠ ــ السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ، وهو تاريخ لمصر من ٥٧٧ الى ٨٤٤ هـ ــ ٦ مجلدات .

---

(١) ولابن حجر كتاب « إنباء الغمر بأبناء العمر » وهو تاريخ لمصر والشام سياسياً وأدبياً منذ ولادته حتى عام ٨٥٠ هـ ، وله كتاب « الاعلام فيمن ولي مصر في الاسلام » ، ويسمى تاريخ مصر . وصنع السخاوي صنيع ابن حجر فكتب كتابه « الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع » ؛ وهو مطبوع في خمسة مجلدات .

وله كتاب « اتعاظ الحنفاء باختبار الأئمة الخلفاء » وهو في تاريـــخ الخلافة الفاطمية في مصر ، وهو مطبوع ، وكتابـــه « امتاع الاسماع » مشهور .

٣١ ــ روض المناظر في علم الأوائــل والأواخر في التاريــخ لابن الشحنة (٨١٥ هـ) وهو مطبوع .

٣٢ ــ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان من بدء الخليقة الى عــام ٨٥٠ هـ . في بضعة وعشرين مجلداً ، وهو للعيني (٨٥٥ هـ) ، مخطوط .

٣٣ – أخبار الخلفاء لابن الساعي (٦٧٤ هـ) كتاب مطول ، اختصره في كتاب سماه « مختصر أخبار الخلفاء » في نحو ٣٠ مجلداً ، مطبوع ، وللسيوطي كتاب « أخبار الخلفاء » ايضاً .

٣٤ – شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي (٧٧٥ – ٨٣٢ هـ) وقد حققته ونشر في جزءين كبيرين ، وبذله تاريخ المدينة لمحب الدين بن النجار [١] (٥٧٨ – ٦٤٣ هـ) ، واسمه « الدرة الثمينة في تاريخ المدينة » .

وللفاسي كتاب « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمـــين » ، وهو في تاريخ اعلام مكة وقد طبع أيضاً في ٨ مجلدات ، وتولى طبع الكتابين معالي الشيخ محمد سرور الصبان على نفقته .

٣٥ – وفاء الوفا بأخبـــار دار المصطفى لنور الدين السمهودي

---

(١) واجع ترجمته في ٣ : ٧٥ تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان .

(٩١١ هـ) ، وهو مطبوع ، وللسمهودي مختصر له اسمه « خلاصة الوفا » وهو مطبوع أيضاً .

٣٦ — المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي (٦٨٥ هـ) ، وهو في تاريخ المغرب ، وهو في خمسة عشر مجلداً ، مخطوط .

٣٧ — تاريخ ابن خلدون (٧٣٢ — ٨٠٨ هـ) واسم الكتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، وهو ثلاثة كتب في سبعة مجلدات ، ومقدمة هذا التاريخ مشهورة وتسمى « مقدمة ابن خلدون » وقد ابتكر فيها ابن خلدون بحوث علم الاجتماع .

٣٨ — الإحاطة في تاريخ غرناطة للسان الدين بن الخطيب (٧١٣ — ٧٧٦ هـ) وهو معجم تاريخي لمشاهير غرناطة في ثلاثة مجلدات مرتبة على حروف الهجاء ، والكتاب مطبوع .

٣٩ — بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن اياس الحنفي (٩٣٠ هـ) ، وهو من أهم كتب التاريخ المصري ، تناول فيه تاريخ مصر الى عام ٩٢٨ هـ ، ووصف الفتح العثماني لمصر وصفاً دقيقاً .

٤٠ — حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي (٩١١ هـ) في جزءين .

٤١ — عجائب الآثار في التراجم والاخبار ، ويعرف بتاريخ الجبرتي ، وقد أرخ فيه لمصر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري الى عام ١٢٣٦ هـ ، وذكر فيه أحداثها يوماً بعد يوم . وأهمية هذا الكتاب أن صاحبه عاصر تلك الحوادث وشاهد أكثرها بنفسه ، ودونها يوماً بعد يوم ، ولا سيما أخبار الحملة الفرنسية على مصر وأوائل حكم محمد علي .

وللكتاب شهرته وأهميته ، وهو مطبوع .

٤٢ -- الفتوحات الإسلامية ، تاريخ الدول الإسلامية وهما لأحمد دحلان المكي (١٣٠٤ هـ : ١٨٨٦ م) .

٤٣ -- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وهو أهم وأوسع ما كتب في تاريخ الأندلس وحضارتها وأدبائها وشعرائها -- في ٤ مجلدات -- مطبوع -- وهو للمقري الأندلسي (١٠٤١ هـ) [١] .

٤٤ -- تاريخ ابن الفرات (٨٠٧ هـ) -- طبع في عدة أجزاء .

٤٥ -- شذرات الذهب في أخبار من ذهب -- لابن العماد الحنبلي (١٠٨٩ هـ) -- وهو كتاب مفيد ومهم ، ومن المصادر التاريخية الضرورية للباحث -- ويقع في أربعة مجلدات .

---

(١) لمحمد عبد الله عنان في الاندلس وحضارتها وتاريخها كتب مشهورة ، من بينها : دولة الاسلام في الاندلس دول الطوائف -- الدولة العامرية (سقوط الخلافة) في الاندلس .

المقدمة لابن خلدون

١

يعد ابن خلدون من اعلام الفكر الاسلامي ، وامام المؤرخين العرب منذ القرن الثامن الهجري حتى اليوم وكان تراثه خير استاذ تتلمذ عليه اعلام البيان العربي في عصر النهضة الأدبية الحديثة في مصر وسائر بلاد الشرق العربي .

ومقدمة ابن خلدون تراث جليل خالد يمتاز بالجدة والابتكار ، وهي تعد منهاجاً جديداً في فهم التاريخ وتحليله ونقده ، وفي فهم الظواهر الاجتماعية وتعليلها .. وموضوع المقدمة ، كما يصفه ابن خلدون نفسه هو « العمران البشري والاجتماع الانساني » وقد تحدث ابن خلدون فيها عن : العمران البشري على الجملة وأصنافه ، والعمران البدوي ، وذكر القبائل والأمم البربرية ، وتحدث عن الدول والخلافة والملك ، وذكر المراتب السلطانية عن العمران الحضري ، والبلدان والامصار ، وعن الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه . وعن العلوم واكتسابها وتعلمها .

وبحوث ابن خلدون في المقدمة هي تمهيد لدراسة التاريخ وفهمه ، وهي بحوث جديدة كل الجدة ، وان كانت آراء الفارابي في المدينة الفاضلة ، واخوان الصفا في رسائلهم ، تعد تمهيداً موجزاً صغيراً لبحوث ابن خلدون :

كبحوث الفارابي عن حاجة الانسان الى الاجتماع ، وعن نشأة القرى والمدن ، وكتقسيم اخوان الصفا للعلوم والصنائع وبحثهم عن تأثير طبيعة البلدان في الاخلاق . ولكن بحوث الفارابي واخوان الصفا لها منهجها الفلسفي من حيث يتناول ابن خلدون هذه البحوث والموضوعات من الجانب الاجتماعي .

وتشمل بحوث ابن خلدون في المقدمة جوانب من علوم الاجتماع وفلسفة التاريخ والاقتصاد السياسي .

٢

وقد عدّ « فون كريمر » المستشرق النمسوي (ابن خلدون) مؤرخاً للحضارة الاسلامية ، وعده دي بويرفيلسوفاً ، ولكن الاتجاه العام كان الى دراسة فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، التي تسمى اليوم بحوثه فيها بعلم الاجتماع ، الذي سبق فيه أوجست كونت ، وفيكو ، ومكيافللي ، من اعلام الاجتماع في أوربا ، ولقد سبق ابن خلدون ميكيافللي ومونتسكيو وفيكو الى الدرس النقدي للتاريخ ، كما سبق ماركس وسواه الى نظريات علم الاقتصاد السياسي .. والمقدمة تسبق كتاب مكيافللي الذائع « الامير » بأكثر من قرن من الزمان . وهي أوسع دراسة ، وأرحب أفقاً ، وأغزر مادة ، على الرغم من أن المقدمة قد ألفت عام ١٣٧٧ م ، وكتاب الامير ألف عام ١٥١٣ م .

٣

ألف ابن خلدون مقدمته هذه في مدينة تلمسان عام ٧٧٩ هـ — ١٣٧٧ م ، حيث أمضى خمسة شهور في تدوينها ، ثم نقحها وهذبها بعد

ذلك عدة مرات ، ويقول عنها ابن خلدون في آخر الجزء السابع من تاريخه : « واكتملت المقدمة على هذا النحو الغريب الذي اهتديت اليه في تلك الخلوة ، فسالت فيها شآبيب الكلام والمعاني على الفكر ، حتى امتخضت زبدتها ، وتألفت نتائجها » .

ثم أخذ يكتب تاريخه ، فأتم أول نسخة منه في أوائل ٧٨٤ — ١٣٨٢ م ، وتشمل المقدمة وأخبار البربر وزناتة وتاريخ العرب قبل الاسلام وبعده وتاريخ الدول الاسلامية المختلفة الى عصر المؤلف .

وفي أواخر عام ٧٨٤ هـ وصل ابن خلدون القاهرة ، وأقام فيها ، وانثال عليه طلبة العلم بها يلتمسون منه الافادة ، وتصدر للتدريس بالجامع الأزهر ، وكان سلطان مصر اذ ذاك هو الظاهر برقوق الذي ولي حكم مصر في أواخر رمضان عام ٧٨٤ هـ . وتولى بعد ذلك ابن خلدون التدريس بالمدرسة القمحية بجوار جامع عمرو ، وهي من مدارس المالكية المشهورة في مصر ، وبعد قليل عين قاضيا لقضاة المالكية في مصر في أواخر جمادى الأولى عام ٧٨٦ هـ .

وفي أثناء إقامة ابن خلدون بالقاهرة أخذ يهذب وينقح في المقدمة والتاريخ وزاد في حوادث التاريخ حتى بلغ بها نهاية القرن الثامن الهجري بعد أن كان قد بلغ بها في تونس حتى عام ٧٨٣ هـ .. ومن الفصول الجديدة التي كتبها في مصر : خواص دول المماليك المصرية ، ونشأة التتار ، وسوى ذلك من البحوث .

وقد شغلت المقدمة وحدها اذهان العلماء والمفكرين طوال عصور التاريخ ، ونالت من الاهتمام والعناية اضعاف ما ناله تاريخه الكبير .

ولا عجب ، فقد كان نظر ابن خلدون الى التاريخ سابقاً لزمنه ، وقد

وضع بمقدمته أصول علم التاريخ ، فكانت هي الأثر الوحيد من نوعه في التراث العربي الاسلامي .

وابن خلدون بتاريخه ، ومقدمته خاصة ، قد احتل الذروة في التفكير الاسلامي وقـــد وضعته مقدمته بين أعلام العلماء الخالدين في تاريخ الانسانية الفكري ، فنال من عناية العلماء والمفكرين ما لم ينله مؤرخ اسلامي ، ولا تزال نظرياته وآراؤه موضع اهتمام الباحثين والمؤرخين والفلاسفة الى اليوم .

٤

ولابن خلدون في المقدمة رأي في العرب عجيب ، فهو يذهب الى أنهم لا يتغلبون الا على البسائط ، واذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الفساد والخراب ، واذا حصل لهم الملك فانما يحصل لهم بصفة دينية ، وهم عنده أبعد الأمم عن سياسة الملك ، وهم أبعد الناس عن الصنائع ، ومبانيهم يسرع اليها الفساد ، وحملة العلم في الاسلام عجم ، وهذا الرأي الغريب حير الباحثين في تراث ابن خلدون الفكري ، فعللوه بأسباب مختلفة متناقضة ، أما نحن فنعلله بأحد امرين :

الأول : ان ابن خلدون يريد بالعرب البدو في أي مكان كما عبر هو عنهم بهذا أحياناً ، لا عرب الجزيرة العربية خاصة ، وهذا الرأي محتاج الى اثبات السر في ترجيحنا هذا المعنى دون المعنى الآخر للفظة عرب .

والثاني : أن ابن خلدون يقصد العرب ويريدهم ويتكلم عنهم ، ومن الملحوظ من عبر التاريخ أن العرب في جاهليتهم وحين تحللهم من الدين بعد الاسلام كانت احوالهم كما يصفها ابن خلدون ، فكأنما ابن خلدون

يقصد بهذه الفصول ، ذكر طبيعة العرب حين ضعف الدين من نفوسهم ، وكأنه يريد التعميم في أحوالهم ، فان العرب حين تمسكهم باسلامهم بشريعتهم ، كانوا كما نعرف عدلاً وسياسة واصلاحاً ونبل حكم . وفي هذا البحث يذكر ابن خلدون ان أهل البادية مغلوبون لأهل الأمصار ، ويذكر أحوال الموالي وغيرهم وما يعرض للدول من الحجر على السلطان والاستبداد به ومشاركته في نفوذه وألقابه . وآراء ابن خلدون في الفصل الخامس في المقدمة عن المعاش ووجوهه والكسب والصنائع مباحث قيمة في الاقتصاد السياسي والاجتماعي ، وقد اقتبس منها علماء الاقتصاد السياسي في الغرب بعض الأفكار والآراء . ومن آراء ابن خلدون في المقدمة نعرف :

١ — أن النقد التاريخي هو تطبيق طبائع العمران على التاريخ وحوادثه ، فما جاز لنا قبوله من التاريخ قبلناه : وما لا يجوز منه رفضناه .

٢ — أصول التوحيد هي عقائد متلقاة عن الشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها الى العقل ولا تعديل عليه . وهنا يذكر ابن خلدون ان العقل قاصر الادراك لأن مدارك صاحب الشريعة أوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الأنظار العقلية ، فهي فوقها محيطة بها لاستمدادها من الأنوار الالهية ، ويأخذ في ذم الفلسفة وتخلفها ، ولا شك أن ابن خلدون كان بحاجة الى تأكيد ذلك لبغض المجتمع الاسلامي في عصره للفلسفة وعلومها وأصحابها والعنف في البطش بكل من عرف عنه أنه محب لها ... ولا نخال ابن خلدون سوى فيلسوف ، فأفكاره في المقدمة أفكار فلسفية ، وكذلك دراسته للفلسفة وعلومها وتاريخ نشأتها تدل على أنه من أنصارها ومحبيها وعارفي أمرها ، بل ان المقدمة نفسها لون من ألوان الفلسفة

في عصرنا الراهن ، ولا شك أن ابن خلدون يستحق تقدير المفكرين والتاريخ والانسانية جمعاء .

٥

يبدأ ابن خلدون مقدمته فيقول : « يقول العبد الفقير الى الله تعالى ، الغني بلطفه ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ، وفقه الله » .

ثم يقول : أما بعـــد ، فان التاريخ فن من الفنون ، تتداوله الأمم والأجيال ، وتشد اليـــه الركائب والرحال ، وتسمو الى معرفته السوقة والاغفال ، وتتنافس فيه الملوك والاقيال ، وتتساوى في فهمه العلماء والجهال – وبهذا الأسلوب المسجوع الموقع يستمر ابن خلدون في التنويه بعلم التاريخ ، وقد كان لهذا الأسلوب أثره في أوائل عهد النهضة الادبية في مصر والعالم العربي .

ثم يذكر ابن خلدون انه قسم كتابه الى :

١ – المقدمة في فضل علم التاريخ ، وتحقيق مذاهبه ، والالمام بأغلاط المؤرخين .

٢ – الكتاب الأول في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان ، والكسب ، والمعاش ، والصنائع والعلوم ، وما لذلك من العلل والاسباب .

٣ – الكتاب الثاني في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بـــدء الخليقة الى هذا العهد ، وفيه من الالمام ببعض من عاصرهم من الأمم المشاهير ودولهم مثل النبط والسريان والفرس وبني اسرائيل والقبط

واليونان والروم والترك والافرنجة .

٤ ـ الكتاب الثالث في أخبار البربر ومواليهم من زناتة وذكر اوليتهم وأجيالهم وما كان يدول المغرب خاصة من الملك والدول .

و « المقدمة » من أهم ما وصل الينا مـــن التراث العربي الثقافي الأصيل ، وهي تحفة فريدة مبتكرة لا مثيل لها في الآثار الاسلامية القديمة ، وابن خلدون بمقدمته يحتل مكانة بارزة في التاريخ الاسلامي الفكري والعقلي .

٦

ومن فصول المقدمة فصل في أن الانسان مدني بالطبع ، قال عبد الرحمن بن خلدون في بيان ذلك : ان الاجتماع الانساني ضروري ، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم : « الانسان مدني بالطبع » وبيانه أن الله سبحانه خلق الانسان وركبه على صورة لا تصح حياتها وبقاؤها الا بالغذاء ، وهو مضطر الى التماسه بفطرته ، وربما ركب فيه من القدرة على تحصيله الا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء ، ولو فرضنا له أقل ما يمكن فرضه ــ وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً ــ فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ، وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين وآلات ، لا تتم الا بصناعات متعددة وهب أنه يأكله حباً من غير علاج ، فهو ايضاً يحتاج في تحصيله حباً الى أعمال أخرى أكثر من هذه مـــن الزراعة والحصاد والدراس ، ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة ، وصناعات كثيرة ، أكثر من الأول . ويستحيل أن تفي بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد ، فلا بد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ، ليحصل القوت له ولهم ، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف .

وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضاً في الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بأبناء جنسه . ولما كان العدوان طبيعياً في الحيوانات ، جعل الله لكل واحد منها عضواً يختص بمدافعته ما يصل اليه من عادية غيره ، وجعل للانسان — عوضاً من ذلك كله — الفكر واليد ، فاليد مهيأة للصناعات بخدمة الفكر ، والصناعات تحصل له الآلات التي تنوب عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع ، مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة ، والسيوف النائبة عن المخالب الجارحة ، فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة ، فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ، ولا تفي قدرته أيضاً باستعمال الآلات المعدة لها ، فلا بد في ذلك كله من التعاون عليها بأبناء جنسه ، وما لم يكن هذا التعاون ، لا يحصل له قوت ولا غذاء ، ولا تتم حياته .

٧

وكان نظر ابن خلدون الى التاريخ سابقاً لزمنه . لم ينظره أحد من المؤرخين قبله ، يقول في مقدمته : « ان فن التاريخ محتاج الى مآخذ متعددة ، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وتثبت يصلان بصاحبها الى الحق ، وينكبان به عن المزلات والمغالط ، لأن الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الانساني ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيه من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الطريق ، وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً ، لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ، فضلوا عن الحق ، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط » .

ويقول في موضع آخر : « ان صاحب هذا الفن يحتاج الى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأمصار ، في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال ، والإحاطة بالحاضر من ذلك ، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق ، أو وزن ما بينهما من الخلاف ، وتعليل المتفق منها والمختلف ، والقيام على أصول الدول والملل ، ومبادىء ظهورها وأسباب حدوثها ودواعي كونها وأحوال القائمين بها وأخبارهم ، حتى يكون مستوعباً لأسباب كل حادث ، واقفاً على أصول كل خبر ، وحينئذ يعرض خبر المنقول ، على ما عنده من القواعد والأصول ، فان وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحاً وإلا زيفه واستغنى عنه » الخ ...

مؤلفات تاريخية حديثة

وهي كثيرة لا يمكن استقصاؤها وحسبنا أن نشير منها الى ما يلي :

١ — تاريخ الأمم الإسلامية للشيخ محمد الخضري ثلاثة مجلدات .

٢ — موسوعة محمد عبد الله عنان عن الأندلس ومنها :

أ — الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال .

ب — سقوط الخلافة .

جـ — عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس — جزءان .

د — نهاية الاندلس .

٣ — تاريخ الاسلام السياسي للدكتور حسن ابراهيم حسن — أربعة مجلدات .

٤ — تاريخ العرب عصر ما قبل الاسلام لمحمد مبروك نافع .

٥ — « « قبل الإسلام — ثمانية مجلدات — الدكتور جواد علي .

٦ — « « لفيليب حتي — جزءان .

٧ — التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية — الدكتور أحمد شلبي — ٤ مجلدات .

٨ – تاريخ التمدن الإسلامي – جورجي زيدان (١٩١٤) – خمسة مجلدات .

٩ – تاريخ الشعوب الإسلامية – كارل بروكلمان – ترجمة منير البعلبكي ٥ مجلدات .

١٠ – تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار – محمد عزت دروزه – ٧ أجزاء .

١١ – تاريخ مصر الإسلامية جزءان – الى نهاية العصر المملوكي – للدكتور جمال الدين الشيال .

١٢ – تاريخ مصر القومي لعبد الرحمن الرافعي – في ٣ مجلدات .

١٣ – « العالم ستة مجلدات – لهمرتون .

١٤ – قصة الحضارة – ويل ديورانت ، ترجمة زكي نجيب محمود ١ – ٢٢ .

١٥ – محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام – الدكتور صالح العلي .

١٦ – مختصر دراسة التاريخ – للمؤرخ الانجليزي توينبي – ٤ أجزاء – ترجمة غربال وشبل .

١٧ – المسلمون في العالم اليوم د . عبد الرحمن زكي (١ – ٥) .

١٨ – أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب – صلاح الدين المنجد
– ٣ أجزاء الى غير ذلك من المراجع الكثيرة التي لا يمكن احصاؤها
ونكتفي منها ببعض الكتب المشهورة .

مصادر ومراجع هذا البحث

١ ـ علم التاريخ عند العرب ـ محمد عبد الغني حسن ـ القاهرة ـ مؤسسة المطبوعات الحديثة .

٢ ـ أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ـ صلاح الدين المنجد .

٣ ـ نشأة التاريخ عند العرب ـ عبد العزيز الدوري .

٤ ـ منهج البحث التاريخي ـ حسن عثمان .

٥ ـ مناهج البحث العلمي ـ عبد الرحمن بدوي .

٦ ـ مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ـ ترجمة أنيس فريحه .

٧ ـ منهج البحوث العلمية ـ ثريا ملحس .

٨ ـ دائرة المعارف الإسلامية مادة تاريخ .

٩ ـ علم التاريخ ـ ترجمة د . عبد الحميد العبادي ـ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

١٠ ـ المكتبة الأندلسية ـ عشرة مجلدات في تاريخ الأندلس ورجالها في القرنين الخامس والسادس ، وتحتوي على الكتب الآتية :

أ ، ب ـ الصلة لابن بشكوال .

جـ ـ بغية الملتمس للضبي .

د ـ المعجم لابن الآبار .

هـ ، و ـ التكملة لابن الأبار .

ز ، ح ـ تاريخ الأندلس لابن الفرضي .

ط ـ ما رواه ابن خليفة الاشبيلي عن شيوخه .

ي ـ فهرس أبجدي عام .

١١ ـ المكتبة الصقلية ، في تاريخ جزيرة صقلية ابان الحكم الإسلامي، انتخبها المستشرق الإيطالي امارى من ٨٥ كتاباً عربياً ، وهي مطبوعة في ليبسك سنة ١٨٥٧ في ٨٠٠ صفحة ، مع مقدمة بالايطالية ، ولها ذيلان صغيران طبعا في ليبسك أيضاً .

١٢ ـ المكتبة الصليبية : خمسة مجلدات في الحروب الصليبية ، مختارة من كتب التاريخ ، وهي مطبوعة في أوربا .

١٣ ـ المكتبة التاريخية : صدرت باشراف د . احمد عزت عبد الكريم ، وظهر منها الكتب الآتية :

أ ـ المجمل في تاريخ الأندلس ، د . عبد الحميد العبادي .

ب ـ التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر ـ د . جمال الدين الشيال .

جـ ـ الاسلام في اسبانيا ، د . مصطفى عبد البديع .

د ـ الاسماعيلية ، د . محمد كامل حسين .

هـ ـ الجامعات الأوربية في العصور الوسطى ، د . عبد الفتاح عاشور .

و ـ سلاجقة إيران والعراق ، د . عبد المنعم حسنين .

ز ـ الثورة المهدية ؛ د. جلال يحيى .
ح ـ سيف الدولة الحمداني ؛ د. مصطفى الشكعة .
١٤ ـ دراسات عن المؤرخين العرب ـ للمستشرق الانجليزي مرجيليوث ـ ترجمة حسين نصار ـ طبع بيروت .
١٥ ـ سيرة ابن هشام ـ ٤ أجزاء ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

المكتبة الجغرافية في التراث الاسلامي

أهميتها :

كانت المكتبة الجغرافية الضخمة جزءاً من الثقافة الاسلامية العظيمة التي قامت عليها حضارة الاسلام التي أظلت العالم أجيالاً وقروناً طوالاً .

ومؤلفات العلماء المسلمين فى هذا الجانب الجغرافي وفي الجانب التاريخي هي من أهم المصادر في دراسة تاريخ الاسلام وحضارته وثقافاته بل وفي الاقتصاديات الاسلامية .. والمؤلفات الجغرافية الاسلامية أهم مصدر عن العالم الاسلامي ، بل عن العالم الأوربي القديم الذي لم يكتب عنه أحد من الاوربيين لأجيال طوال ، وكتب عنه **العلماء المسلمون** كتابات لهـــا أهميتها العلمية ، كتابة ابن فضلان في وصف رحلته لبلاد البلغار التي قام

---

(١) راجع الاصطلاحات الغربية الآتية :

أ – مراجع ببليوجرافية ، أي الكتب التي تسجل اسماء المؤلفات مثل الفهرست لابن النديم ، أو تتعرض للعلوم وتاريخها مثل مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (٩٠١ – ٩٦٢ هـ) .

ب – مراجع بيوجرافية ؛ أي الكتب المتعلقة بالتراجم مثل معجم الأدباء لياقوت وطبقات الأطباء ، لابن أبي اصيبعة .

ج – مراجع جغرافية ، أي الكتب المتعلقة بعلم الجغرافيا .

بها عام ٩٢١ م : ٣٠٩ هـ في عصر المقتدر بالله العباسي [١] ، وهو طليعة الجغرافيين الذين كتبوا في الرحلات .

وترتبط الجغرافيا بعلوم الشريعة واللغة والأدب ارتباطاً وثيقاً ، مثل ارتباطها كذلك بالاقتصاد ، وقد ظهر ذلك في كتب ألفت عن الخراج ، من مثل كتاب « الخراج » لأبي يوسف .

وقد اهتم بالجغرافيا علماء الأدب ، وكذلك الكتاب ، في عصر المنصور والرشيد والمأمون لصلتها بالأدب وبادارة الدولة . وذلك من آخر القرن الثاني الهجري ، التاسع الميلادي .

ويهتم الاوربيون اهتماماً كبيراً بالمكتبة الجغرافية العربية ، وترجموا الكثير منها الى لغاتهم ، كما فعل المستشرق الهولندي « دي غويه » في كتابه « مكتبة الجغرافيين العرب » الذي طبع في ثمانية أجزاء .

أقسام علم الجغرافيا :

١ — الجغرافيا الرياضية الفلكية ، وهي تبحث عن الافلاك والبروج ومواقعها ، وأوقات مسارها ، وصلات ذلك بالتوقيت الزمني ، وبالفصول ، وبالرياح ، وبالأمطار ، وبخطوط الطول والعرض ، ويستعان بها في تحديد

---

(١) كتب ابن فضلان عن روسيا القديمة وبلادها التي كان العرب يطلقون عليها بلاد الصقالبة، وكانت عاصمتهم تقع شرقي نهر الفلجا المسمى عند الجغرافيين العرب « أتل » ، وكان الصقالبة يطلق عليهم العرب اسم البلغار. وقد عرف العرب أوربا جميعها ما عدا شماليها وعرفوا النصف الجنوبي من آسيا والنصف الشمالي لافريقيا وسواحل افريقيا الشرقية ، وعرفوا سواحل آسيا الى كوريا شمالاً ، وعرفوا بلاد اليابان .

أوقات الصلاة ، وتحديد القبلة ، وفي معرفة مواقيت الصيام والحج[1] ، وفي معرفة الطرق البحرية ، ومسارات السفن في البحار ، وغير ذلك . ويظن أن العرب استفادوا في ذلك بكتاب المجسطي لبطليموس (١٦٧ م) الذي ترجم في عصر الرشيد بأمر يحيى البرمكي (١٩٠ هـ) ثم ترجمه الحجاج بن يوسف في عصر المأمون عام ٢١٢ هـ : ٨٢٧ م ، وظهرت له ترجمات أخرى .

٢ – الجغرافيا الوصفية ، وهي في وصف البلدان والبيئات والانهار والجبال والحيوان والنبات ، ويرتبط بها ارتباطاً وثيقاً قصص الرحلات[2] ، من مثل : رحلة ابن جبير الاندلسي (٥٧٩ هـ) ، وكتاب الاشارات الى معرفة الزيارات للكاتب الفارسي الهروي (٦١١ هـ : ١٢١٤ م) ، والرحلة المغربية للعبدري (٦٨٨ هـ : ١٢٨٩ م) ، ورحلة ابن بطوطة .

٣ – جغرافية الطرق والمواصلات ، منها كتب عدة كانت تسمى « المسالك والممالك » ، لابن خرداذبه والاصطخري ، وابن حوقل ، ولأبي زيد البلخي (٣٢٢ هـ : ٩٣٤ م) .

٤ – جغرافية المدن وتاريخها ، مـــن مثل : معجم البلدان لياقوت الحموي (٦٢٦ هـ : ١٢٣٨ م) ، ومثل : كتاب الخطط والآثار للمقريزي ،

---

(١) يقول الله تعالى : يسألونك عن الأهلة ، قل : هي مواقيت للناس والحج (١٨٩ البقرة) .

(٢) من رحالة البر المسلمين : ابن حوقل ، المسعودي ، المقدسي ، الادريسي ، أبو العباس الاشبيلي النباتي ، ابن البيطار المالقي الذي اشتهر بكتابته في علم النبات . ومن رحالة البحر المسلمين : سليمان التاجر (٢٣٧ هـ : ٨٥١ م) سليمان المهري ، وابن ماجـــد ، ولهؤلاء جميعاً مؤلفات جغرافية ثمينة .

وكتاب الخطط التوفيقية لعلي مبارك باشا المصري ، ويمكن اطلاق لقب الجغرافيا التاريخية ، على هذا القسم ، وتتجمع مواد للجغرافيا التاريخية في كتب الفتوحات مثل كتاب فتوح البلدان للبلاذري (٢٨٠ هـ : ٨٩٢ م) .

٥ – الجغرافية الاقتصادية وهي التي تتعلق بمصادر الثروات الحيوانية والنباتية والمعدنية والصناعية والزراعية وتوزيعها في العالم .

٦ – الجغرافية الطبيعية والجيولوجية ، ومن امثلتها ما أعطاه ابن سينا والبيروني من تحليل صحيح لنشأة الجبال وطبقات الصخور ، فكتب ابن سينا متحدثاً عن رأيه في نشأة الجبال انها ترجع الى عاملين:

فأما أن تنشأ نتيجة انحناء في القشرة الأرضية بسبب حركات عنيفة في باطن الأرض ، وأما أن يكون أثر الماء هو سبب نشأتها عندما يشق الماء لنفسه طريقاً وأودية ، وظلت أعمال ابن سينا المرجـــع الأساسي للجيولوجيا (علم طبقات الأرض) الأوربية حتى عهد قريب [١] .

٧ – فن الخرائط ورسمها بدقة متناهية وفي عهـــد المأمون اجتمع سبعون عالماً لرسم خريطة الأرض .

معنى لفظ جغرافيا :

هو لفظ يوناني [٢] معناه صورة الأرض ، وقد ترجمه العرب الى « علم

---

(١) ٤١٩ شمس العرب تسطع على الغرب .

(٢) لبطليموس (١٦٧ م) كتاب « المدخل الى الجغرافيا » ورسالته في الفلك التي ترجمها العرب باسم « المجسطي » أي الأعظم ، أي الكتاب أو المؤلف الأعظم .

الاطوال والعرض » ، أو « علم تقويم البلدان » أو « علم صورة الارض » . ثم استعملوا اللفظ نفسه .

واضع علم الجغرافيا العربي :

وقد وضع الخوارزمي بكتابه « صورة الارض » الاساس الأول لعلم الجغرافيا العربي [1] ، وكان الخوارزمي معاصراً للمأمون ، وتوفي نحو عام ٢٤٠ ، وكتابه أول مؤلف عربي في هذا العلم ...

ومن الاعمال الجريئة للعرب في الجغرافيا قيامهم عام ٢١٢ هـ : ٨٢٧ م في عهد الواثق بتحديد مقاس درجة من خط منتصف النهار ، وهي محاولة جديرة بالاكبار ، وبخاصة اذا وضعنا في الاعتبار أنه لم تجر منذ أقدم العصور سوى ثلاث تجارب مستقلة لقياس الأرض :

أحداهما : لايراتوستينيس .

والثانية : لبطليموس (١٦٧ م) .

والثالثة : للعرب ، وتعتمد عليها أوربا اعتماداً كلياً في العصور الوسطى وقد حددوا مقاس درجة خط منتصف النهار بستة وخمسين ميلاً وثلثي

---

(١) كان عمل المنجمين عند وضع الحجر الاساسي لبناء بغداد عام ١٤٥ هـ : ٧٦٢ م عملاً من اعمال الجغرافيا الفلكية الرياضية ، وكتاب السند هند الكبير الذي ترجمه ابراهيم الفزاري من الهندية الى العربية في عصر المنصور عام ١٥٤ هـ كان من الأسس. كذلك للجغرافيا الفلكية عند العرب ، وهو عبارة عن رسالة براهما سدانتا التي ألفها عام ٦٢٨ م أي بعد وفاة الرسول (ص) بست سنوات ، ولفظ « سدانتا » ترجمه العرب الى السند هند واطلقوه اصطلاحاً على كل مؤلف في الفلك، وان كان معناه في الأصل هو « المعرفة والعلم والمذهب » وكان هذا الكتاب قد احضره معه الى بغداد فلكي هندي اسمه كانكا أو مانكا عام ١٥٤ هـ .

الميل أي بـ ٦٧ر ١١١٨١٤ متراً . والفرق بين هذا التحديد والتحديد الأوربي الحديث يقل عن الكيلومتر ، مما يدل على عبقرية العرب العلمية في الجغرافيا الفلكية ، وعلى ما بلغته الحضارة الاسلامية من تقدم علمي كبير وسريع الخطى ، وكان تحديد بطليموس للدرجة هو بستة وستين ميلاً وثلثي الميل (١) .

هذا ويعرف داود الانطاكي (١٠٠٨ هـ : ١٥٩٠ م) في كتابه التذكرة علم الجغرافيا (٢) بأنه علم يبحث عن أحوال الارض من حيث تقسيمها الى الاقاليم والجبال والانهار الخ ..

لماذا ألف العرب في الجغرافيا ؟

١ – كانت عناية العربي بالمعارف الجغرافية قبل تدوين هذا العلم ، وقبل أن يحين مولد الجغرافيا العلمية عند العرب منذ العصر الجاهلي ، نابعة من واقع حياتهم ، فكان من الضروري لهم أن يعلموا شيئاً عن مواقع النجوم الثابتة (٣) ، ومسير الكواكب المتحركة ، ومنازلها ، وأن يتابعوا تغير الطقس ، أي المناخ (٤) ، وهبوب الرياح ، ونزول الأمطار ، ومواضع المياه والعشب ، ليستعينوا بذلك على قطع مفاوز الصحراء في السلم والحرب على حد سواء ، وفي بيئتهم الصحراوية تعرفوا على النبات

---

(١) ومن أعمال المأمون الجغرافيـــة انشاؤه مرصدين فلكيين : الأول في بغداد والثاني في دمشق .

(٢) راجع كشف الظنون لحاجي خليفة : ٦٠١ – ٦٠٣رقم ٤١٣٠ .

(٣) في القرآن الكريم : فلا أقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم (٧٥ و ٧٦ سورة الحديد) .

(٤) هو في الاصل موضع اناخة الابل .

والحيوان السارح في الصحراء ، ووصفوا كل ذلك في قصائدهم ، وما اكثر وصف الناقة والفرس والظليم وحمار الوحش وغيرها في شعر الجاهلية .. وذلك كله يكون مادة حية للجغرافية عند العلماء المسلمين .

٢ — ونزل القرآن الكريم وفيه الكثير من المعارف الجغرافية عن الرياح والامطار والصواعق وعن النجوم والكواكب والسماء والارض ، وعن الجبال والأنهار والبحار والشمس والقمر ، وكان من ذلك أكبر مادة علمية أفاد منها علماء الجغرافيا المسلمون .

٣ — وانتشر الاسلام في كل مكان واصبحت له دولة تمتد من الصين الى شواطىء المحيط الأطلسي ، وفيها جبال وانهار ونبات وحيوان ومعادن ومناجم وطرق للقوافل ، وغير ذلك ، فكان على العلماء المسلمين ان يتابعوا كل ذلك وأن يتحدثوا عنه ، ويلموا به ويتعمقوا في فهمه والكتابة عنه .. فضلا عن أن المعرفة الفلكية [1] بالنسبة لأبناء الصحراء لها أهميتها ، لذلك نالت الجغرافيا الرياضية وصناعة الخرائط اهتماما كبيراً .

٤ — وارتقت الحضارة الاسلامية ، وأخذت حركة تدوين العلوم في النمو والازدهار منذ أواخر العصر الأموي ، بتأثير نمو الثقافة العامة ، والحاجة الى اقامة الحضارة الاسلامية على أساس من العلم والمعرفة .. فعني العلماء المسلمون بعلم الجغرافيا عناية جليلة ، وكان لمشاهدات

---

(١) الاتصال كبير بين الجغرافيا الفلكية وعلم الرياضيات لما يترتب على معرفة مواقع النجوم في السماء من تحديدلخطوط الطول والعرض ، ومن تحديد لبروج السماء، ولاوقات الفصول ولظهور القمر وشروق وغروب الشمس ، لما لذلك من أهمية قصوى في الصلاة والصيام والحج . وفي عهد المأمون اجتمع سبعون جغرافياً ورسموا خريطة الأرض (٤١٦ شمس العرب تسطع على الغرب) .

الحجاج المسلمين عن الطقس والنباتات والحيوانات واوصاف البلدان الاسلامية ؛ ولاحاديثهم عن ذلك كله أثر في نشأة الكثير من المعارف الجغرافية .

٥ ــ لذلك بدأ الكثير من علماء اللغة والأدب في الكتابة عن البلدان الاسلامية ، فألف هشام الكلبي (٢٠٦ هـ) كتاب البلدان الكبير والصغير ، والأقاليم ، والأنهار ، وألف الأصمعي (٢١٦ هـ) كتابه (جزيرة العرب) ، وألف النضر بن شميل (٢٠٤ هـ) كتاب الانواء [١] ، وكتاب الشمس والقمر .. وغير هؤلاء من العلماء – وكانت هذه من أوائل المؤلفات الجغرافية في اللغة العربية ، ولهذا نجد في كتاب مثل « أدب الكاتب » لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) قسماً خاصاً بالأنواء ومواقع النجوم .

٦ ــ ويذيع بعض المستشرقين وتلاميذهم من العرب والمسلمين أن العرب بعد أن ترجموا الثقافة اليونانية القديمة في عصر المنصور والرشيد والمأمون ، استفادوا منها الكثير من المعارف الجغرافية ، وكان مما ترجموه في عصر المأمون كتاب « المجسطي [٢] » الذي يعد من أقدم المصادر في الجغرافيا الفلكية ، وقد ترجمه سلم صاحب بيت الحكمة في بغداد لخالد البرمكي ، ثم ترجمه الحجاج بن يوسف بن مطر المتوفى عام ٢١٢ هـ و ٨٢٧ م – وكان ذلك مما أعانهم على تدوين علم الجغرافيا ، فهم في ذلك مدينون للاغريق [٣] .

---

(١) لقطرب كذلك كتاب « الانواء » وقد قمت بشرحه والتعليق عليه منذ نحو خمس عشر سنة ، ولم يطبع اذ استعاره أحد الأدباء العرب مني وفقد منه . ولابي اسحاق ابراهيم الاجدابي كتاب « الازمنة والأنواء » وهو مطبوع بدمشق .

(٢) كتاب مشهورلبطليموس(توفي قرب الاسكندرية عام ١٦٧م)، وهو ثلاثة عشرمقالة .

(٣) ويقول نفيس أحمد : العرب تلاميذ للاغريق ، وعلمهم امتداد للعلم الاغريقي ؛ والثقافة الاسلامية لا يمكن تصورها بغير الثقافة اليونانية الرومانية (٢٢،٢٣ جهود المسلمين في الجغرافيا). وهذا خطأ جسيم .

وهذا خطأ ما بعده خطأ ، وحسبنا أن بطليموس هو صاحب النظرية القائلة بأن الأرض ثابتة والشمس هي التي تدور حولها ، وهي النظرية التي هدمها العلماء المسلمون ، وجاء العلماء الغربيون فتابعوهم في تخطئتها ، ويرد على مثل هؤلاء سارتون المستشرق الامريكي ، فيقول : لم يقف دور العرب في الرياضيات والفلك عند نقل التراث الاغريقي أو السنسكريتي بل جموعها ولقحوا التفكير الاغريقي بالهندي واذا لم يسم هذا ابتكاراً علمياً فليس هناك ابتكار في أي علم [1] ، وتقول المستشرقة الالمانية [2] هونكه : « لم يأخذ العرب العلوم التي ورثوها عن طريق الاقتباس كما انهم لم يأخذوا الآلات العلمية ومواد العلم دون مناقشة » ، وتضيف الى ذلك انهم نقدوا أرسطو وألفوا كتباً في نقد آرائه لما رتّبوا عليه من شجاعة علمية نادرة تكره التقليد والاحتذاء . وأضيف أنا الى ذلك أن أدب الرحلات ربما كان العرب من أوائل من كتبوا فيه [3] ، وكذلك كان العرب اظهر من رسم الخرائط الجغرافية ففي عام ٨٧ هـ : ٧٠٦ م بعث الحجاج قائده قتيبة بن مسلم الباهلي لفتح بلاد ما وراء النهر ولما استعصت عليه بلاد بخارى بعث اليه الحجاج عام ٨٩ هـ ليرسل اليـــه صورة المنطقة ، ففعـــل ، فبعث الحجاج اليه بتعلياته الحربية بعد دراسته لموقع المكان المحاصر اعتماداً على تلك الخارطة أو « الصورة » التي حل محلها كلمة « مصور جغرافي » ، وروى الطبري هذه الحادثة في الجزء الثاني من تاريخه ، وكذلك فان العرب أنشأوا طرق البريد ، وكانوا أول

---

(١) راجع كتاب الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته ترجمة عبد الرحمن أيوب ص ١٤٤ : ٦ .

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٤٣ وراجع كتاب أثر الترجمة في حضارة العرب لحسن الاشموني .

(٣) لم يصل عن العهد السابق للمصنفات الجغرافية العربية وصف واحد لرحلة مـــا باللغة السريانية ، مع أن السريانيين كان محيط اسفارهم قد شمل القسطنطينية وبيت المقدس والاسكندرية.

من وضع على جانبها حجارة لتوضيح المسافات وهي ما يسمى بالأميال ، وكانت تبدأ من دمشق ، وقد عثر على بعض هذه الحجارة بفلسطين ، وترجع الى عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ : ٦٨٥ - ٧٠٥) كما عثر على حجر آخر منها قرب تفليس ويرجع الى ذلك العهد .

وقد ألف الخوارزمي محمد بن موسى كتاب « صورة الأرض » ، ويرى نلينو المستشرق الايطالي أنه ما من أمة أوربية كان في مقدورها أن تؤلف مثل هذا الكتاب في فجر نشاطها العلمي ، وقد وضح الخوارزمي معارف الكتاب بالخرائط ، وكذلك عد الخوارزمي أول صانعي الخرائط الجغرافية العلمية ، ويزعم المستشرقون أن خرائطه منقولة من نسخة سريانية مـن خريطة بطليموس وأخيراً اقول : ان البحوث الجغرافية لم تكن متأثرة في نشأتها في الثقافة العربية بشيء من ثقافة اليونان على الرغم مما يذهب اليه كراتشوفسكي في كتابه « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » [1] .. وتقول المستشرقة الألمانية هونكه [2] : « ازدهر علم الجغرافيا عند العرب من الاسفار التي قام بها التاجر سليمان الى الصين [3] ، وغيره الى انحاء كثيرة ، قبل ماركوبولو بأكثر من اربعة قرون ، لقد كان العرب شعباً يحب الرحلة ، ومنها رحلة الحج المقدسة » .

---

(١) راجع ص ٦٩ .

(٢) ٤١ شمس العرب تسطع على الغرب .

(٣) توفي عام ٢٣٧ هـ : ٨٥١ م في عهد المتوكل العباسي - ورحلته مطبوعة في كتاب عنوانه « كتاب جزيل الفائدة »، ومعها رحلة أبو زيد حسن من أهل سيراف معاصر للمسعودي المؤرخ (٣٤٥ هـ) - وهذا الكتاب مطبوع في باريس عام ١٨٤٥ م مـع ترجمة فرنسية ودراسة نقدية لرينو المستشرق الفرنسي .

اشهر الجغرافيين العرب ومؤلفاتهم :

١ – محمد بن موسى الخوارزمي : عاش في عصر المأمون ، ألف كتابه « صورة الأرض »[١] ، وهو ترجمة لكلمة « الجغرافيا » اليونانية ، وهو اول كتاب عربي في هذا العلم ، ويعد الخوارزمي بسببه الواضع الأول لأساس علم الجغرافيا العربي ، والظاهر أن الخوارزمي كان من جملة العلماء السبعين الذين قاموا برسم خريطة الارض للمأمون « وكان من المترجمين عن اليونانية في بيت الحكمة ببغداد، وتوفي نحو عام ٢٤٠ هـ[٢] » والكتاب نشره هانس فون مزك المستشرق في فينا ١٩٢٦ ودراسة الكتاب تدل على انه ليس صورة مترجمة لكتاب بطليموس « المدخل الى الجغرافيا » لأن تبويب الخوارزمي لمادته يختلف اختلافاً بيّناً عن نهج بطليموس في كتابه ، فبطليموس يعدد جبال وأنهار ومدن كل منطقة بينما يوزعها الخوارزمي على الأقاليم ويفحص كل ظاهرة على حدة ، ويبلغ عدد المناطق عند بطليموس احدى وعشرين منطقة بينما يبلغ عدد الأقاليم عند الخوارزمي سبعة ، وليس بينهما اتفاق على تحديد الابعاد الجغرافية للأماكن المختلفة[٣] . وفي الكتاب اصالة الخوارزمي وابتكاره وذهنه

---

(١) الظاهر انه ألفه نحو عام ٢٢١ هـ : ٨٣٦ م ومنه نسخة خطية في مكتبة ستراسبورج بروسيا .

(٢) يرى كراتشوفسكي أنه توفى عقب وفاة الخليفة العباسي الواثق بالله عام ٢٣٢ هـ : ٨٤٧ م بقليل – ومن الجدير بالذكر أن نشير الى ان نسخة استراسبورج الخطية من كتاب الخوارزمي مخطوطة عام ٤٢٨ هـ: ١٠٣٧ م وقد سرقها المستشرق الروسي اسبتا من دار الكتب الخديوية بالقاهرة حين كان مديراً لها (وتوفى عام ١٨٨٣ م) وفى هذه النسخة اربع خرائط جغرافية ، اما خارطة العالم فغير موجودة .

(٣) تاريخ الأدب الجغرافي – وقد طبع كتاب جغرافية بطليموس مترجماً الى العربية .

العلمي ، ولا يوجد شعب اوربي واحد يستطيع أن يفخر بكتاب يمكن مقارنته بهذا الكتاب الذي يعتبر اقدم أثر في الجغرافيا العربية كما يقرر ذلك نلينو المستشرق الايطالي .

وعلى نمط هذا الكتاب يسير كتاب آخر مشهور هو كتاب « عجائب الأقاليم السبعة » لسهراب الذي ألفه في اوائل القرن الرابع الهجري ومنه نسخة خطية في المتحف البريطاني ، كما يسير على نمطـــه كتاب صورة الأرض لابن حوقل ، وهو مطبوع في بيروت .

٢ — **البتاني** : (٢٤٤ — ٣١٧ هـ : ٨٥٢ — ٩٢٩ م) وكتابـــه « الزيج [١] » له شهرة فائقة ، وفيه وصف عام للأرض وبحارها وللاقاليم السبعة .

٣ — **ابن يونس المصري** : وقد وضع كتابه « الزيج » بجداوله نحو عام ٣٨٠ هـ : ٣٩٠ م في المرصد الذي أنشأه الحاكم الفاطمي على جبل المقطم بالقاهرة ، وسماه « الزيج الحاكمي الكبير » ومنه عدة مخطوطات ، وقد نشر بعض المستشرقين قطعاً منه ، وتوفي ابن يونس عام ٣٩٩ هـ — ١٠٠٩ م وهكذا نهضت الجغرافية الفلكية على أيدي العلماء المسلمين الذين تقدموا بها خطوات كبيرة ، حتى لقد استطاعوا بدقة متناهية أن يحددوا المواقع الجغرافية للبلدان الكبيرة بالنسبة الى خطوط الطول والعرض من أمثال البستاني وابن يونس ثم البيروني وابن سعيد وياقوت .

....

(١) لفظ فارسي يطلقه العرب على كل مصنف في الفلك بجداوله ، ومن الزيجات المشهورة : الزيج الايلخاني لنصير الدين الطوسى ٥٩٧ — ٦٧٢ هـ : ١٢٠١ — ١٢٧٤ م) — ولنصير الدين الطوسي (٥٩٧ — ٦٧٢ هـ : ١٢٠١ — ١٢٧٤ م) « الزيج الايلخاني » نسبة الى اللقب الذي كان يحمله حكام ايران المغول ، وكان الطوسي يعمل في خدمتهم .

٤ — **عرّام بن الاصبغ السلمي** : (توفي نحو عام ٢٣٦ هـ : ٨٥٠م) ، له كتاب « اسماء جبال تهامة سكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الاشجار وما فيها من المياه » ، وهو مطبوع .

٥ — **ابن خرداذبة** : (٢٠٥ — ٣٠٠ هـ : ٨٢٠ — ٩١٢م) وله كتاب « المسالك والممالك » ويجمل فيه طرق التجارة الرئيسية في العالم الاسلامي ، وفيه وصف دقيق لبعض الامم النائية مثل الصين واليابان وكوريا ، وقد ألف معاصروه كتباً في المسالك والممالك أيضاً ، ومن بينهم : المروزي (٢٧٥ هـ) والسرخسي (٢٨٦ هـ) [١] وكتاب ابن خرداذبة أول مؤلف في الجغرافيا الوصفية .

٦ — **اليعقوبي** أحمد بن أبي يعقوب ، مصري (٢٩٢ : ٩٠٥ م) ، وله كتاب البلدان وهو مشهور ، وبسببه يوصف اليعقوبي بأنه أبو الجغرافيا الاسلامية ، ولعل ذلك بسبب ما لقيه هذا الكتاب من ذيوع في الغرب ،

٧ — **ابن فضلان أحمد بن عباس** : من طلائع الجغرافيين المسلمين الرحالة ، لقيت كتاباته عن اقاليم الفولجا — قزوين اهتماماً كبيراً ، وكان الخليفة المقتدر العباسي قد أوفده في صفر عام ٣٠٩ هـ: يونيو ٩٢١ م من قبله الى ملك البلغار (الروس) بالفولجا ووصفه لرحلته بعد عودته يعد من المصادر الأولى في تاريخ وجغرافية روسيا .

٨ — **الهمداني** الحسن بن أحمد : (٣٣٤ هـ : ٩٤٥ م) ، له كتاب « صفة جزيرة العرب » ، ويعتبر من أنفس ما ألفه العرب في الجغرافيا ، وقد طبع بتحقيق الشيخ حمد الجاسر وصالح العلي تحقيقاً علمياً دقيقاً

---

(١) للسرخسي احمد بن محمد بن الطيب رسالة في « البحار والمياه والجبال » .

و كتابه « الاكليل » يقع في عشرة أجزاء وقد نشر بعضه وفيه الكثير من أنساب وآثار وأخبار وتاريخ اليمن ، ويعد من أنفس المؤلفات في الجغرافيا الاقليمية .

٩ – **أبودلف الخزرجي** : من ينبع ، كان شاعر الأمير الساماني نصر بن أحمد ، ولما وفد على بلاط الأمير وفد هندي برياسة الأمير الهندي « كلاتلي » في سفارة ودية بعث الأمير الساماني مـــع هذا الوفد في عودته شاعره ابا دلف ، فزار كشمير وكابل وسواحل ملبار ، ووصف كل ذلك في كتابه « عجائب البلدان » .

١٠ – **المسعودي** : أبو الحسن علي بن الحسين مؤرخ وجغرافي عربي أصيل ، ويعد أكثر الكتاب الجغرافيين في القرن الرابع الهجري اصالة ، من سلالة عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل ، ولد في بغداد ، وقام برحلات كثيرة الى الهند والسند وزنجبار ومدغشقر وعمان والشواطىء الجنوبية لبحر قزوين وآسيا الصغرى والشام وفلسطين وتوفي بالفسطاط عام ٣٤٥ھ : ٩٥٦ م ، وفي كتابه « مروج الذهب » صوره لثقافته الواسعة ورحلاته الكثيرة ، وفي كتابـــه « التنبيه والاشراف » مادة جغرافية مناسبة ، وثقافته الأدبية قد تكون أغلب عليه في مؤلفاته وان كان « مروج الذهب » تغلب عليه الثقافة التاريخية ، أما « التنبيه » فتغلب عليه الثقافة الجغرافية ، ومهما يكن من شيء فالمسعودي يقف على قمة المعارف الجغرافية لعصره .

١١ – البلخي : ابو زيد أحمد بن سهل (٢٣٥ : ٣٢٢ ھ : ٨٥٠ – ٩٣٤ م) وهو أحد الرواد المسلمين لصناعة الخرائط الجغرافية ، وكتابه الجغرافي « صور الأقاليم » مفقود ، ويعد بمثابة أطلس مصحوباً ببعض التوضيحات ، وله أهمية نادرة .

١٢ – **الاصطخري** أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي ، وكتابه « المسالك والممالك » مشهور ، وتلعب فيه الخرائط دوراً هاماً . وقد توفي نحو عام ٣٥٠ هـ : ٩٦٠ م – وله كتاب الأقاليم وقد نشره ملر الألماني عام ١٨٩٣ في مدينة غوتا بألمانيا – وهو كتاب « صور الأقاليم » الذي ترجمه من الفارسية الى الألمانية هانس فون مزك وطبع في فينا عام ١٩٦٥ .

أما كتابه « المسالك والممالك » فهو مطبوع في ليدن بتحقيق دي غويه .

١٣ – **ابن حوقل** أبو القاسم محمد بن حوقل وهو صاحب رحلات واسعة في العالم الاسلامي ، وله كتاب « المسالك والممالك » ويسمى « صورة الأرض » أيضاً وهو مطبوع ، وتوفي نحو عام ٣٨٠ هـ : ٩٨١ م .

١٤ – **المقدسي محمد** بن أحمد (٣٣٥ – ٣٩٠ هـ : ٩٤٦ – ١٠٠٠ م) ولد في بيت المقدس ، واحب الرحلة ، وكانت ثقافته الجغرافية واسعة ، وكتابه « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » أكبر مصنَّف جغرافي في اللغة العربية اصالة وعمقاً ، كما ان المقدسي أكبر جغرافي عرفته البشرية قاطبة كما يذهب الى ذلك بعض المستشرقين ، وفي كتابه أدق وصف جغرافي للعالم الاسلامي ، وقد تقدمت وازدهرت الجغرافيا الوصفية على يدي المقدسي تقدماً كبيراً ، وقد جاب العالم الاسلامي طولاً وعرضاً ليكتب هذا الكتاب في جغرافية الارض وشعوبها .

وهو وابن حوقل يقتصران على وصف مملكة الاسلام ، وفي كتابه خرائط دقيقة . والأرض عند المقدسي كروية الشكل تقريباً يقسمها خط الاستواء قسمين متساوين .

١٥ — **البيروني**، أبو الريحان محمد بن أحمد، عالم، وفلكي ومؤرخ وجغرافي، ويعتبر بحق احد أعاظم العلماء في التاريخ، ويتمتع باحساس جغرافي مرهف (٣٦٢ هـ — ٩٧٣ م) وكتابه « الآثار الباقية من القرون الخالية » مشهور، وكتابه الآخر «تحقيق ما للهند من مقولة معقولة في العقل أو مرذولة » يطلق عليه كتاب الهند، وقد ولد البيروني في إحدى ضواحي خوارزم، وصحب السلطان محمود الغزنوي في فتوحاته في الهند، وتعلم اللغة السنسكريتية، وكتابه « تحقيق ما للهند » أحد الثمار الجميلة في حقل الجغرافيا الاقليمية . ويقول المستشرق الأمريكي آرثر بوب : في أية قائمة لأكابر علماء الدنيا يجب أن يكون للبيروني مكانه الرفيع فيها، وغير ممكن أن يكتمل بدونه أي تاريخ للرياضيات أو الفلك أو الجغرافيا، وهو من ابرز العقول المفكرة في جميع العصور، ويقول عنه المستشرق كراوسه : كان عالماً واسع الأفق، وسعت معرفته العلوم الدقيقة لعصره، وشوقه الى البحث والتقصي يعود بالشرف لقومه وعصره، ويقف قدوة لجميع العصور التالية : ويقول عنه كراتشوفسكي [١] : شخصيته الفذة طغت على شرق العالم الاسلامي في ميدان العلوم المتصلة بالجغرافيا .

١٦ — ناصري خسرو الفارسي، (٣٩٤ — ٤٨١ هـ : ١٠٠٣ — ١١٨٨ م) قام برحلة من بلخ الى الشرق فبلغ فيها الشام والحجاز ومصر، ثم عاد الى موطنه بلخ ثانية، وسجلها في كتابه « سفرنامه »، وترجمها من الفارسية الى العربية يحيى الخشاب .

١٧ — **البكري** عبد الله عبد العزيز من قرطبة (٤٣٢ — ٤٨٧ هـ :

---

(١) ٢٦٤ تاريخ الادب الجغرافي العربي .

١٠٤٠ — ١٠٩٤ م) وهو اكبر جغرافي أخرجته الاندلس قاطبة ، وكتاباه : « المسالك والممالك » و « معجم ما استعجم » مشهوران .

١٨ — **الزهري** محمد بن أبي بكر الغرناطي (٥٣٢ هـ) له كتاب عنوانه « كتاب الجغرافيا »[1] وهو مطبوع في بيروت ١٩٦٨ م .

١٩ — **الادريسي** أبو عبد الله محمد بن عبد الله أشهر الجغرافيين العرب لدى الأوربيين (٤٩٣ — ٥٦١ هـ : ١١٠٠ — ١١٦٦م). وقد جمع بين الجغرافيا الوصفية والجغرافيا الفلكية الرياضية ، وقــد رسم سبعين خريطة تفوق خريطة بطليموس الشهيرة في دقتها ووضوحهـــا وقلة اخطائها ، ورسم خريطة للعالم نحتها على لوح من الفضة قطره متران ، وتوضيحاً لخرائطه ألف الادريسي كتابه القيم في وصف الأرض واسمه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » وقدمه لملك صقليه روجر الثاني ، وكان الادريسي يمثل دور المعلم للغرب لا بطليموس كما يدعي بعضهم ، وبقيت خريطة الادريسي ثلاثة قرون تسد الفراغ في الغرب : وقد خدم الادريسي في بلاط ملك صقليه مدة طويلة ، وكانت « بالرمو » هي عاصمة ملكه وهي مدينة عربية مشهورة في صقلية .

٢٠ — ابن جبير ابو الحسين محمد بن احمـــد (٥٤٠ — ٦١٤ هـ : ١١٤٥ — ١٢١٧ م) ورحلته التي تسمى « رحلة ابن جبير » لهـا شهرة علمية كبيرة في الجغرافيا وقد ضمنها يوميات رحلته التي قام بهـــا الى الشرق وكانت وجهته فيها مكة المكرمة ولكنه زار فيها الكوفـــة

(١) ولابن سعيد المغربي (٦٠٥ — ٦٧٣ هـ : ١٢٠٨ — ١٢٧٤ م) كتاب الجغرافيا في الاقاليم السبعة .

وبغداد وسامرا والموصل وحلب ودمشق ، ثم سار الى عكا ومنها ركب البحر الى جزيرة صقلية ، ثم رحل حتى وصل مدينته غرناطة واستغرقت الرحلة ثلاث سنوات (٥٧٨ — ٥٨١ هـ : ١١٨٣ — ١١٨٥ م) ، وتوفي بالاسكندرية عام ٦١٤ هـ — وكتابه في وصف رحلته هذه مشهور ، وقد أفاد منه فائدة كبرى الجغرافيون والمؤرخون وهي تقدم وصفاً حياً لمصر والشام عند بدء حركة التحرير الاسلامية ضد الصليبيين بقيادة نور الدين وصلاح الدين الايوبي . ومن الجانب الفعلي تمثل رحلة ابن جبير ذروة ما بلغه أدب الرحلات [١] من حيوية وروعة في الادب العربي .

٢١ — **ياقوت الحموي** (٥٧٥ — ٦٢٦ هـ : ١١٧٩ — ١٢٢٩ م) من مشاهير الجغرافيين المسلمين ، ولكتابه « معجم البلدان » شهرة واسعة ، واهمية فائقة اذ يصور العالم الاسلامي في الفترة التي سبقت الخراب الذي اصابه بأيدي المغول ، وله رحلات كثيرة في بلاد الاسلام ، وفي مرو عكف على دراسة كثير من الكتب القيمة ، وقد انجز معجمه الجغرافي العظيم في ٥٢١ هـ : ١٣ مارس ١٢٢٤ م قبل وفاته بخمس سنوات في حلب [٢] وله كتاب آخر مشهور هو معجم الأدباء مطبوع في عشرين جزءاً .

٢٢ — **عبد اللطيف البغدادي** (٥٥٧ — ٦٢٩هـ : ١١٦٢ — ١٢٣٢م) صاحب كتاب « الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » ، ولهذا الكتاب شهرة ذائعة في الشرق والغرب .

---

(١) من أشهر الرحالة المسلمين في عصر ابن جبير : السائح علي الهروي صاحب كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات وتوفي عام ٦١١ هـ : ١٢١٥ م (راجع ٣ : ٩٥ آداب اللغة العربية لزيدان) .

(٢) الكتاب مطبوع في ستة اجزاء ، وقد اختصره صفي الدين البغدادي (٧٣٩ هـ) في كتابه « مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع » .

٢٣ — **القزويني** زكريا بن محمـــد (٦٠٠ — ٦٨٢ هـ : ١٢٠٣ — ١٢٨٣ م) صاحب كتاب « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » ، وله كتاب آخر بعنوان « كتاب الجغرافيا » ، وكتابـــه « عجائب المخلوقات » يعـد اهم أثر انتجه كاتب عربي في العصور الوسطى [١] . ويقارن القزويني بهيردوت الاغريقي .

٢٤ — **أبو الفداء اسماعيل** بن علي (٦٧٢ — ٧٣٢ هـ : ١٢٧٣ — ١٣٣١ م) وله كتاب « تقويم البلدان » [٢] وهـــو مشهور شهرة فائقة وبخاصة عند المستشرقين في أوربا ، وهو فيه يطرح التقسيم الى اقاليم فلكية مفضلا عليه التقسيم الى مناطق جغرافية .

٢٥ — **النويري** شهاب الدين احمد بن عبـــد الوهاب (٦٧٧ — ٧٣٢ هـ : ١٢٧٩ — ١٣٣٢ م) صاحب كتاب « نهاية الأرب » الذي ألفه في واحد وثلاثين جزءاً طبع منه ١٨ جزءاً ، وقـــد لخص المؤلف في كتابه جميع العلوم الاجتماعية التي يحتاج الكتاب الى معرفتها ومنهـــا التاريخ والجغرافيا والحيوان والنبات وسواها .

٢٦ — **العمري** شهاب الدين أحمـــد بن يحيى (٧٠٠ — ٧٤٩ هـ : ١٣٠١ — ١٣٤٩ م) وكتابه « مسالك الأبصار في ممالك الامصار » مشهور ويقع في ٣٢ جزءاً ، وقد طبع منه جزء واحد .

٢٧ — **القلقشندي** شهاب الدين ابو العباس احمد بن علي (٧٥٦ —

(١) ٣٦٠ تاريخ الادب الجغرافي العربي .

(٢) كان الطب يسمى تقويم الابدان ، ولابن جزله الطيب (٤٩٣ هـ : ١١٠٠ م) كتاب « تقويم الابدان » .

٨٢١ هـ : ١٣٥٥ – ١٤١٨ م) ولكتابه « صبح الأعشى في صناعة الانشا [١] »، شهرة رفيعة ، وهو مطبوع في اربعة عشر جزءاً ، ويشبه كتاب « نهاية الارب » في محتواه .. وعلى نمطه كتاب « النجوم الزاهرة » لابن تغري بردي .

٢٨ – ابن بطوطه : (٧٠٣ – ٧٧٩هـ: ٢٤ فبراير ١٣٠٤ – ١٣٧٧م) وله شهرة كبيرة في عالم الرحلات وقد برح مسقط رأسه يوم الخميس ٢ رجب ٧٢٥ هـ (١٤ يونيو ١٣٢٥ م) وهو في الثانية والعشرين من عمره ليبدأ رحلاته في العالم ، التي استغرقت حوالي ثلاثين عاماً قطع فيها نحو ١٧٥ ألف ميل وهو بهذا منافس خطير للرحالة البندقي ماركوبولو (١٢٥٦ – ١٣٢٣ م) واسمه الكامل ابو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي وقد سجل رحلاته في كتابه المشهور « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » [٢] ، ويعرف برحلة ابن بطوطه ، وقد بلغ ابن بطوطه القرم ومصب الفولجا وخوارزم وبخارى والهند والصين وسيلان وسومطره وكمبوديا والملايو ثم ظفار ومسقط وفارس والعراق والشام وفلسطين ومصر ، والسودان ، وقد وصف ابن بطوطه كل هذه البلاد وصفاً دقيقاً وتحدث عن اخلاق اهلها وعاداتهم وتقاليدهم وثرواتهم بالتفصيل ، ولرحلة ابن بطوطه شهرة عالمية ، وتمتاز بالدقة والصدق وعمق المشاهدة والاستنتاج، وكان يعاصره ابن جزيّ الاندلسي الغرناطي الذي استفاد من رحلة ابن بطوطه في كتاب له وتوفي ابن جزّي عام

---

(١) اختصره القلقشندي في كتابه « ضوء الصبح المسفر » .

(٢) لأبي حامد الغرناطي (٤٧٣ – ٥٦٥ هـ : ١٠٨٠ – ١١٧٠ م) كتاب « تحفة الالباب ونخبة الاعجاب » ، وهناك كتاب مجهول مؤلفه بعنوان « الاستبصار في عجائب الامصار » .

٧٥٧ هـ : ١٣٥٦ م كما عاصره ابن خلدون (٨٠٨ هـ) ، ولسان الدين بن الخطيب (٧٧٦ ، هـ) وسواهم .

٢٩ — **ابن خلدون عبد الرحمن** بن محمد التونسي (٧٣٢ — ٨٠٨) ٢٧ مايو ١٣٣٢ — ١٧ مارس ١٤٠٦ م) ، ويعد من اعظم المفكرين في تاريخ الاسلام ، وكتابه « مقدمة ابن خلدون » جعلته رائد علم الاجتماع وعلم الجغرافية البشرية ، فقد حاول فيه بيان الصلة بين البيئة والنشاط الانساني ، وقد ربط التاريخ بالدراسات الجغرافية ودراسات السلالات البشرية ، وفي المقدمة آراء كثيرة في الجغرافية الاقتصادية ، وهي على أية حال أثر خالد في اللغة العربية .

٣٠ — **ابن ماجد** شهاب الدين احمد بن ماجد ألف ثلاثين كتاباً في اصول البحار وركوبها وفي الطرق البحرية وغير ذلك ، واشهرها كتابه (الفوائد) الذي تناول فيه اصول الملاحة البحرية وقد فرغ منه عام ٨٩٥ هـ — ١٤٩٠ م ، فهو كتاب في علم الملاحة البحرية عند العرب ، ووصفه فيه للبحر الاحمر لا يتفوق عليه وصف آخر ، ولا يساويه وصف سابق أو لاحق له [(١)] ، وكان ابن ماجد هو المرشد لاسطول (فاسكودي جاما) البرتغالي في طريقه من البرتغال الى الهند عبر رأس الرجاء الصالح ..

٣١ — المقريزي تقي الدين (٧٦٦ — ٨٤٥ هـ) وكتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » اجمل فيه وصف الخطط والمباني في البلاد المصرية وأفاض في تاريخها وما توالى عليها من احداث . وهو من

---

(١) عاصر سليمان المهري القائد البحري ابن ماجد ، ولسليمان هذا كتاب (العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية) .

لمراجع الاصيلة في التاريخ والجغرافيا المتعلقة بمصر، وعلى منواله سار لسيوطي (٩١١هـ) في كتابه «حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة»، ثم علي مبارك باشا في كتابه «الخطط التوفيقية»، ومحمد كرد علي في كتابه «خطط الشام» في ستة أجزاء، وماسينيون في كتابه «خطط الكوفة» وهو مطبوع في صيدا بترجمة المصعبي.

وبالله التوفيق.

١٩

مصادر ومراجع

١ – جهود المسلمين في الجغرافيا – تأليف نفيس احمد – ترجمة فتحي عثمان – القاهرة .

٢ – تاريخ الأدب الجغرافي العربي – كراتشوفسكي – ترجمة صلاح الدين عثمان ونشر جامعة الدول العربية .

٣ – الجغرافيا عند العرب – يسن الحموي – دمشق .

٤ – الرحلات – احدى سلسلات دار المعارف المصرية عن فنون الأدب العربي تأليف شوقي ضيف .

٥ – الرحالة المسلمون في العصور الوسطى – د . زكي محمد حسن – القاهرة .

٦ – الرحالة العرب – من سلسلة الألف كتاب بالقاهرة – نقولا زيادة .

٧ – ابن بطوطه في العالم الاسلامي – د . ابراهيم العدوي – سلسلة اقرأ التي تصدر عن دار المعارف بالقاهرة .

٨ – الرواد – نشر المقتطف – وتناول تاريخ علم الجغرافيا والجغرافيين المسلمين .

٩ – الجغرافيا عند المسلمين – سكوي .

١٠ – المجلة الجغرافية – القاهرة .
١١ – تاريخ التمدن الاسلامي – جورجي زيدان .
١٢ – حديث السندباد القديم – د . حسين فوزي .
١٣ – العرب والملاحة في المحيط الهندي – جورج فضلو حوراني .
١٤ – شمس العرب تسطع على الغرب لهونكة – ترجمة بيضون ودسوقي – طبع بيروت .
١٥ – اعلام التاريخ والجغرافيا – صلاح الدين المنجد .
١٦ – الجغرافيا والرحلات عند العرب – نقولا زيادة – بيروت .
١٧ – الجغرافيون العرب – صبري محمد حسن – النجف .
١٨ – دائرة المعارف الاسلامية في مادة « جغرافيا » .
١٩ – مقدمة ابن خلدون طبع المكتبة التجارية بالقاهرة .
٢٠ – صبح الاعشى للقلقشندي .
٢١ – نهاية الأرب للنويري .
٢٢ – النجوم الزاهرة لابن تغزى بردى .
٢٣ – سالك الابصار للعمري .
٢٤ – البلدان للجاحظ .
٢٥ – المواعظ والاعتبار للمقريزي .
٢٦ – معجم البلدان – لياقوت الحموي .
٢٧ – الحيوان للجاحظ .

٢٨ – رسائل الجاحظ طبعة عبد السلام هارون .

٢٩ – عجائب المخلوقات للقزويني .

٣٠ – الفهرست لابن النديم .

٣١ – كشف الظنون لحاجي خليفه .

٣٢ – مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده .

٣٣ – فصل الجغرافيا في الجزء الثاني من كتاب « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ترجمة ابي ريدة وطبع لجنة التأليف بالقاهرة .

٣٤ – المكتبة الجغرافية وهي مطبوعة في ليدن باشراف دي غوية في ثمانية مجلدات ، وهي :

١ – المسالك والممالك لابن خرداذبه ، وكتاب الخراج لقدامة .

٢ – كتاب البلدان لابن الفقيه .

٣ – الاعلاق النفسية لابن رستة وكتاب البلدان لليعقوبي .

٤ – مسالك الممالك للاصطخري .

٥ – المسالك والممالك لابن حوقل .

٦ – احسن التقاسيم للمقدسي .

٧ – التنبيه والاشراف للمسعودي .

٨ – فهرس ابجدي عام .

خاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم ؛

هـــذه نهاية تلك الدراسات الموجزة للمكتبة الاسلامية التاريخية والجغرافية ..

ومنها يتضح مدى ما أسداه العلماء المسلمون للثقافة والمعرفة ، وللحضارة الانسانية ، وللتقدم البشري من أياد جليلة ، بما دونوه من أخبار التاريخ العالمي القديم ، وأخبار التاريخ العربي الجاهلي ، ومن تاريخ الاسلام وشعوبه منذ ميلاد رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم الى اليوم .

وهي جهود يقدرها العلم والعلماء فى كل جيل وعصر ، وكل مكان وزمان .

ونحمد الله على توفيقه ، ونسأله السداد والرشاد ؛ وما توفيقي الا بالله ؛ عليه توكلت ، واليه أنيب .

د . محمد عبد المنعم خفاجى

خاتمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذه خاتمة هذا الكتاب « البحوث الأدبية » : مناهجها ومصادرها ، الذي كتبته استيفاء لحق البحث الأدبي وضروراته ، وضمنته كثيراً من الخبرة والتجارب الى قراءات واسعة لمختلف ما يمكن أن نفيد منه ، ونأخذ عنه .

ولا أجد ما أقوله عن جدة البحث وصعوبته وتنوعه ، وطول المشقة فيه ، وكثرة تشعبه ونواحيه ، الا أن أحمد الله تعالى وأشكره وأسأله الهداية والتوفيق ، الى أوضح سبيل وأقوم طريق ، فمنه وحده الصواب والسداد ، وأسأله أن يمن علينا بنعمة الايمان والاسلام ، وأن يختم أعمالنا بالصالحات من الأعمال .

فهو وحده المسئول والمأمول ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب .

د . محمد عبد المنعم خفاجى

محتوى الكتاب

القسم الثاني

مصادر البحوث الأدبية

القسم الثالث

المكتبة التاريخية والجغرافية